
أبطال الفرقة ١٩
مقاتلون فوق العادة
فريق
يوسف عفيفى

أبطال الفرقة 14

مقاتلون فوق العادة

فريق/ يوسف عفيفي

فريق
يوسف عفيفي

أبطال الفرقة ١٩

مقاتلون فوق العادة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصفوة

للطباعة والنشر والتوزيع

ش. م. م. - الغردقة - البحر الأحمر ت: ٤٤١٣١٥/٤٤١٥٧٠ - فاكسميل: ٤٤١٣١٥ ت: القاهرة ت: ٣٦٠٦٣٢٠ - فاكسميل: ٣٦٠٦٣٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ :

صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ :

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ

وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا

« صدق الله العظيم »

إهـــداء ....

إلى الشهـــداء الأبـــرار ....

والأبطال المجهولين ...

والمقاتلين الأوفياء ...

عرفانا بفضلكم ...

وحسن إدائكم ... وعطائكم فى معركة العبور العظيم

تحت شعار الفرقة ١٩ (الإيمان... الشرف ... الجهاد)

أسـأل الله تعـالى أن يؤتى كل ذى فضـل فضله،

وأن يرزقكم الحسنى وزيادة

يوسف عفيفى

قائد الفرقة ١٩

خلال معركة أكتوبر ١٩٧٣



■ فريق/ يوسف عفيفى ■

نبذة عن المؤلف

فريق/ يوسف عفيفى

* من مواليد يوم ٢ يونيو ١٩٢٧.
* حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية ١٩٤٨.
* حصل على بكالوريوس التجارة (شعبة العلوم السياسية والاقتصاد) من كلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٥٧.
* حصل على دبلوم الأسلحة المشتركة من أكاديمية فرونز بموسكو عام ١٩٦١.
* حصل على ماجستير العلوم العسكرية من كلية القاده والأركان عام ١٩٦١.
* حصل على دورة الدراسات العليا العسكرية من أكاديمية ناصر العسكرية عام ١٩٧٣.
* عمل قائدا لفصيلة مشاه عام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ بفلسطين والخرطوم بالسودان.
* عمل مدرسا بمدرسة المشاه فى عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.
* ندب بأدارة المخابرات العامة عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤.
* عمل مدرسا بالكلية الحربية وكلية الأركان عام ١٩٥٦ ـ ١٩٦١.
* كان رئيسا لأركان اللواء العاشر المشاه باليمن عام ١٩٦٣.
* مساعدا لرئيس مكتب المشتريات العسكرية فى بون عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.
* رئيسا لأركان الحرس الجمهورى عام ١٩٦٥.
* قائدا للكتيبة ١٢ مشاة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧.
* رئيسا لأركان اللواء الرابع مشاه ١٩٦٧.
* مدير تدريب الجيش الثانى الميدانى ١٩٧١.
* تولى قيادة الفرقة ١٩ المشاة من يناير ١٩٧٢ وحتى فبراير ١٩٧٤.
* عين نائبا لرئيس هيئة عمليات القوات المسلحة عام ١٩٧٤.

* عين ملحقا عسكريا بموسكو عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨.
* عين قائداللجيش الثالث الميدانى ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩.
* عين مساعدا لوزير الدفاع ورئيسا لهيئة البحوث العسكرية عام ١٩٨٠.
* عين محافظا لمحافظة البحر الأحمر من يناير ١٩٨١ وحتى الآن.

* كان عضواً للبعثة العسكرية التدريبية المصرية فى اليمن عامى ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥.
* كان عضوا للبعثة العسكرية المصرية بسوريا عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩.
* اشترك فى جميع الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣.

حصل على عدد من الأنواط والأوسمة أهمها:

* نوط الجدارة الذهبى عام ١٩٤٩.
* وسام الكوكب الأردنى عام ١٩٥٥.
* وسام الشرف والإخلاص السورى عام ١٩٥٩.
* وسام فارس من اليمن عام ١٩٦٥.
* نوط الثورة الرومانى عام ١٩٦٥.
* وسام العبور المصرى عام ١٩٧٣.
* وسام نجمة الشرف عام ١٩٧٤.
* نوط التدريب عام ١٩٨٠.
* نوط الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة عام ١٩٨٠
* نوط الخدمة الممتازة عام ١٩٨٠
* وسام الاستحقاق عام ١٩٨٢.

* من الضباط الأحرار.

* متزوج وله بنتان.

قبل أن نقرأ

قد يمضى وقت طويـلٌ قبـل أن تكتشف كل الحقـائق والأسرار التى تشهدها المعارك الحربية هنا أو هناك ..

ذلك أن التفـاصيـل يملكها ـ أحيانا ـ من يعودون من ساحــة القتال بعد انقشاع غبار المعارك، وفى أحيان أخرى تحمل الحقيقة أرواح طاهرة، رجعت إلى رحاب ربها .. راضية مرضية ..

وكثير من البطولات يتحدث عنها من شاركوا فيها، أو كانوا بالنسبة إليها «شهود عيان» .

وفى كل الأحوال فإن التاريخ ـ لابد ـ وأن يسجل الحقائق وإن طال الزمن .

من هنــا نقــول: إن الأعمــال البــارزة التى قامت بهـا الفرقة ١٩ مشاة والإنجازات الكبيرة التى حققتها خلال حرب إكتــوبــر، وحتى ما بعـد قرار وقف إطلاق النـار : لم تلق ما تستحقه من أضواء .. وأن معظم أبطال هذه الفرقة اثروا أن يودعوا ما قدموه أمانة فى ذمة التاريخ .

فمنذ البداية: كان عطاؤهم لوجه الله والوطن .

لذا : فهـذا الكتاب ليس سوى محاولة لتسجيل زاوية هامــة من زوايـا نصر اكتـوبـر المجيـد .. نأمل أن تتبعها «محـاولات ومحـاولات» .

أما بطل هذه الحلقات فهو: مقاتل «شجاع» .. وقائد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، وكرمته قيادة وطنه بأرفع الأوسمة ..

ولا يزال يحتل موقعا قياديا يواصل من خلاله عطاءه بدون حدود .. إنه: قائد الفرقة ١٩ مشاة في حرب العاشر من رمضان - ومحافظ البحر الأحمر حاليا .. الفريق/ يوسف عفيفي .

إن الجهد الذى بذله الرجل في استرجاع ذكريات تلك الأيام الخالدة التى تحقق خلالها أعظم الانتصارات، التى شهدتها العسكرية المصرية في تاريخها الحديث ، وكذلك: فإن ما وفره من مذكرات حرص على تدوينها في أصعب الأوقات والمواقف - كان له أثره الكبير في أن يخرج هذا الكتاب على هذه الصورة المشرّفة، التى أتمنى أن يجد فيها القارىء العزيز ما يثير إعجابه ، وكذلك ما قد يجده الباحث والمؤرخ: ما يثرى معرفته .

* والله ولى التوفيق *

محمد مصطفى

مقدمــة

قد يتصور البعض أن كتابة المذكرات وإعدادها للنشر أمر يسير.

بل هو فى الواقع تجربة صعبة للغاية خضتها خلال الأشهر الخمسة الماضية . . وربما تأتى صعوبات هذه التجربة لكونها تحمل مواقف عسكرية لها أهميتها، ودلالاتها، وآثارها؛ على كافة المستويات . .

من هنا فإن الحرص الشديد، والدقة المتناهية، والتمحيص المستمر- كل هذه العوامل - تجعل إعداد المذكرات - على هذا المستوى - أمراً بالغ الصعوبة .

عنصر آخر زاد المسألة تعقيداً: وهو أن جزءاً هاماً من هذه المذكرات مرتبط بأيام مجيدة، عشناهـا فى حرب أكتـوبـر، بكل ما تشمله من آثار ومعان .- وأيضا- بكل ما تحمله من أهمية فى تاريخ العسكريـة المصرية، والعربية.

بل وما أحدثته معاركها من تغيير فى المفاهيم العسكرية فى العالم أجمع، وفى منطقتنا على وجه الخصوص . .

لم يكن سهـلاً أن تكتب التفـاصيل؛ دون أن تجتاح النفس مشاعر متباينة، تتأرجح بين فرحة النصر، وأحاسيس فراق رفيق كتبت له الشهادة؛ عندما اختاره الله .

لم يكن سهلاً ـ أيضاً ـ أن يتمّ تجميع أوراق مضى على الاحتفاظ بها أكثر من عشرين عاماً.

ولم يكن سهلاً ـ كذلك ـ شحذ ذاكـرة تراكمت عليها بفعل السنين، والأعباء الكثيرة جداً لتفى بما هو مطلوب؛ من المعلومات، والذكريات، والمواقف .

وأعـترف أننى لم أكن محتـاجاً لأن أنفض الغبار عن ذكريات حرب اكتوبر، وأن أبذل جهداً كبيراً فى استدعائها من زوايا عقلى . . فقد كانت تلك الذكريات ـ ورغم كل شىء ـ تحتل مكاناً بارزاً فى وجدانى .

بل لا أكون مبالغاً إذا قلت : فى شغاف القلب وحبة العين . .

كانت المشكلة ـ فقط ـ فى ذلـك التزاحم الكبير الذى احتل منطقة الذكريات، داخل تلافيف ذلك الجهاز الربانى العجيب، المسمى : «المخ» . .

كان السؤال الكبير : من أين أبدأ ؟ وبمن أبدأ ؟ . .

يا إلهى . . . كل هذه المواقف : مع رفاقى ، قادة، وزملاء وأبناء . . رؤساء، ومرؤوسين . .

كل هذه الإنجازات : حققها أبناء الفرقة ١٩ مشاة.

وقفـز سؤال يلح : لماذا مرت كل هذه السنين، دون أن تنشر مجرد ملامـح لتلك الأعـمال البـارزة، التى قام بها رجـال آمنـو بربهم، فطلبوا الشهادة : منهم من نالها، ومنهم من عمل من أجلها . . وآمنوا بوطنهم، وتسلحوا بالانتماء؛ففدادوا عن ثراه الطاهر، وقدموا أرواحهم رخيصة من أجل أن يحيا الوطن عزيزاً شامخاً .

تساءلت : وأنا أقلب الأوراق، وأسترجع شريط الذكريات، وأتصفح «البومات الصور» التى تكاد ان تنطق شخوصها قائلة : لماذا أقبع هنا فى زاوية النسيان .؟

تساءلت : لماذا لم يقم الرفاق بهذه المهمة . . مهمة تسجيل . . ونشر ملاحم الفرقة ١٩ فى حرب اكتوبر؟ . . وجاءتنى الإجابة من داخل نفسى : ولماذا لم تقم أنت بذلك ؟ . . أو على الأقل أن تبدأ به ؟ .

ولكن كيف ؟

هل أستعين ببعض الزملاء والأبناء من مقاتلى وأبطال الفرقة ١٩ خاصة الذين أتاحت لهم مواقعهم ـ وقتها ـ بأن تكون الصورة بالنسبة لهم «بانورامية»

أو حتى هؤلاء الذين سمحت لهم بحكم المكان، أو المكانة ـ أن تكون رؤيتهم من زاوية معينة لها اتساع؛ تجمع الكثير من التفاصيل .

وبدأت أستعرض الأسماء، وأستجمع المواقف، وأقلب فى الأوراق والصور، وعاش عقلى مرحلة زحام، وتزاحم؛ لم أعشها من قبل؛ سوى فى الساعات التى كان يهدأ فيها زئير المدافع والدبابات فى ساحة القتال، وتلتقط فيها كافة الأسلحة أنفاسها؛ استعداداً لجولة جديدة .

فى تلك الساعات أو اللحظات التى كان يهدأ فيها كل شىء : معدات، وذخائر، وجنود، كنت أجلس وأفكر فى جنودى . . فى موقعى . . فى الخطوة القادمة . . فى تفكير العدو وخطوته المقبلة، وفى عناصر أخرى؛ كانت تحول رأسى إلى ساحة أخرى للقتال، حيث تتصارع الأفكار، مثلما يحدث لى ـ الآن ـ وأنا أفكر . . من أين أبدأ . . وبمن ؟ .

وضعت أمامى ورقة، وسجلت أسماء بعض الزملاء والأبناء لأستيعين بهم فى تنشيط الذاكرة، وفى البحث عن مزيد من التفاصيل التى عايشوها عن قرب، ولتجميع ما لديهم من صور تساعد على اكتمال عناصر هذا الكتاب .

كانت المفاجأة . . أن كثيراً من هؤلاء يحتلون مواقع هامة فى العديد من الجهات فى الدولة . . كلهم مشغولون . . أعباؤهم الحالية لا تقل عن مسئولياتهم أثناء الحرب، وإن اختلفت الساحة .

وهنا وقفت متأملاً .

إن قَدَر بعض الرجال يضعهم دائماً أمام مسئوليات جسيمة مستمرة ، يقبلون عليها بحب . . ودون أدنى تراجع أو ملل . ولقد كانت الفرقة ١٩ مشاة، وكما ذكرت فى إحدى صفحات هذا الكتاب «محظوظة برجلها»، فهم حقا مقاتلون منصهرون في بوتقة الوفاء والانتماء لمصرنا الغالية.

وعادت الحيرة من جديد . . كيف لى أن أنتزع هؤلاء من مواقعهم الحساسة ومسئولياتهم الجسام . . وعطائهم الكبير . . ومعاركهم المستمرة . . وانتصاراتهم التى يصنعونها كل يوم . ؟

كيف أنتزعهم من وسط ذلك كله وهم فئة من الرجال؛ يحتاج الوطن إلى كل قطرة عرق يصنعون بها غداً أفضل .

حملت هذه المشاعر فى وجدانى، وذلك التزاحم الكبير فى عقلى، وذهبت لصديق له فى نفسى مكانة ومكان . . طرحت على الصديق الصحفى «محمد مصطفى» كل ما أحمله من أفكار ومشاعر . وكعادته ابتسم وقال :

«بسيطة» هل تسمح لى بأن أنال جزءاً من شرف إعداد أول مادة إعلامية تنشر عن بطولات الفرقة ١٩ مشاة . . سوف يقتصر دورى على إعادة ترتيب الأوراق معك . . فأنت قد سجلت كل شىء كما أرى، وبدقة متناهية، وتسلسل منظم، لم يبق شىء !!

خرجت من لقائى بالصديق محمد مصطفى وكأننى قد ألقيت بهم ثقيل عن كاهلى !!

الشىء الغريب ـ حقاً ـ أنه ما إن انتهت هذه المقابلة، وعدت إلى منزلى، حتى بدأت الأفكار تترتب من جديد فى ذهنى . .

فعلى الرغم من أننى كنت أسجل يومياً مذكرات المعارك ، لكن هناك تفاصيل إنسانية لم يكن الوقت كافياً لتسجيلها أثناء المعارك ، وبعد أنتهاء المعارك كانت فرحة النصر، ومن بعد ذلك دارت عجلة الحياة دورتها السريعة، وبدأت معارك أخرى فى ميادين جديدة غير ساحات القتال، ولفَّتْنَا المشاغل والمسؤليات العديدة . .

من هنا: فأنا فى حاجة إلى تسجيل للمشاعر، لكى تصبح المواقف نابضة بها .

لم أستطع النوم فى تلك الليلة . .

لقد تداعى فى مخيلتى : كثير، وكثير، من المواقف والتفاصيل . .

إن شريط الذكريات يسير فى ترتيب رائع . .

ها هى المعارك، وها هم الأبطال يقفزون فوق الدبابات يفجرونها . . ويقتحمون النقاط الحصينة، فى شجاعة نادرة، ويستولون عليها . .

ها هو خط بارليف فى المساحة المواجهة لفرقتنا ينهار نقطة بعد أخرى . .

يا لها من لحظات رائعة . .

الطيران المصرى فى طلعته الجوية الجسورة يمضى فوق رؤوسنا فى اتجاه الشرق . . وها هى المدفعية بكل أنواعها تزأر وتزمجر بعد صبر طويل . . تحطم مراكز قيادة العدو وتحصيناته فى دقة متناهية . والساتر الترابى فى هذه المنطقة التى تحتلها الفرقة، حيث يواجه المقاتلون صعوبات فى عمل الفتحات الشاطئية فيه؛ نظراً لطبيعته الصلدة فى هذه المنطقة . .

إنها لحظات صعبة . . نعم . . ولكنها لحظات لا تنسى .

مهندسو الفرقة يفجرون مقاطع فى الساتر الترابى لعمل الفتحات الشاطئية بعد مضى ٢٦ ساعة من بدأ العبور لصعوبة تجريف الساتر بواسطة الماء . ورجال المشاة يقاتلون بالأسلحة الخفيفة قبل إتمام الفتحات الشاطئية .

ثم يأتى عبور القوات بأسلحتهم الثقيلة وعتادهم لاستعادة الأرض . .

ياله من مشهد . .

ويتكرر ما حدث فى تلك الليلة . . ليال وليال . .

ها هى معركة «حوض الدرس» التى حقق فيها مقاتلونا نصراً كبيراً لولاه لتغير وجه التاريخ .

وها هى معركة السويس يمر الجزء الخاص بها فى شريط الذكريات بكل ما تحمله من تفاصيل إنسانية وصمود بطولى . . أيام الحصار التى لا تنسى . .

تلك الأيام التى : راهن خلالها العدو على انهيار مقاتلينا واستسلامهم ، . وراهن رجالنا على الصمود وكسبوا الرهان .

الآن . . كل شيء معد لكتابة ذكريات هذه الأيام الخالدة . . عشرات الليالى قضيتها ومعى الصديق «**محمد مصطفى**» نقلب الأوراق ونرتبها.

وما أن بدأت الكتابة حتى انساب القلم . . بدأت أفرغ شريط ذاكرتى نابضاً بالأحداث على شرائط أخرى تناوب تبديلها على كاسيت وضعه **محمد مصطفى** أمامى .

وبعد أن امتلأت عشرات الأشرطة، وتم تفريغها، ومطابقتها بالأوراق والأحداث المسجلة فى أجندة يوميات المعركة التى أحتفظ بها منذ قرابة عشرين عاماً . . **لا أنكر** أن المفاجأة كانت كبيرة بالنسبة لنا، عندما قارنت ما تحمله الأوراق، بما سجلته من ذكريات على شرائط الكاسيت .

إن التطابق يكاد أن يكون كاملاً . . **وفى القليل** من الأوقات كنت أحتاج لاسم أحد الأبطال، أو تكملة اسمه فأسأل الصديق «**العميد/ على رضا**» وهو من أبنائى الذين رافقونى عن قرب خلال أيام حرب أكتوبر وكان وقتها برتبة رائد . .

ثم جاءت مرحلة المراجعة والتى شهدت كثيراً من التعديلات: فى حرف، أو موقف، أو اسم . .

وهنا لا بد أن أتوقف قليلاً . . لأقول : لم يكن ممكناً بحال من الأحوال أن يتضمن هذا الكتاب كل المواقف والأبطال والتفصيلات . .

فالعبور كان معركة بذاتها تستحق كتاباً ـ أو عدة كتب ـ . . **وملاحم** اقتحام نقاط العدو الحصينة، ومراكز قياداته، . . . إلخ لابد أن يفرد لها مجموعة كتب أخرى . . وكذلك **شهور الحصار** وما تضمنه من مواقف وتفصيلات !!.

ومعركة مدينة السويس . . تلك الملحمة التى أتوقف أمامها طويلاً لأتساءل : لماذا لم تَحظَ بما تستحقه من اهتمام إعلامى ؟ بل وثقافى - أيضاً - . ؟ أشعار ومسلسلات، بل وأفلام أيضاً؟ .

كثيرة هى المواقف والملاحم والبطولات فى قطاع عمليات **الفرقة ١٩**

كان كل ذلك زاخراً وثرياً . . **من هنا** كانت صعوبة أن يتضمن هذا الكتاب كل ما حدث . . **إن أبطال الفرقة ١٩** الذين ذُكِرَتْ أسماؤهم فى سجل الشرف فى هذا الكتاب: **هم نماذج فقط** .

لذا لابد وأن أؤكد: أن هذا الكتاب هو المحاولة الأولى، لكتابة: ملامح، بطولات، وإنجازات **الفرقة ١٩ مشاه التى** قدمت أعمالاً بارزة فى نصر **أكتوبر ٧٣** .

وهى محاولة أرجو أن تتبعها محاولات ومحاولات .

لذا أقول: إن هذا الكتاب هو بمثابة «**بطاقة دعوة**» لزملائى وأبنائى **من الفرقة ١٩** أيام **حرب اكتوبر** المجيدة من أجل كتابة تاريخ وبطولات الفرقة، والأحداث البارزة التى شاركوا فيها .

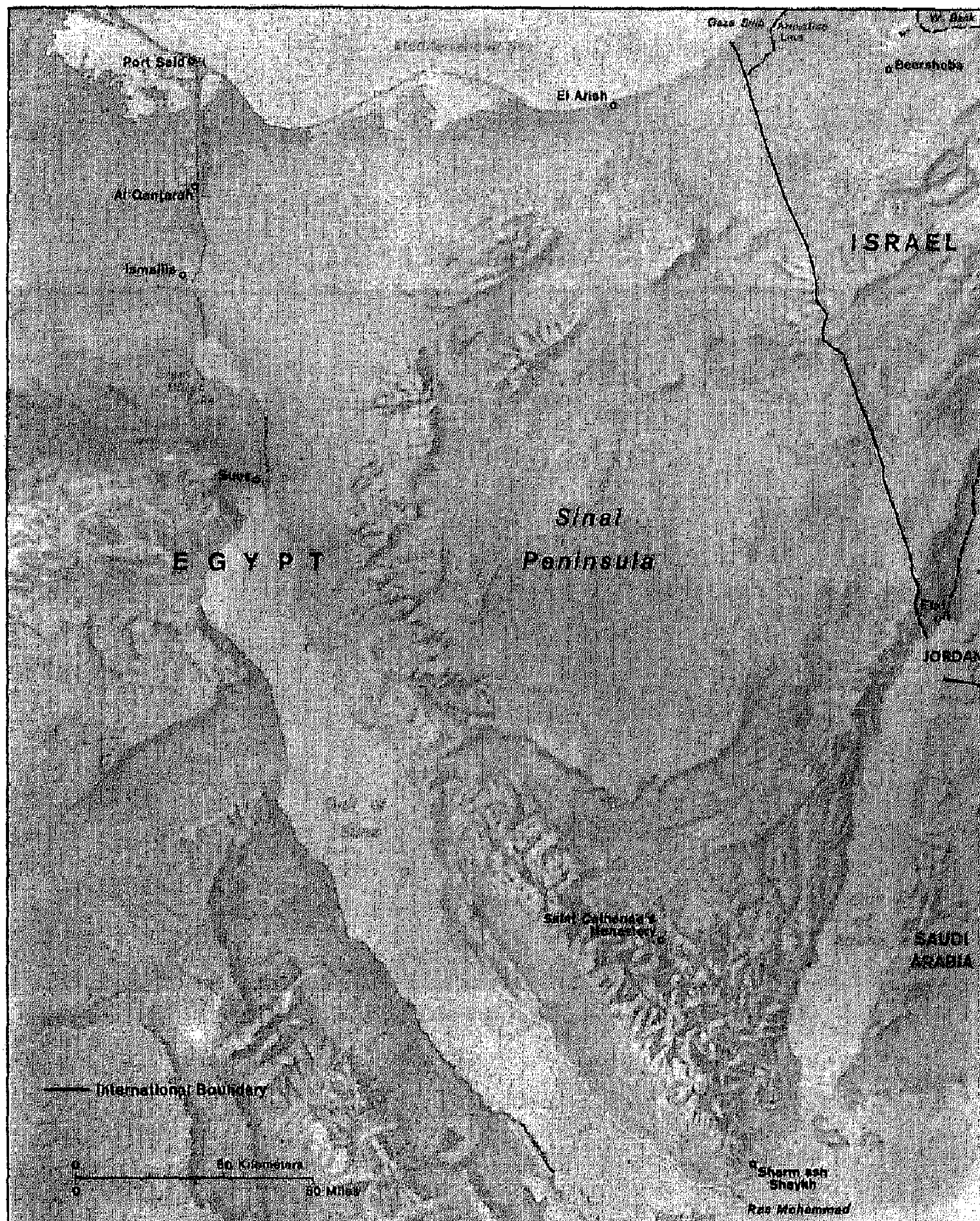
بقى أن أقدم خالص شكرى وتقديرى لكل من ساهم فى ظهور هذا الكتاب إلى النور، راجياً من الله تعالى: **أن** يحظى باهتمام القراء، وأن يكون إضافة مفيدة للمكتبة العسكرية المصرية . .

وفى النهاية: يكون شاهداً جديداً، على أصالة المقاتل المصرى وبسالته فى الذود عن ثرى وطنه الطاهر.

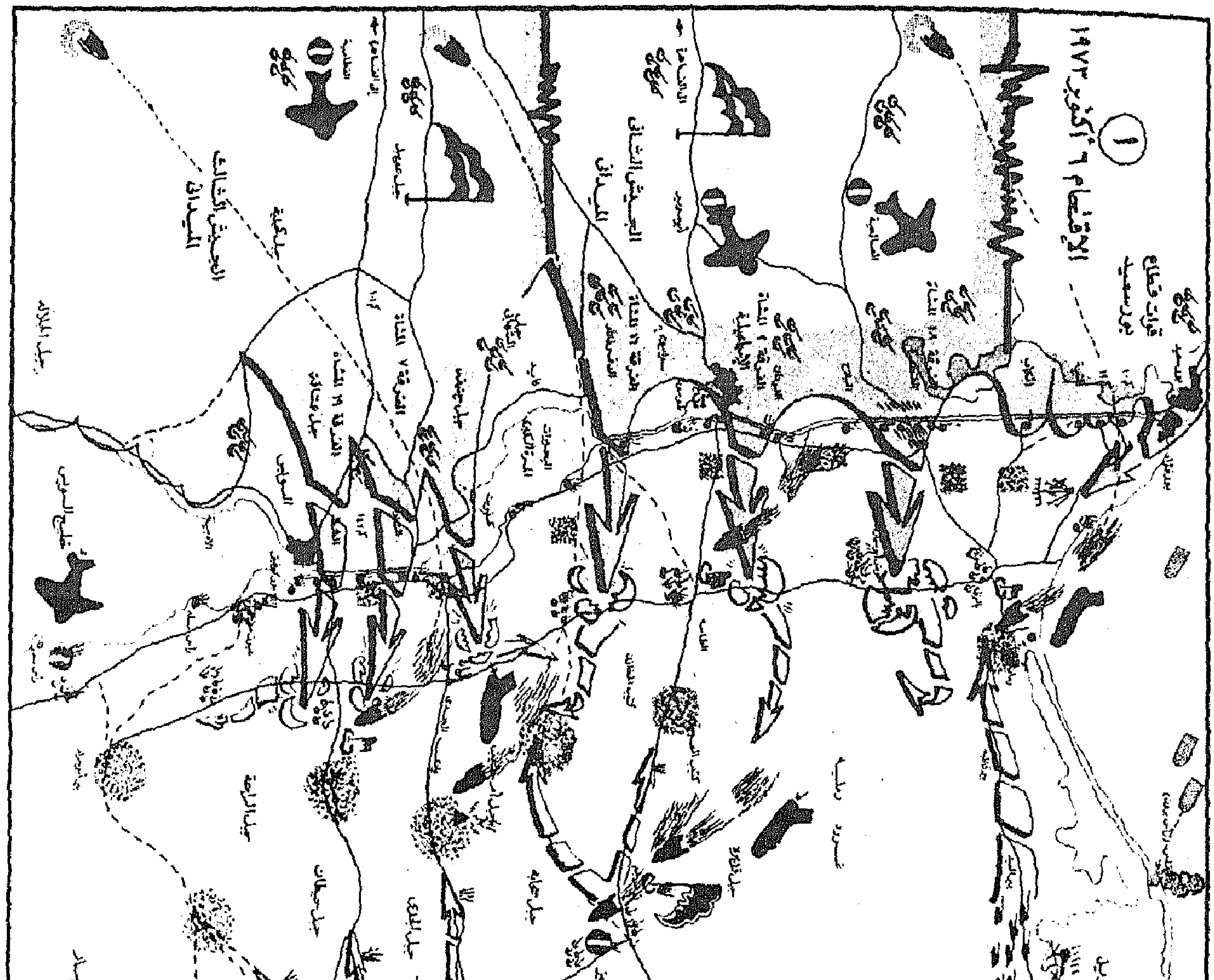
فريق/ يوسف عفيفى

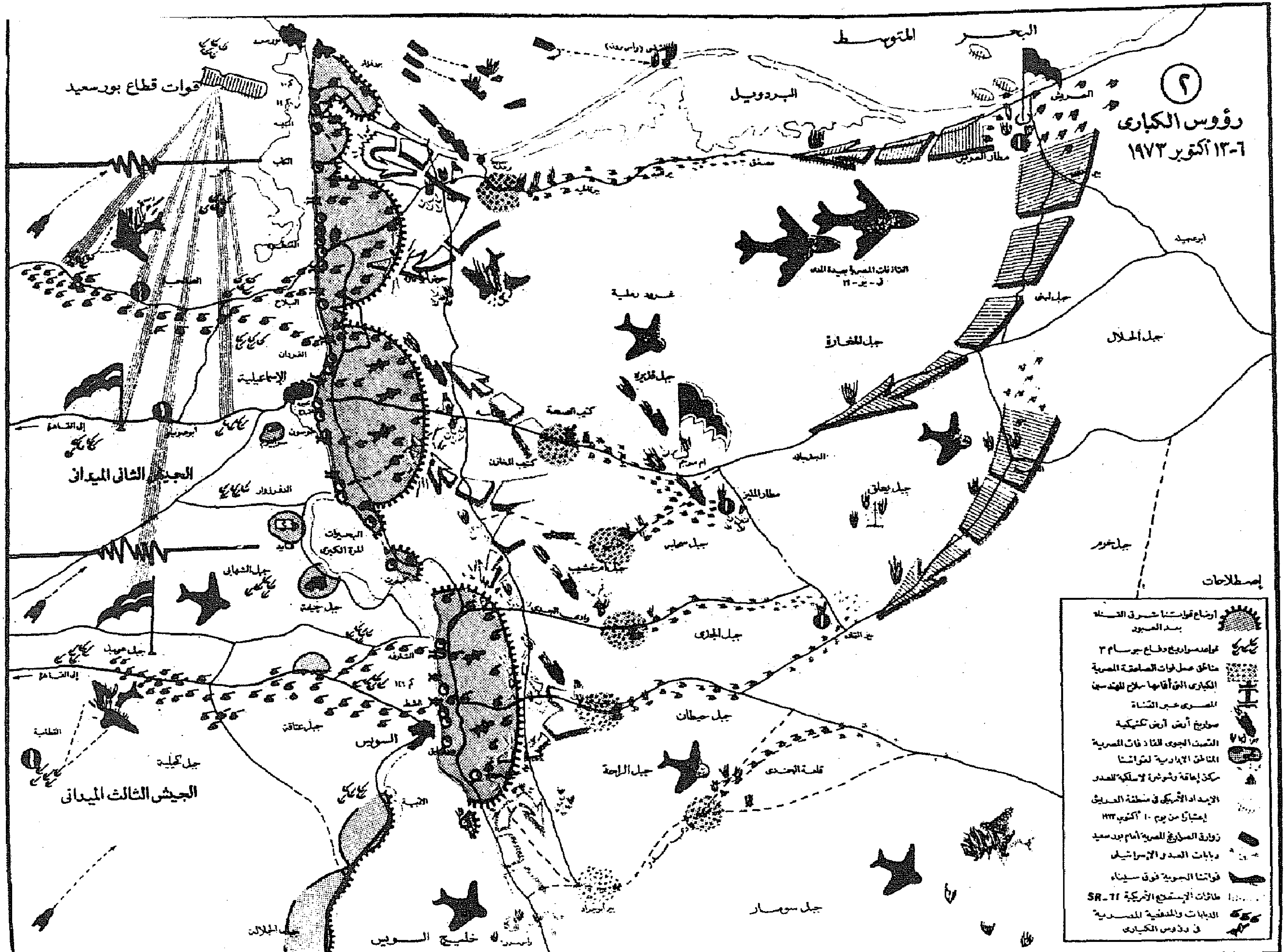


■ فريق يوسف عفيفى أثناء حديثه مع الكاتب الصحفى محمد مصطفى ■



■ خـريطة سينـاء ■


١
الأوضاع ٦ أكتوبر ١٩٧٣
البحر المتوسط
إصطلاحات



٢
رؤوس الكبارى
٦-١٣ أكتوبر ١٩٧٣
البحر المتوسط
البردويل
قوات قطاع بورسعيد
غرود رملية
جبل المغارة
جبل الحلال
الإسماعيلية
الجيش الثاني الميداني
البحيرات المرة الكبرى
السويس
الجيش الثالث الميداني
خليج السويس
جبل سومار
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
جبل الجدى
جبل يعلق
جبل عتاقة
جبل جنيفة
جبل الشبراوى
كثيب الحبشى
إصطلاحات
أوضاع قواتنا شرق القناة بعد العبور
الكبارى التى أقامها سلاح المهندسين المصرى عبر القناة
صواريخ أرض أرض تكتيكية
الإمداد الأمريكى فى منطقة العريش إعتبارا من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣
زوارق الصواريخ المصرية أمام بورسعيد
دبابات العدو الإسرائيلى
قواتنا الجوية فوق سيناء
طائرات الإستطلاع الأمريكية SR-71
الدبابات والمدفعية المصرية فى رؤوس الكبارى

الفصل الأول

دور نكسة ٦٧ فى نصر ٧٣

* لم يكن هناك أدنى أمل فى كسب حرب الأيام الستة .

* خسائر الطيران كانت هى الشماعة التى علقت عليها الهزيمة.

* جنود الاحتياط وصلوا إلى سيناء بالجلاليب .

* حرب اليمن كانت خطأً فادحاً ودفعت القوات المسلحة الثمن .

* قواتنا تحركت فى سيناء مثل قطع الشطرنج .

* تخطيط حرب أكتوبر كان علمياً مائة فى المائة

أكثر من ثلاثة وعشرين عاماً مرت حتى الآن على نكسة ١٩٦٧

وعلى الرغم من انقضاء كل هذه السنين، فإنه ـ حتى الآن ـ لا يزال الحديث عن هذه الحرب يبدو وكأنه نوع من السير فى حقل من الألغام .

ولا يستطيع أى محايد وهو يتجه إلى محطة النصر الكبرى فى أكتوبر ١٩٧٣ إلا أن يتوقف قليلاً عند يونيه ٦٧ .

والبعض قد يرى أن هذه الوقفة قد تتسبب فى نبش جرح قديم أردنا له جميعا أن يندمل .

لكن الواقع يقول: إن حرب يونية ٦٧ قد سجلت فى صحائف التاريخ : شئنا، أم أبينا . . وأن هناك كثيراً من الشهود لم يدلوا بشهادتهم بعد .

الحقيقة الهامة ـ هنا ـ هى : أن دروس نكسة ٦٧ كان لها أثرها الهام فى نصر ٧٣

وأن العسكرية المصرية قد ظُلمت ظلماً كبيراً فى حرب الأيام الستة، وأن فارقاً كبيراً ـ وكبيراً جداً ـ بين إدارة حرب اكتوبر، وإدارة حرب يونيو، وكثير . . وكثير من الأسباب الآخرى التى أقرها . . . حيث كنت أحد القادة فى المعركتين وإن اختلفت الظروف والنتائج .

تلك المقارنة الضرورية بين ما حدث فى ظرفين لا تفصلهما سوى ٦ سنوات وأستطيع أن أؤكد: أنه لم يكن هناك أدنى أمل فى كسب حرب الأيام الستة، أو على الأقل: التعادل فيها.

فقد كانت قواتنا تتحرك كقطع من الشطرنج، حتى طلب منها أن تتوقف

لتدافع . . وبعدها طلب منها أن تنسحب . . بل أن هناك الكثير والكثير . . مما أغفله معظم من تناولوا أحداث حرب ٦٧ .

إن بطولات الانسحاب فى حرب يونيو ٦٧ لا تقل أهمية عن بطولات الدفاع . . فقد كان من الممكن أن نجعلها بطولات عظيمة . . ولكن ما حدث : قد حدث . . .

فى حرب أكتوبر ٧٣ : كانت القيادات مختلفة فى طريقة تفكيرها وطبيعة حركتها . . لقد ابتعدت السياسية عن عقول القيادات ، وتم تجهيز مسرح العمليات قبل أكتوبر وكان التدريب الشاق وكان القرار حاسماً لا رجعة فيه وتم التخطيط لكل شىء قبل بداية الحرب .

كثيرة هى تلك المقارنات ؛ بين حربين : وقع فى الأولى هزيمة قاسية ، وتحقق فى الثانية نصر عزيز .



مظاهرة عسكرية

لقد كنت خلال حرب ٦٧ قائداً للكتيبة ١٢ من اللواء الرابع مشاه التابع للفرقة الثانية التى كانت تحت قيادة اللواء عبد الحليم عبد العال ،ثم اللواء عثمان نصار،

وصدرت لى الأوامر بالتحرك إلى سيناء ليلة ١٧، ١٨ مايو وقد حدث هذا كله : فجأة، بدون ترتيب مسبق، وبدون استعدادات، أو خطة محددة.

وعندما سألت قيادتى : . . . قالوا : أنها مجرد مظاهرة عسكرية الهدف منها: تهديد العدو .

وقطعنا سيناء كلها خلال ٢٠ يوما من الكونتلا إلى العريش إلى الكيلو ١٦١ بدون هدف محدد :

فما نكاد نصل إلى موقع حتى تصدر الأوامر بالتحرك إلى موقع آخر فى اليوم التالى . .

ووجدت نفسى فى وضع محرج مع رجال الكتيبة؛ . فأنا أدفعهم للحركة بدون خطة، ولا أستطيع أن أحدد لهم الهدف من انتقالاتنا .

وحتى أرفع من معنوياتهم المنخفضة نتيجة لانعدام التخطيط، وعدم وضوح الخطة والهدف: أخذت أشارك معهم فى حفر الخنادق، وأتظاهر بأن هناك هدفاً محدداً من وراء هذه التحركات .

ولكننى كنت فى حالة نفسية سيئة، فقد كنت أعرف الحقيقة . . وأنه ليس هناك هدف . . . ولا خطة .

وفى نهاية المطاف: أستقر بنا المقام، وصدرت الأوامر: بأن نبقى خلف «القسيمة» حول محور (القسيمة ـ الحسنة) حتى يكون هناك خط دفاعى ثان لحماية القوات فى حالة الانسحاب من الخط الأول،

وفعلا كنا خط الحماية الذى أنسحبت من خلاله قوات القسيمة، وصمدنا حتى اللحظات الأخيرة .



أسباب النكسة

ولعل السؤال الذى عاش بيننا طوال هذه السنوات، يلح علينا، وتتعدد حوله الاجتهادات :

* **ما أسباب النكسة ؟**

وأنا بدورى أقول : أن هناك **عناصر** متداخلة كانت سبباً فى الهزيمة . . **ولم يكن** خروج الطيران من المعركة ـ وحده ـ هو السبب فى الحجم الضخم من الخسائر .

ولقد كانت خسائر الطيران المصرى هى **الشماعة** التى علقت عليها الهزيمة **ولم تكن** هذه الحجة صحيحة ؛ **لأن الطيران** لا يستطيع أن يتدخل فى أى عمليات أرضية **ما دام** هناك التحام بين قوات الطرفين.

ومن هنا : فإنه لو أن قواتنا فى ٦٧ : كانت قد التحمت بالجيش الإسرئيلى ، **واتخذت** موقفاً هجومياً أو دفاعياً : **لكانت** قد أخرجت الطيران الإسرائيلى من المعركة ، **ولكانت** الخسائر أقل كثيراً مما وقعت .

أضف إلى ذلك : أسلوب الانسحاب العشوائى : **الذى تبع** أسلوب الحشد العشوائى ، **ولو كانت** هناك خطة مدروسة للانسحاب : لانسحبت القوات إلى غرب القناة ؛ دون أن تحدث الفوضى الشاملة ، التى ضخمت من حجم الخسائر

وهناك صورة لأسلوب الحشد العشوائى ؛ توضح مقدار الفوضى التى دخلنا معركة ٦٧ مسلحين بها

فإلى جانب كتيبتى العاملة كانت هناك كتيبتا مشاة من الأفراد الأحتياط المستدعون : يرتدون الجلاليب والملابس المدنية ، أستدعتهم القيادة على عجل ، ووصلوا إلى سيناء بالجلاليب ، وبلا أسلحة ، ولا عتاد أو تموين . . . وبلا خطة موضوعة لتسليحهم ؛ لمشاركتهم فى المعارك .
والغريب : أنهم وضعوا على الخط الدفاعى فى «القسيمة» على هذا الحال ، وتركوا حتى بدأت العمليات .

وقد صورت إسرائيل عدداً من هؤلاء ، وأستغلت صورهم للدعاية ضد الجيش المصرى ، عالمياً .

وقد قمت قبل أن تبدأ العمليات : بمعالجة حالة الكتيبة المجاورة فوزعت عليهم بعض الأسلحة الأحتياطية فى كتيبتى - لحين وصول أسلحتهم - وكلفت جنودى بتدريبهم ، واعطائهم بعض الملابس العسكرية وزمزميات المياه ، ولكن الوقت كان متأخراً ، وبعض الإمكانيات كانت غير متاحة

فلم يكن عند هذه الكتيبة الاحتياطى من الإمدادات الكافية ، حيث انتزع هؤلاء من وظائفهم ، وبيوتهم ؛ بطريقة مفاجئة ، وعشوائية ، وكانوا فى حاله نفسية سيئة للغاية .



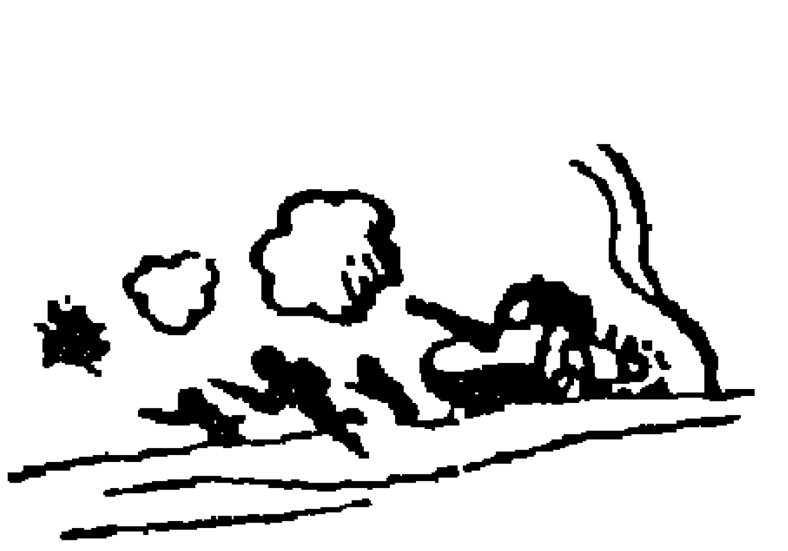
الانسحاب العشوائى

فى منتصف ليلة ٨/٧ يونيه وصلنى أمر قيادة بالانسحاب إلى غرب القناة . . ولم يتضمن أمر القيادة سوى ذلك .

أصدرت أوامرى بالانسحاب على المحور الأوسط للإسماعيلة ، فى الأرض المفتوحة ، والحقيقة : ورغم الظروف المحيطة السيئة أننا كنا نحاول فى «القسيمة» أن نفعل شيئاً يحفظ علينا ماء وجوهنا ، ولكن الوقت كان قد فات .

هنـاك بعض العمليات الفردية للتصدى للعدو، وهناك بعض البطولات التى قامت بها بعض القوات .

ولكن فى ظل المناخ الردىء : ضاعت المحاولات ، فانسحبنا إلى غرب القناة يوم ٩ يونيه ، تحت الغارات الجوية الإسرائيلية المكثفة ، وتحت نيران مدفعية العدو ولكنى حاولت ونجحت فى أن أحمى قواتى فلم أتكبد خسائر تذكر فى كتيبتى والحمد لله .



حــرب اليمــن

لقـد قيل الكثير جداً عن أسباب نكسة ٦٧،

وكانت حرب اليمن واحدة من الأسباب التى اتجهت إليها أصابع الاتهام.

والحقيقة: التى أودّ أن أسجلها، والتى تحمل وجهة نظرى حول حرب اليمن وعلاقتها بالنكسة: أن حرب اليمن كانت بداية عملية سياسية .. دفعت ثمنها القوات المسلحة، وكان هذا خطأً فادحاً.

فماذا يمكن أن نقول عن جيش نظامى، يواجه: قبائل، وعصابات؛ تحتمى بالجبال الوعرة ...؟ فلا تعرف من أين يأتيك الموت .؟!

إن الطبيعة الصخرية، والجبال الوعرة فى اليمن: قد حمتها من الاحتلال التركى، والاحتلال الإنجليزى، وكانت اليمن تسمى مقبرة الجيوش ..

لقد ذهبت إلى اليمن سنة ١٩٥٤ فى عهد الإمام أحمد فى بعثة عسكرية لتدريب الجيش اليمنى وعشت فى المناطق الجبلية الوعرة وتأكدت من استحالة العمل العسكرى المنظم فيها، ولكن هناك طرقاً، وأعمالاً عسكرية أخرى معروفة لا تتم إلا مع النظام القبلى.

هناك سبب آخر فى غاية الأهمية يضاف إلى أسباب النكسة .. كان أقصى مستوى للتدريب يتم على مستوى السرية، علماً بأنه يفترض أن يكون التدريب على مستوى الفرقة، أو على الأقل على مستوى اللواء .. وهى عملية خطيرة، فلم نصل لمستوى التدريب المطلوب، ولم تكن أمكانياته متوفرة كما كانت القوة الضاربة للقوات المسلحة بالأراضى اليمنية خلال معركة ١٩٦٧.

قطـع الشطرنـج

كانت الفكرة: أن نوصل للعدو «**مضمونا**»: أن قواتنا كبيرة، تستطيع أن «**تـردعـه**» أو بالتعبير العادى «**تخيفه**» ـ وكانت الخطة (**هجومية**): ثم أنقلبت: (**دفاعية**).

ومسألة أن تتغير الخطة: ليست بالأمر السهل؛ فهى تؤدى إلى قلب كل الخطط الأخرى، وتغيير كثير من الإجراءات العسكرية؛ التى تحتاج إلى قوات مدربة تدريباً عالياً . .

لذلك: كانت القوات تتحرك فى سيناء مثل قطع (**الشطرنج**): تنقل من مكان لمكان ويحركونها بسرعة . . **كل الوحدات** كانت تتحرك فى وقت واحد . . **لم يوجد**، وضع الثبات، وكانت الحركة تتم فى أماكن مختلفة. لدرجة: أن قدما واحدة لم تكن لتستقر على الأرض.

وكانت هذه هى الفرصة السانحة للعدو لكى يقوم بضربته . .

لقد ظلم المقاتل المصرى فى حرب ٦٧ ظلماً كبيـراً **وسوف أسوق هنا بعض الوقائع**؛ التى توضح سمات هذا المقاتل وأصالته.

فى طريق المليز . . كانت ترتكـز إحدى الكتائب . . ولم تصل إلى قائـدها أوامر انسحاب واستمر هذا القائد الشهيد (**العقيد كمال رؤوف**) يقاتل مدرعات العدو . . . ـ **وكانت** لواءات مدرعةـ . . . لمدة أربعة أيام ولم يمكنها من اختراق موقعه . . إلى **أن اتخذ العدو** خطة أخرى وهى ضرب الكتيبة الصامدة من الجو . فظهرت أسراب الطائرات، لتقوم بنسف الموقع كاملاً.

ولو لم يحدث ذلك لما استطاع لعدو اكتساح هذا الموقع . .

ويعرف الإسرائيليون هذا جيدا . . وكتبوا عن هذا القائد . . إنه العقيد (كمال رؤوف) قائد إحدى كتائب المشاة . . وهو أحد أبطال حرب ١٩٦٧

وإذا لم نكن قد اعتدنا على سماع كلمة البطولة فى هذه الحرب : فلنَعْتَدِ على ذلك الآن .

ثم . . هل يعرف أحد : أن أحد القادة قام بالسباحة في البحر المتوسط من (رفح) حتى (العريش) على فترات متقطعة ؛ حتى لا يتعرض للأسر بعد انسحاب كتيبته وفى (العريش) قام بركوب جمل، وصل به إلى غرب القناة، وهو العقيد (محمد نبيه السيد) : الذى كان قائداً للمنطقة الشمالية فى فترة من الفترات . ؟!

وأذكر - أيضا - أحد القادة الشهداء : الذى حمل ذخيرة وحدته فى عربات قطار، وقام مع أفراد قوته بدفع العربات بسواعدهم وظلوا يدفعونها أمامهم (بلا قاطرة) ؛ لكى يصلوا بها إلى مواقع الكتائب التى كانت فى حاجة إليها : إنه العقيد (سعد درويش الشامى) وهو ضابط شئون إدارية ؛ قام بأعمال خطيرة في معركة (رفح) .

وفى نفس المعركة التى قادها اللواء (جعفر العبد) نحتاج إلى مؤلفات حيث قامت القوات المصرية فيها باعمال قتالية تدرس الآن فى المعاهد العسكرية .

سوف أسرد بعض الوقائع التى شهدتها إحدى السرايا المشاة التى كانت ضمن الكتيبة ١٢ مشاة قيادتى .

أثناء الانسحاب أمرت أحد الضباط وهو النقيب (أحمد

الزهيرى) ـ لواء متقاعد الآن ـ وكان في النسق الثاني للكتيبة : ـ أن يفرغ كل حمولة سيارات نقل الكتيبة والذخيرة والإمدادات، ويستقبل أفراد سرايا المشاة لتركب العربات مكانها، مع توزيع ما تيسر من الإمدادات على الجنود، وينتظرنى إلى أن أصل إليه . .

وفعل ذلك بكفاءة منقطعة النظير بعد أن وصلت إليه السرايا الأمامية، واستطاع حماية القوات المنسحبة .

وكنا معاً آخر من انسحب . . لدرجة أن كتيبتنا قد عادت كاملة فلم يفقد من ٩٠٠ مقاتل إلا ١٧ فرداً رغم السيادة الجوية للعدو.

وكانت أخر كتيبة تنسحب من سيناء فى حرب ١٩٦٧ بفضل الله ثم بسالة أحمد الزهيرى .

إن هذه الأمثلة القليلة توضح معدن المقاتل المصرى الذى ظلم فى كثير من الأمور التى سيذكرها التاريخ يوما ما . .

إن الذين كانوا يخططون لحرب ٦٧ كانوا بعيدين عن الذين ينفذون : فالقيادة كانت فى واد . . والقيادات الفرعية في وادٍ آخر . كانت الأوامر تصدر إلينا وما علينا إلا التنفيذ ، بغض النظر عن الاعتبارات الميدانية التي تواجهنا . . . كانت هناك خطط ولكنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ

وسأعطى نموذجا للدلالة على ذلك .

فى يناير ٦٧ ذهبت مع مجموعة من ضباط اللواء الرابع إلى منطقة(شرم الشيخ ، ورأس نصرانى)، ونفذنا عملية استطلاع شاملة للمنطقة .

وبعد المهمة الاستطلاعية : وضعنا، خطة كاملة للدفاع عن (شرم

الشيخ)، وعرضت على المسئولين وصُدّق عليها. . وبالرغم من تصديق القيادة عليها فوجئنا بعد إغلاق مضايق تيران، وبدء الحشد فى المنطقة بإرسال وحدات خاصة أخرى جديدة إلى المنطقة ليس لديها معرفة بهاوبلا خطةمدروسة وكان من المفروض أن نذهب بوحداتنا إلى هذه المنطقة التى وضعنا ـ بعد دراسة جادة ـ خطة الدفاع عنها.

وهكذا نجد فروقا شاسعة كانت بين حربىَ يونيو ٦٧ وأكتوبر ٧٣ لقد كان تخطيط حرب أكتوبر عملياً مائة فى المائة. . لقد تم تنظيم التعاون والربط والتنسيق، بحيث أصبحت هناك خطة قابلة للتنفيذ اشتركت فيها القاعدة وليست القيادة فقط. . استدعت القيادة قادة الفرق وطلبت منهم الحوار مع كل المستويات حتى قادة الفصائل بحيث يتم وضع الخطة حسب الإمكانيات المتاحة مع توجيه أسئلة محددة للجميع فيتم سؤال الفصيلة مثلا عن أمكانياتها لتنفيذ الخطة بأى عمق؟ وأى مواجهة؟ وفى أى وقت؟ وهكذا تصاعدت الدراسة من الفصيلة إلى السرية إلى الكتيبة إلى اللواء فالفرقة فالجيش وهكذا . . ثم تم ربط الخطط بعضها ببعض لتصبح خطة استراتيجية تعبوية على مستوى القوات المسلحة مع التنسيق مع كافة الأسلحة الأخرى.

فى حرب ١٩٦٧ لم يكن هناك تدريب حتى على مستوى السرية أما فى ١٩٧٣ فقد وصل التدريب إلى مستوى الجيش والقيادة العامة. . كان الجيش كله يقوم بمناورة، لهذا وصلنا إلى قمة التدريب وقمة التفاعل بين قوات ضخمة.

فى ١٩٦٧ كانت المشكلة أننا لم نتدرب على مستوى السرية. . ومطلوب أن نحارب على مستوى اللواءات.

لقد كانت حرب ۱۹۷۳ تبدو وكأنها أمتداد لإحدى المناورات الضخمة التى كانت تتم فى هذا الوقت، وهنا أذكر أن أحد المقاتلين تساءل أثناء الحرب. . متى تنتهى المناورة؟ ظنا منه أنها مناورة وليست معركة وإن دل ذلـك على شىء فإنما يدل على وصول القوات لأعلى مستويات التدريب القتالى الذى لا يفرق بين التدريب والقتال الفعلى.



قيادات مختلفة

وعلى صعيد القيادات - أيضا- فقد كانت مختلفة :

فقيادات ١٩٦٧ - مع الأسف - كان كل ما يهمها هو الاستعراض، ولم تكن قيادات حرب . .

أما قيادات ١٩٧٣ فقد كانت قيادات حرب فعلاً . . كل همهم كان المعركة وليس خارجها .

قبل ذلك كانت هناك هموم أخرى تسيطر على هذه القيادات : **هموم** سياسية خارج المعركة **سيطرت فى ١٩٦٧** ، أما فى **حرب أكتوبر** فقد كان هناك التزام كامل بالخط العسكرى دون أى حياد عنه .

لقد كان مسرح العمليات فى ١٩٦٧ غير مجهز بينما كان فى **١٩٧٣** مجهز بطريقة كاملة .

وكانت العملية فى ١٩٧٣ كبيرة . . الرديف يخرجون ويعودون ، **وفتح باب الحج** للقوات المسلحة ، **والرئيس السادات** أعلن أنه لن تحدث أية حروب ، بعكس ما كان يحدث قبل ، ذلك عندما ارتفعت الأصوات : (حنحارب . . حنحارب) . . . **وكاننا ننصح العدو** بالاستعداد لقتالنا .

فى **١٩٧٣** كنا - كما بدا للعدو . . فى إجازة ، ونذهب للحج . . وهذه كانت قمة الخداع ثم المفاجأة .

عبقرية القرار

وفى حرب رمضان تجلت عبقرية القرار:

لقـد كان حاسما لا تردد، ولا رجعة فيه، واختير التوقيت بطريقة لا يمكن أختيارهـا إلا على أساس علمى كامل، من المد والجزر، وتأثيرات القمر والشمس، وارتفاع المياه في الترع، والأهوسة.

درست كل صغيرة وكبيرة بدقة من أسوان حتى الجبهة.

شىء آخر هام:

كيف عبرت الطائرات خط الجبهة فى لحظة واحدة؛ بينما اقلعت من مطارات منتشرة على مستوى الجمهورية، وفى مناطق متباعدة؟

وفى نفس الوقت: تصبح على خط واحد فوق قناة السويس!!

إنها عملية حسابية دقيقة، وصلت إلى الجزء من الثانية قادها وخطط لها اللواء طيار (حسنى مبارك) قائد القوات الجوية.

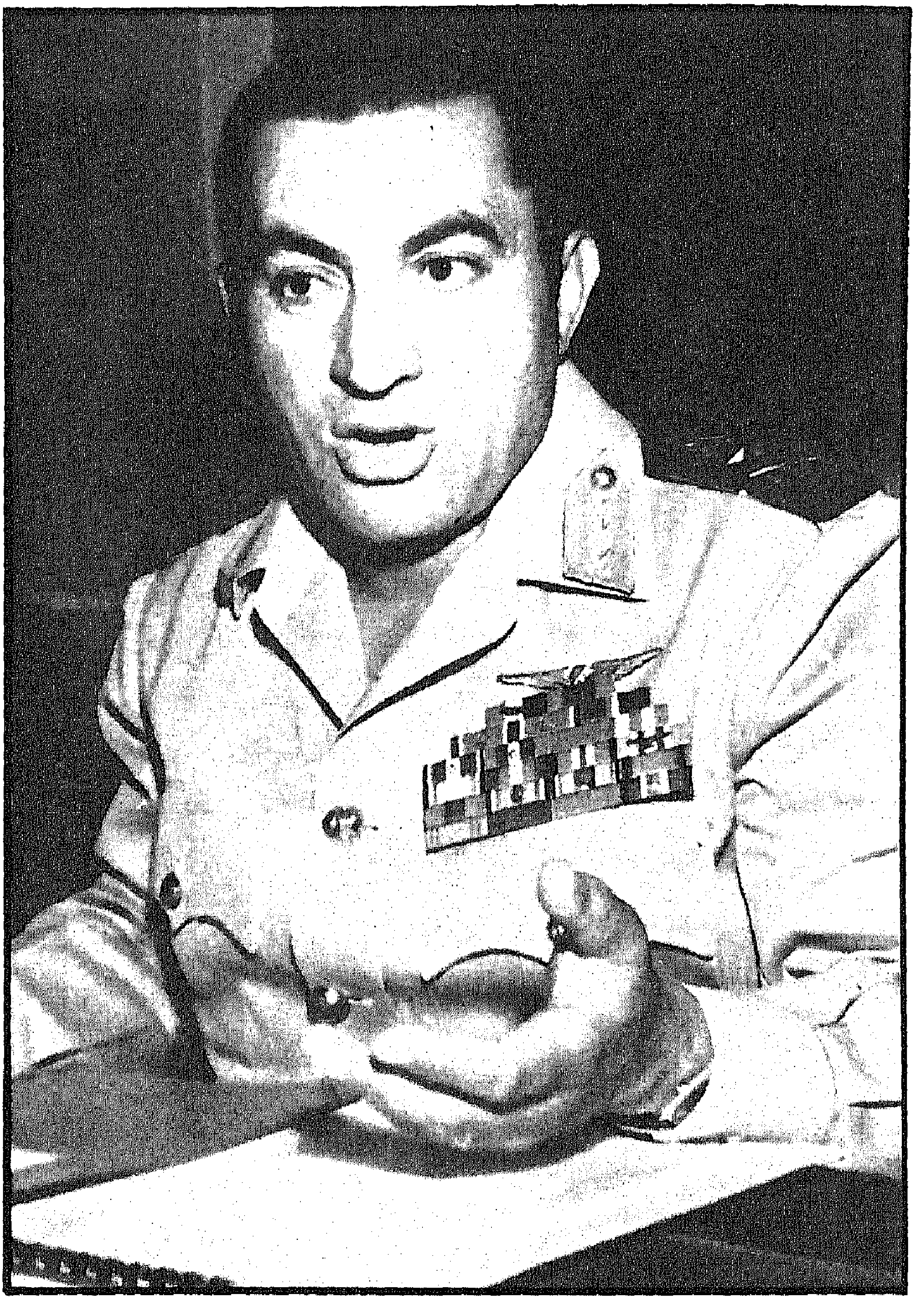
كيف تجمعت ضربة موحدة؟. وعبرت الطائرات فى ثانية واحدة؟

هذا هو إعجاز الضربة الجوية: خروجها.

وأيضا ما قامت به، الحقيقة أن وجود الطائرات المصرية فوق رؤوسنا على خط الجبهة فى توقيت واحد.. قد أشعرنا بالزهو والقوة، والثقة. وضاعف لدينا الأمل فى النصر

وضاعف لدينا الأمل فى النصر

أما إذا قارنا ذلك بما حدث فى ١٩٦٧ ـ فالمسألة مختلفة.



■ فريق طيار/ حسنى مبارك قائد القوات الجوية ومقومات النصر ■

الخطة جرانيت

ان البعض يقول: إن خطة جرانيت وضعت بعد حرب ٦٧ ، وهى نفس الخطة التى دخلنا بها حرب أكتوبر ٧٣ ، ونفذناها.

وأنا أقول : نعم. لقد كانت هذه الخطة قائمة بالفعل، ولكنها: تطورت، وتبلورت.

المهم: هو الخطة النهائية.

.. **لقد تغيرت** هذه الخطة بشكل شبه كامل.. وتغيرت فيها نقاط كثيرة: لقد اشترك فى التخطيط لحرب أكتوبر: قادة الفصائل الذين يقومون بالتنفيذ المباشر. وبدأت عملية التجميع المشترك بين الفصائل فى إطار السرايا، ثم الكتائب، وهكذا.. وبدأت الأفكار تتبلور؛ حتى أصبحت الخطة تنبثق من القاعدة المنفِّذة للمخطط الأعلى.. فمن ينفذ: أشترك فى الخطة.. ولن يستطيع التحفظ على أى شىء.

والأهم: أن المنفذ اشترك فيها بعمله وبوجدانه؛ فقناعته جذرية حيث يقوم بعمل اشترك فى تخطيطه.

بعد ذلك بدأ التنسيق المتكامل: بين قوات المشاة والقوات الجوية، والدفاع الجوى مع المدفعية والمدرعات وغيرها.. فأصبحت لأول مرة فى تاريخ حروب مصر تحدث معركة بالأسلحة المشتركة.. هذا هو الفارق.

ففى هذه المعركة.. يعلم كل شخص فيها واجبه فى إطار من التعاون الكامل الذى لم يكن قائما قبل ذلك.

وهذه العملية التنظيمية تقدم تصوراً للمعركة وما يحدث فيها، وكافة الاحتمالات المتوقعة، وكيفية مواجهتها.

كانت المسألة تشبه درسا كبيراً كاملاً لكل ما سيواجهه الإنسان؛ حتى لا يفاجأ بأى احتمال لا يتوقعه، وحتى لو حدث احتمال من هذا النوع؛ سوف يستطيع مواجهته من خلال خبرته السابقة، أو من التعامل مع موقف مماثل.

فى حرب ١٩٦٧ لم يكن هناك أى تخطيط بالمرة.. حالة لا تخطيط. مجرد أوامر متتالية.. وكلّ مجموعة تعمل بمفردها.

فى حين أنّ المهم: أن تعمل الأسلحة مشتركة.. وليس كل سلاحٍ منفرداً فالقتال الحديث هو قتال الأسلحة المشتركة.



دروس مستفادة

إن الدرس الذى تعلمناه فى حرب الخامس من يونيه قد كان له الكثير من الآثار الإيجابية فى التخطيط لحرب أكتوبر.

لقد درسنا السلبيات جميعها. . كانت ـ هناك ـ ولا شك دروس (تكتيكية) وأخرى (تعبوية واستراتيجية). ثم هناك التعرف على الفكر العسكرى الإسرائيلى .

وأستطيع أن أقرر أن نتائج الحروب ـ فى معظم الأحيان ـ فى (الاستراتيجيات) العسكرية للدول المحاربة غالبا ما تستبعد الدولة المنتصرة مبدأ ـ أو أكثر ـ من مبادئها (الاستراتيجية) لعدم حاجتها إليه ـ مؤقتا ـ بعد انتصارها .

وقد يكون استبعادها ـ أو تقليلها ـ من أهمية هذا المبدأ من أهم العوامل المساعدة لانتصار الجانب المنهزم عند تجدد القتال مرة أخرى :

إن الواقع : يؤكد أن إسرائيل ـ ومنذ قيامها ـ قد وضعت مبادىء استراتيجية ؛ تمسكت بها ؛ وعملت من جانبها على الحفاظ عليها، ولقد دفعها ذلك إلى وضع قواتها في حالة تأهب دائم، إلى جانب العمل على تنشيط جهاز استخباراتها، وأجهزة الإنذار لديها، كذلك بناء المستوطنات الدفاعية على حدودها؛ لعرقلة تقدم القوات العربية، حتى تتمكن قوات الاحتياط الإسرائيلية من التعبئة.

ولم تكتف إسرائيل بذلك؛ بل سعت إلى تفوقها النوعى؛ تجنباً لكثرة العرب العددية إلى جانب مواصلة تدريباتها لمختلف قواتها؛ حتى تتمكن

فى النهاية من توجيه ضربة وقائية أولى ضد أى استعداد عربى للحرب تشعر بـــه .

وكان من الجوانب الهامة فى العقيدة العسكرية الاسرائيلية : الحرص على نقل الحرب مع العرب إلى داخل الأراضى العربية ؛ وذلك لضمان بُعدِها عن الحدود والمراكز السكانية ، والاقتصادية الإسرائيلية

ولقد أوضح ذلك ـ (**حاييم لاسكوف**) ـ قائد المنطقة الجنوبية فى حرب ١٩٥٦ ـ فى إحـدى مقالاته التى كتبها سنة ١٩٦٨ **حيث قال** : إننـا لا نستطيع بناء خطة دفاعية تعتمد على القتال فوق أراضينـا . . . وهذا يعنى نقل الحرب إلى أرض العدو، وإذا كان هذا الاستنتاج صحيحا : يجب أن تتغير جميع اتجاهاتنا فى المستقبل بالنسبة إلى تخطيط هيكلية الجيش وتدريب الجنود،

إن شرط قدرتنا على ضرب العدو فوق أراضيه هو: استخدامنا لتقنيات تعتمد على الحركة السريعة وإذا ما هوجمنا يجب علينا أن ندافع عن أنفسنا فى مكان الهجوم ولكن علينا أن نهاجم فى النقطة التي نجدها أكثر ملاءمة لذلك .

من ناحية أخـرى ركـزت إسرائيل على مبـدإ ضرورة خوض معـارك قصـيرة، وذلـك لاعتبارات : سياسية ، واقتصادية ، وعسكرية ، فقد كان تقدير إسرائيل دائما أن الدول الكبرى، ومجلس الأمن الدولى؛ لن تسمح باستمرار حروب طويلة .

لذلك يجب ـ من وجهة النظر الإسرائيلية ـ : **تحقيق** قدر من الأهداف الرئيسية للحرب خلال وقت قصير قدر الإمكان .

هذا إلى جانب أن الجيش الإسرائيلى يتــألف معــظمـه من جنـود

احتياطيين، تتم تعبئتهم وقت الحـرب. بينما يشكلون وقت السلم نسبة مهمة من الأيدى العاملة، الشابة في مختلف المرافق الاقتصادية الإسرائيلية.

لذا كان حرص إسرائيل على إنهاء حربها فى أقصر وقت ممكن، حتى لا يصاب أقتصادها بأضرار كبيرة.

كما أن قصر الحرب يعد عاملاً هاماً، يقلل من نسبة الخسائر البشرية فى صفوف القوات الإسرائيلية.

وعنـدما وقعت حرب ١٩٦٧، وتغير الحال ـ حيث الواقع الجديد وسيطرة إسرائيل على مساحات شاسعة على طول حدودها مع مصر وسوريا والأردن وبالتالى أصبح لها عمق استراتيجى كانت تفتقر إليه فى الماضى كما بعدت خطوط المواجهة عن المناطق السكانية والاقتصادية الحيوية ـ أدى هذا بدوره إلى تقليل أهمية مبـدإ توجيه الضربة الأولى، وبالتالى إلى عدم التيقظ لأهمية عنصر المفاجأة.

وبـالـطبـع: أدى عدم الاكثرات بهذين المبدأين: ـ بفعل الانتصار الإسرائيلى ـ إلى جانب ما توفر لدى الجانب المصرى من عوامل إيجابية، بناء على المستـوى العسكـرى العالى ـ لم تكن في الحسبان ـ إلى خلق حقائق جديدة انتهت بذلـك إلى الانتصار الساحق للقوات المسلحة المصرية فى حرب ١٩٧٣.

الأمـر الـذى دفع إسرائيل إلى مراجعة حساباتها، وكان من أبرزها: إدخال تغييرات جديدة على العقيدة العسكرية الإسرائيلية كان من أهمها :

الضربة الأولى

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ : عاد مبدأ الضربة الأولى، أو شن الحرب الوقائية **ليصبح** المبدأ الأساسى؛ بعد أن نبه المسئولون العسكريون الإسرائيليون بأهمية الأخذ به. وإن كانت ـ هناك ـ بعض الأراء ترى غير ذلك.

لقد كانت القوة الرادعة تشكل أحد المبادىء الهامة فى العقيدة العسكرية الإسرائيلية قبل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، **وكان** رئيس الأركان الإسرائيلى **(دافيد اليعازر)** الذى شغل منصبه هذا من سنة ١٩٧٢ إلى سنة ١٩٧٤ من المشجعين على أهمية الأخذ بهذا المبدإ **قائلا** :

إن الهدف الأول للجيش الإسرائيلى: هو الحفاظ على قدرته الرادعة، فإذا لم نستطع منع الحرب: نكون قادرين على تحقيق نصر سريع حاسم، كما كان الحال فى السابق . .

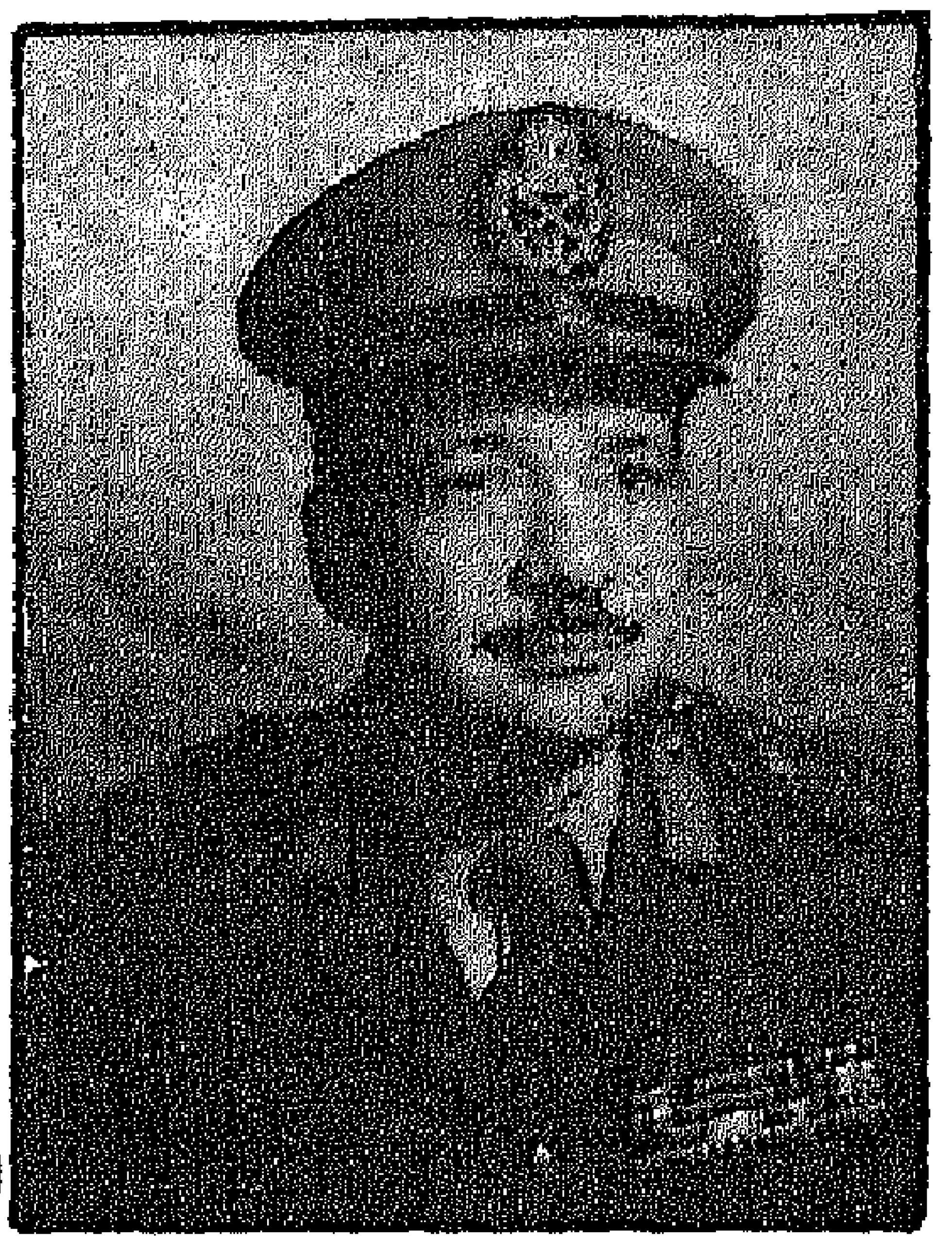
وكان **(عيزرا فايتسمان)** وزيرا الدفاع الإسرائيلى السابق **يؤيد** وجهة نظر **(دافيد اليعازر)** **حينما قال** :

ينبغى لأية دولة لا تسعى إلى الحرب أن تؤمن لنفسها أقصى درجة من الردع، أى أن تمنع من البداية نشأة ظروف تجبرها على شن حرب فعلية، كى تحقق أهدافها السياسية، أو لتمنع العدو من أن يجبرها على الخضوع لإرادته. ويمكن أحراز ذلك من خلال إقناع العدو بأن كل جهد عسكرى من جانبه محكوم عليه بالفشل سلفا.

ولكن عقب حرب أكتوبر: تعرض مبدأ **القوة لانتقادات شديدة** فى الأوساط الإسرائيلية.



■ اللواء جعفر العبد بطل معركة رفح عام ١٩٦٧ ■



■ اللواء على غزى ■



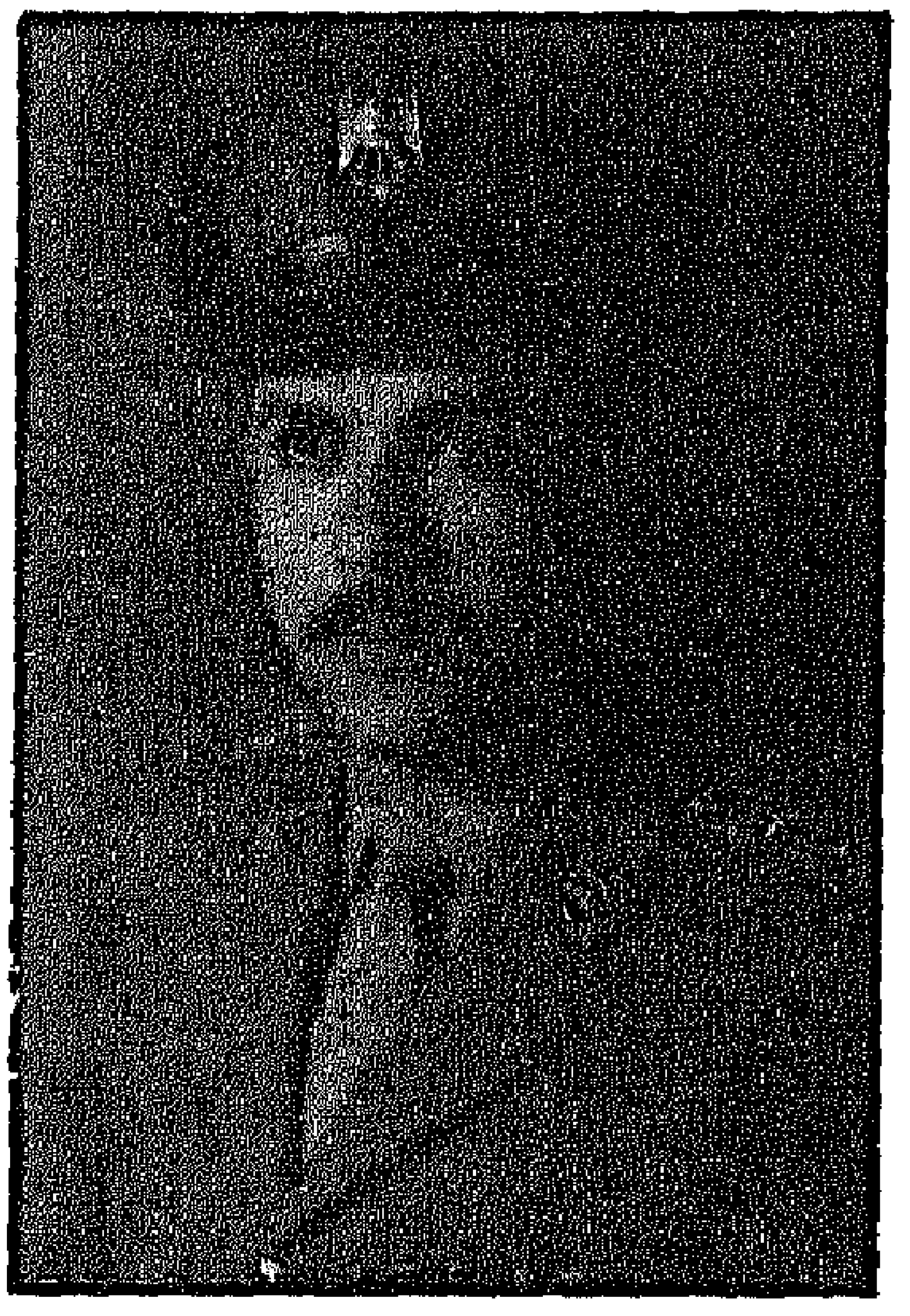
■ العقيد يوسف عفيفى أثناء حرب اليمن عام ١٩٦٣ ■



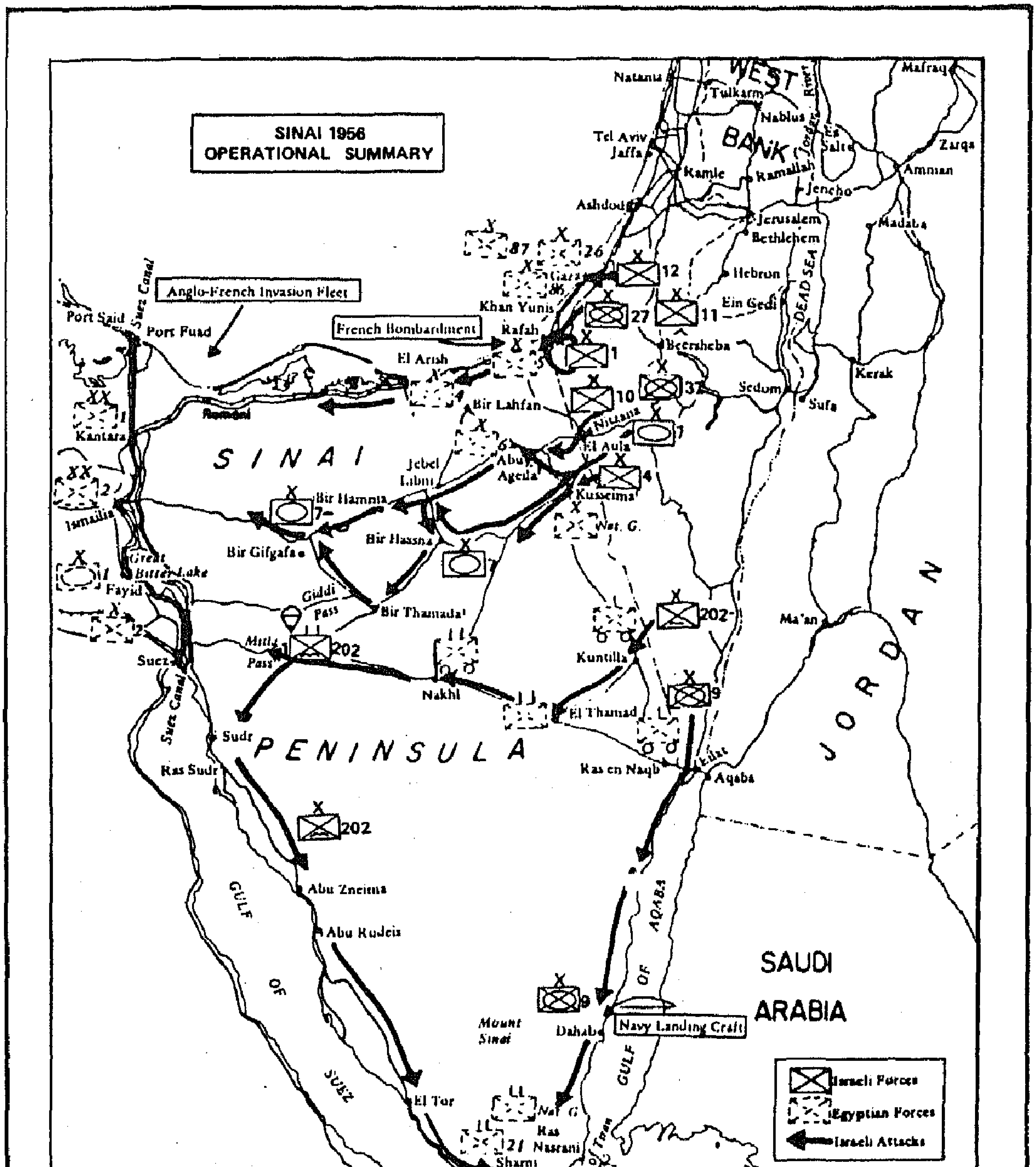
■ الشهيد العقيد سعد الشامى بطل معركة رفح عام ١٩٦٧ ■



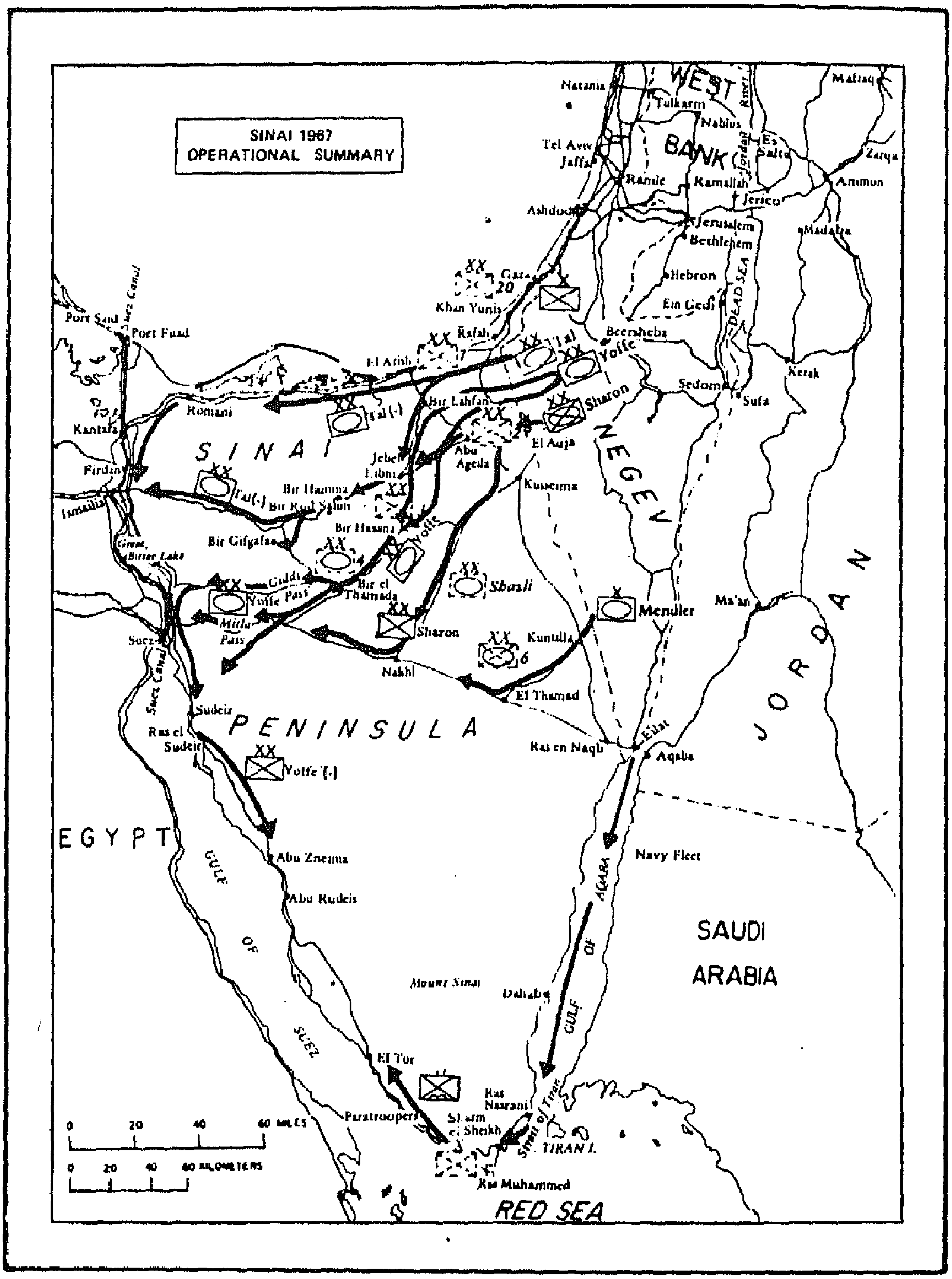
■ اللواء أحمد متولى الزهيرى ■



■ الشهيد العقيد كمال رؤوف - استشهد فى معركة المليز عام ١٩٦٧ ■



■ خطة العمليات الإسرائيليه عام ١٩٥٦ ■



■ خطة العمليات الإسرائيليه عام ١٩٦٧ ■

الفصل الثانى
ملحمة العبور

* أيام قبل العبور.

* حرب أكتوبر كانت ملحمةً بكل الأبعاد والمقاييس العسكرية.

* أجسام المقاتلين سلما لتسلق الساتر الترابى

* مقاتل يحمل أحشاءه بيديه ويقتحم أقوى النقاط الحصينة للعدو

* عندما قفز أبطال الفرقة ١٩ مشاة فوق دبابات العدو لنسفها

* المركبة البرمائية التى نقلت لواء مشاة، وغرقت عندما غادرها آخر جندى.

يا لها من أيام صعبـــة . . مريرة قاسية . . تلك الأيام التي أعقبت انقشاع غبار حرب يونيو ٦٧ . .

ها هم قادة إسرائيل وصقورها . . مالت بهم الرؤوس من نشوة الانتصار الساحق على الجبهات العربية الثلاث !!

ها هى حملاتهم الإعلامية؛ المشبعة بالغرور والغطرسة: لقد انتهت الحرب . . . ليست حرب الأيام الستة وحدها . . . بل انتهت كل الحروب وحسم الصراع العربى الإسرائيلى إلى الأبد لصالح المنتصرين.

وهذا هو (**موشى ديان**). نجم هذه الحرب . . يزهو بأنه قد حسم المعـركـة فى ستـة أيام فقط . !! **لقـد دفعه صلفه**، وغروره: **أن يعلن فى** التلفـزيون والإذاعـة الإسرائيلية **عن رقم تليفـونه**؛ الذى سيحتاجه حتما الزعماء العرب، فهو ينتظرهم ليتحدثوا إليه . . قريبا جدا . . . ، ليعلنوا له استسلامهم واعترافهم بإسرائيل الكبرى.

ها هى الأفـراح والنشوة تملأ كيان كل إسرائيلى . . عبارات الإنتصار والصلف تتردد فى أرجاء الشارع الإسرائيلى.

وأما على الجانب الآخر: فقد بلغت القلوب الحناجر، والمرارة سدت الحلوق، واليأس يخيم على مشاعر الشارع العربى فى سائر أقطاره.

وعلى الرغم من أن الوقائع الرسمية لحرب أكتوبر حدثت يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ : لكن الحقيقة تؤكد:أن هذه الحرب بدأت بعد هزيمة يونيو مباشرة.

كانت هنـاك **ثلاث مراحـل**: مرحلة **الصمود** . . ومرحلة **الردع** . . ومرحلة **الاستنزاف** . . وقد حققت هذه المراحل الثلاث استنزاف قوة الجيش الإسرائيلى، وعدم إتاحة الفرصة لأفراده من العيش بأمان على الأرض التي احتلت . . كما كانت تدريباً واقعياً وميدانياً على القتال.

لقد كانت هذه المراحل الثلاث: بمثابة «بروفة» للمعركة الكبرى. .

لقد اعتقد قادة إسرائيل. أن حرب يونيو ٦٧ قد أنهت جميع الحروب بينهم وبين العرب،

أما على الجانب الآخر فقد كان الجميع مؤمنين بأنها مجرد كبوة فارس، فقد كانت البداية بعد حرب يونيو مباشرة، وحتى أغسطس ١٩٦٨ كانت مرحلة الصمود. . وكانت معارك (رأس العش) هى بداية مرحلة جديدة.

فى هذه المرحلة شهدت جبهة القتال أحداثا لها دلالتها. . ففى ١٤ يوليو ٦٧ انطلقت البقية الباقية من طائرات القوات الجوية المصرية تقصف قوات العدو المدرعة في عمق سيناء.

ودارت معارك جوية ضارية، أذهلت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وسجلت وكالات الأنباء العالمية: ذعر وهلع الجنود، والقادة الإسرائيليين.

وفى يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تسجل البحرية المصرية حدثا فريدا بإغراقها للمدمرة (إيلات). وتتوالى الأيام، وتبدأ مرحلة الردع فى سبتمبر ١٩٦٨ إلى مارس ١٩٦٩.

وتبدأ الدوريات المصرية فى العبور، والقيام بأعمال متعددة تدمر فيها للعدو بعضا من قطعه، وتأسر عدداً من أفراده.

وفى مارس ١٩٦٩ تبدأ مرحلة الاستنزاف. . حيث تقوم المدفعية المصرية على طول المواجهة بقصف العدو، وتحطيم أكثر من ٨٠ ٪ من تحصينات وقلاع خط بارليف - ويومها - استشهد الفريق أول (عبدالمنعم رياض) رئيس أركان حرب القوات المسلحة.

وبعدها تتابع القوات المصرية مخططها لاستنزاف العدو، فكانت

عمليات ، العبور، والإغارة على العدو شرق القناة ليلا ونهارا ؛ تدمر معداته، وتقتل وتأسر أفراده.

وأصبحت عمليات العبور ـ ليلا ـ أملاً يراود كل ضابط وجندى ؛ بل أصبحت هذه المهام وساما يعلق على صدور الرجال.

ثم تبدأ القوات المسلحة المصرية مرحلة جديدة . . وأحداثا هامة ؛ لها دلالتها وسط ظروف معقدة ومتشابكة ، وفى فترات تباينت فيها الأحداث بين حالة «اللا حرب واللا سلم» (والاستنزاف) و(الحرب شبه المنظمة) . . (والردع المضاد)

لقد شهدت سنوات الصمود ساعات وأياما صعبة على الجميع : قادة ، ومقاتلين ، كما شهدت عملا متواصلا وعلى كافة المجالات . .

فى أواخر عام ١٩٧٢ كانت مصر قد استنفدت كل الوسائل الدبلوماسية لتحريك القضية :

فقبلت كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . . وقبلت أيضا كل المبادرات الدولية ، وأيدت مساعى الدول غير المنحازة ، والدول الأفريقية . .
ثم قبلت مبادرتى (روجرز) الأولى والثانية ومبادرة (يارنج) .
لكن إسرائيل كانت لا تزال واقفة عند تعنتها واستمرارها فى احتلال الأراضى العربية .

كان قرار القيادة السياسية : أن مصر لن تخرج من حالة «اللا حرب واللا سلم» إلا بالقوة المسلحة ، وكان الاختيار: هو القيام بجهد عسكرى يفوق حرب الاستنزاف التى استنفدت أغراضها.

وقد سبق هذا التخطيط ـ ومنذ اللحظة الأولى لانتهاء حرب يونيو ٦٧ ـ جهد خارق، قامت به القوات المسلحة ؛ تمثَّل فى إعادة تنظيم القوات

المسلحة التى تحطمت فى هذه الحرب الخاطفة، **ثم العمل الشاق والدؤوب** لبناء القوة الدفاعية على طول قناة السويس، بل وداخل العمق المصرى،

ثم هذه المرحلة الهامة: وهى **الإعداد** لمعركة تحرير الأرض وما تبعه من تدريب شاق على المعدات الحديثة **إضافة إلى**: دراسة كل التفاصيل التى أحاول أستدعاءها من ذاكرة تنبض بالأحداث التى لا يمكن ان تمحى من وجدانى وكذلك من أوراق ظللت أحتفظ بها طويلا حتى جاء وقت الإفراج عن بعضها، وصورٍ لا تزال ماثلة فى خيالى، تكاد تنطق ويعلو صوتها.

يالها من أيام !!.

لم تكن قناة السويس وخط بارليف مجرد مانع حصين - فحسب - فى مواجهة القوات المسلحة المصرية، **لكنها كانت** مانعا فريدا ليس له مثيل فى العالم بأسره، بل إن التاريخ العسكرى لم يشهد مانعاً - عبرته قوات - مثله.

وهنا أذكر: أن الجنرال **(دافيد اليعازر)** رئيس أركان الجيش الإسرائيلى قد قال قبل حرب أكتوبر بعدة اشهر: **(إن خط بارليف)** سيكون مقبرة للجيش المصرى.

لكن إرادة الله قبل كل شىء، **ومن بعدها** التخطيط الجيد، والتدريب الشاق، والروح المعنوية لدى المقاتل المصرى وإصراره على أن يعيد للعسكرية المصرية اعتبارها: كان وراء اقتحام هذا الخط، وتحويل دفاعاته الاسطورية إلى مقبرة **(لإليعازر)** الذى تم عزله بعد الحرب من منصبه.

بل إن رئيس أركان الجيش الإسرائيلى قد صرح بعد حرب أكتوبر قائلا: لقد كانت أكبر مفاجآت هذه الجولة: هى روح المقاتل المصرى العالية، وكفاءته.

لقد حرصت القيادة المصرية على دراسة كل شىء، وتهيئة الظروف للمقاتلين، لإظهار كفاءتهم، وقدراتهم القتالية الكامنة.

فقد وضعت خطة العبور: بحيث يعبر المقاتلون القناة وسط سد من اللهب؛ والنيران ليصلوا إلى الضفة الشرقية بسلاحهم وعتادهم، ويتسلقون الساتر الترابى العالى، ويقتحمون تحصينات وقلاع العدو ويقومون بتدميرها، ثم يصدون ضربات العدو المدرعة، وقصفات طيرانه، **ثم يُرفع** علم مصر خفاقاً فوق قمم قلاع العدو الحصينة.

كان على المقاتلين ـ أيضا ـ أن يتابعوا تقدمهم وفقا للخطة.

كان كل ذلك وغيره من المجهود الحربى: يحتاج لمستويات رفيعة من الإعداد والتدريب.

ولم يكن ذلك أمراً سهلاً.

لم تكن عملية فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية؛ لإقامة الكبارى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة: بالأمر اليسير. وكانت فكرة مدافع المياه التى ابتكرها الشهيد اللواء مهندس **(جلال سرى)** أحد أبناء القوات المسلحة المصرية، والتى تم تجربتها عشرات المرات على نماذج متشابهة.

وقد استطاعت مدافع المياه هذه أن تفتح ٨٥ ممرا فى الساتر الترابى خلال ٥ ساعات.

ثم كانت أعمال المدفعية وأسلحة الرمى الأخرى: بالغة العنف والدقة، لتنفيذ أقوى تمهيد نيرانى شهدته الحروب الحديثة.. لقد كان كل شىء معداً إعداداً دقيقا.

إننى أستطيع القول-وبمنتهى الثقة ـ أن حرب أكتوبر: هى الحرب

الوحيدة، الحقيقية، التى خاضتها القوات المسلحة المصرية. بكل الأبعاد والمقاييس العسكرية . . .

لقد كانت الخطة الموضوعة على أعلى المستويات الاستراتيجية.

والشيء الذى لا يعرفه الكثيرون: أن القيادة العامة كانت شديدة الارتباط بالقيادات الميدانية.

ومن هنا فقد شارك الجميع فى وضع الخطة . . أى أن الخطة جاءت ـ ولأول مرة ـ من أسفل إلى أعلى . . ثم انتقلت من القيادة العليا إلى القيادات التنفيذية الميدانية، بعد أن تمت دراستها، وتدقيقها

وكان العمل: شاقا ومستمرا، من أجل الإعداد لساعة الصفر (س) . . .

لقد كانت: الجدية، والإيمان: هما الطابع الذى يسود خلال مراحل الخطة المختلفة، وعند خطوات التنفيذ أيضا.

لقد تزامن الإعداد العسكرى، ووضع الخطة، مع الإعداد: السياسى، والمعنوى، والنفسى، والروحى، والاجتماعى، لكل المقاتلين.

وكان الدافع كبيرا عند القادة والمقاتلين للأخذ بالثأر، وإعادة الاعتبار للعسكرية المصرية؛ لذلك كان كلما طالت فترة الانتظار، والترقب للقرار، كان ذلك دافعا لمضاعفة الجهد والاستعداد.

كان تحدى أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر: واحدا من أهم أهدافنا.

كان وجود خط (بارليف) أمامنا يمثل واحدا من أكثر التحديات التى قررنا أن نواجهها رغم كل الدعاية التي أحاط العدو بها نفسه

من هنا: فقد أخذنا ندرب قواتنا على اقتحامه وتدمير نقطه القوية والحصينة التى أعلن فى مناسبات عديدة استحالة أختراقها.

ظروف صعبة

لن أنسى ما حييت هذه اللحظات الحرجة . .

فلم تكن الفتحات الشاطئية فى الساتر الترابى قد فتحت أثناء عبور **الفرقة ١٩ مشاة** . . وظلت القوات فى سيناء **٢٦ ساعة** بدون دبابات ومدفعية .

كانت معهم فقط : الأسلحة الخفيفة . . لقد كان **مقرراً** : أن تقوم القيادة الأعلى (قوات مهندسى الجيش الثالث) بفتح الساتر، وتجريف أجزاء منه خلال ٦ ساعات ، **ولكن ذلك** لم يحدث ؛ لصلابة التربة فى هذه المنطقة ؛ المواجهة للفرقة وقد ظلت القوات ؛ بالرشاشات ، والأسلحة المضادة للدبابات ، ومساندة المدفعية من الخلف ٢٦ ساعة : تواجه خلالها نيران القوات الإسرائيلية بصدورها .

لقد كان **موقفاً صعباً** بالطبع .

ففى هذه المنطقة ـ بالذات ـ لم تستطع مدافع المياه التى يوجهها المهندسون تجاه الساتر الترابى أن تحدث الفتحات المطلوبة لصلادتها .

ومن ثم فقد تحولت المناطق حول أماكن الفتحات الشاطئية فى الساتر الترابى إلى مستنقع من الطين وبالتالى فقد أصبحت عملية الصعود صعبة للغاية . . وعند صعود مركز قيادتى للساتر .

كانت **لحظات صعبة** . . لا يمكن أن تمحى من ذاكرتى . .

حقيقة : حاولنا فى البداية . . ولم نستطع . .

وفجأة قفزت إلى ذهنى فكرة ، سرعان ما أصدرت الأوامر بتنفيذها . .

أمـرت الضبـاط وصف الضباط والجنود بمركز قيادتى المتقدم: بان يستلقوا بأجسامهم على الساتر فى صف، كسلم، ليصعد زملاؤهم بالتناوب من أسفل، إلى أعلى. على ظهورهم، حتى يصلوا إلى أعلى الساتر. .

وبالفعل حدث هذا، ولم يصب أحد بسبب لين الأرض تحتهم. .

وبعـد مضى سـاعـة كان الـطين قد جف فوق ملابس المقـاتلين وأصبحت إزالته سهلة.



التجربة أفادتنى

ولعل القارىء العزيز يتسائل: من أين أتتنى هذه الفكرة؟

لقد أسترجعت وأنا فى هذا الموقف الصعب: ما حدث لى مرة عندما كنت اخدم فى (وادى حلفا) بالسودان.

ففى رحلة صيد مع بعض الأصدقاء السودانيين فى إحدى الجزر النيلية رأيت «أرنبا» أمامى، أردت صيده فقفزت ووجدت نفسى فى مستنقع طينى، وفوجىء رفاقى، فقد كان من الممكن أن أغوص فى الطين ولا يستطيع أحد إنقاذى، أو حتى الاقتراب منى، وكل ما قالوه: أن أفتح يدى فى أكبر فتحة ممكنة، وقاموا بإلقاء عدد من الصحف لى، وقالوا: «حاول أن تتشبث بموقعك، وتحرك نفسك: رويداً... رويداً»..

حاولت ذلك حتى قفزت.. وخرجت من هذا المستنقع اللعين...!

لقد استفدت من هذه التجربة، بفكرة لم أعرف وقتها كيف أستفيد منها... وهى أنه فى الموقع الطينى؛ يجب أن يكون جسم الإنسان مستلقيا فى أكبر مسطح منه على السطح، حتى لا يغوص.. لقد أفادتنى هذه الحادثة فى موقف صعب؛ يوم العبور..

وهكذا.. فإن تجارب الإنسان لا تذهب سدى.



قتال شرس

القتال ليلاً والاستيلاء على مركز قيادة العدو.

إن **الفرقة ١٩ مشاة** هى الفرقة الوحيدة التي قامت بهجوم ليلى . . وأود هنا أن أذكر: أن كل تدريبات العدو،كانت تتركز على العمل الليلى ، والأعمال القتالية فى الليل . . كنا نرى ذلك بأعيننا قبل الحرب . . وقد كانت حساباتنا : أن عمليات العدو ستكون ليلية ، لكن المفاجأة : أن العدو لم يقم بعملية ليلية واحدة . . وقد قمنا نحن فى **الفرقة ١٩ المشاة بذلك يوم ١٠ أكتوبر** ـ عند تنفيذ المهمة التالية للقتال ـ وعلى محور ممر «**متلا**» أبلغ قائد اللواء : أنه وصل إلى الخط المحدد له ، فأبلغت القيادة بذلك . . لكننى أردت أن أقوم بعملية متابعة للتأكد بنفسى من الموقف : فتحركت أنا ومساعد قائد الفرقة العميد (**على سعد إبراهيم**) فى اتجاهين مختلفين ، للتأكد من وصول القوات لخط المهمة المحدد على الحد الأمامى ، **وعندما وجدت** أن قوات اللواء لم تقف على «الحد» المخطط لها . أصبحنا فى موقف حرج .

كان لا بد من أن أخوض معركة بأسرع وقت ممكن لكى أصل إلى الخط المحدد حتى لا تحدث «ثغرة» يمكن أن ينفذ منها العدو، ويقوم بهجوم مضاد . .

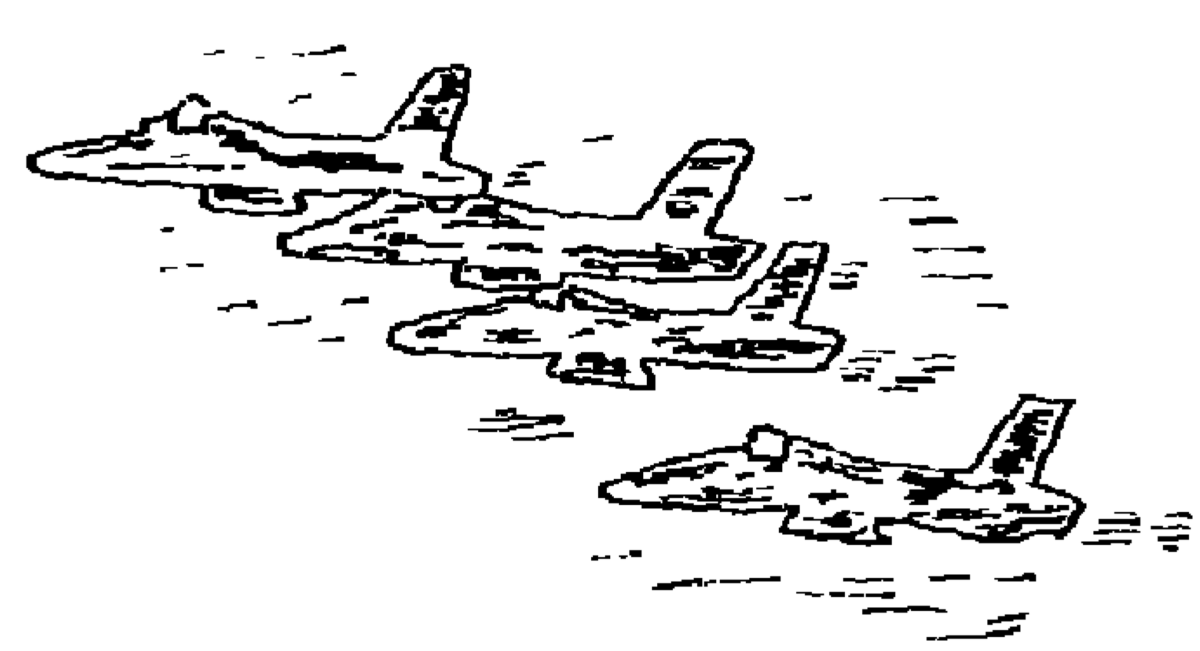
قمنا بإعداد خطة للهجوم الليلى الصامت وبالفعل قمنا بالهجوم . . ووصلنا إلى خط المهمة . . **بل تجاوزناه** .

المهم . . أننا أثناء تجاوزنا للخط قمنا بالاستيلاء على مركز قيادة العدو فى «**متلا**» . . لقد كانت معركة ناجحة تماما . . فلم يكن العدو يتصور أننا

سنقوم بهجوم ليلى صامت، ولم يكن يتوقع - أيضا - أن نصل إلى مركز قيادته.

والحقيقة أن هذه المعركة لم تكن مقررة فى الخطة.. حيث تجاوزنا خط المهمة بحوالى ٢ كيلو فى الأمام.

وكانت مفاجأة.



سقوط أقوى النقاط الحصينة للعدو

أود هنا أن أسجل أن الاستيلاء على النقاط القوية الحصينة للعدو لم يكن بالأمر اليسير

لقد كان بعضها يستلزم قتالا شرساً. وأعمالاً بطولية، ومقاتلين من نوع خاص.

النقطة ١٤٩ والشهيد: محمد زرد

فعلى سبيل المثال **النقطة ١٤٩** القوية بالشط عند مدخل طريق«**متلا**»

هذه النقطة. شهدت قتالاً بطولياً لمقاتلينا... لقد حاول العدو أن يتمسك بها نظراً لأهميتها (**الاستراتيجية**)، وكانت هذه النقطة ـ بالذات ـ من أقوى نقاط العدو الحصينة، وأخطرها على (**خط بارليف**). **لقد تم حصارها ومهاجمتها بكتيبتى مشاة، وثالثة مدرعة؛ لمدة تزيد عن ٤٨ ساعة.**

لقد هاجمناها على فترات، لكنها لم تسقط..

وهنا لا بد وأن أقول إن التاريخ لا بد وأن يقف طويلا وهو يسجل باحترام شديد ما قام به المقاتل «**محمد زرد**» فى هذا اليوم التاريخى.

لقد تقدم «**زرد**» مطالبا بالتطوع لمهاجمة هذه النقطة الحصينة، وبالفعل قام ومعه ٨ مقاتلين فقط تنفيذ تلك المهمة الصعبة

وقامت هذه المجموعة بالتسلل خلال حقول الألغام، والأسلاك الشائكة الكثيفة، وعندما وصل إلى قمة النقطة تلقى «زرد» دفعة نيران مركزة، أصابته إصابة بالغة فى بطنة أخرجت أحشاءه.

لكن هذا البطل أبى إلا أن يكمل مهمته، حمل أحشاءه بيديه واقتحم النقطة مع رجاله !! واستمر يقود المعركة وهو جريح ينزف حتى سقط الحصن، واستسلم من فيه . . .

رحم الله الشهيد «زرد» فقد كان مقاتلا فذا ومثلا يحتذى به فى التضحية والفداء .

تطوير الهجوم شرقا

وبعد أن قمنا بالاستيلاء على النقط الحصينة بالشط وحوض الدرس .

وفى اليوم التاسع من أكتوبر، وبالتحديد فى السابعة والنصف صباحاً : بدأنا فى تطوير الهجوم شرقا، وكان العدو قد بدأ في استعادة توازنه بعد مفاجأة الضربة الأولى .

بدأ يتصدى لنا بمجموعة كبيرة من الدبابات، ودارت معارك ضارية : بين دبابات الفرقة ١٩ المشاة، ودبابات العدو المزودة بالصواريخ المضادة للدبابات .

وعلى الرغم من ضربات العدو بمختلف الأسلحة المضادة للدبابات وطائرات (الهليكوبتر)، والمدفعية : استطعنا تحقيق مهمة الفرقة وتطوير الهجوم شرقاً .

بل أستطيع أن أقول : اننا قد تجاوزنا المهمة المكلفة بها الفرقة فى الخطة وذلك بالاستيلاء على مراكز القيادة للعدو فى (عيون موسى) و(جبل المر) و(متلا) .

ومن المعروف عسكرياً : أن الاستيلاء على المناطق المرتفعة والهجوم عليها يعد من أخطر ما يواجه أى مقاتل؛ حيث أنه يكون تحت مرمى نيران العدو، لقد واجهنا هذا الموقف عندما طورنا هجومنا شرقا نحو سيناء، وكان

علينـا أن ننفـذ عملية الاستيلاء على منطقة (**جبل المر ـ ومتلا ـ وعيون موسى**)، **وهى منطقة تلال مرتفعة، كان العدو يتمركز فيها، ويقيم بها مراكز قيادته الحصينة**.

المقاتل : الفاتح وجبل المر

وهنا لا بد من أن أذكر حقيقة لقد ضرب قائد اللواء الثاني الميكانيكى **بالفرقة ١٩** المشاة العميد (**محمد الفاتح كريم**) أروع الأمثلة، لما يجب أن تكون عليه مسئولية القائد، وذلك عندما توقفت قواته تحت وابل من نيران المدافع المضادة للدبابات، المحمولة على طائرات (الهليكوبتر) للعدو فأسرع بقيادة فصيلة مشاة، ومعه فصيلة أخرى بقيادة المقاتل (**على الغليظ**) حيث طوقا (**جبل المر**) **واحتلاه**.

وبذلك سهل للواء بأكمله تحقيق المهمة.

ليـال لهـا تاريـخ

وأذكـر أنه فى يوم ١٠ **أكتوبر** تم الاستيلاء ـ **ليلاً**ـ وفى معركة قتالية صامتة ـ على مركز قيادة العدو الحصين وعلى محطة ضخ المياه الرئيسية لمحور «**متلا**» وكان يوما ٩ ، ١٠ **أكتوبر** من أصعب أيام معارك **الفرقة ١٩** المشاة وهى أيام مشهودة وخالدة فى سجل إنجازاتها العظيمة.

كما **أذكر** أيضا أنه فى يوم ـ ٩ **أكتوبر** ـ كان العدو قد بدأ يفيق من المفاجأة بعد أن كنا قد نفذنا كل المهام المحددة لنا من القيادة قبل موعدها المقرر، **وهنا بدأ** العدو يوجه هجومه المضاد بالدبابات، ضد رأس كوبرى الجيش الثـالث، وأخـذ يقـوم بعمل ستائر كثيفة؛ من الأسلحة المضادة للدبابات على جميع المحاور؛ مستهدفا منع تقدم قواتنا.

وعلى الرغم من قيامه بإغلاق كل المنافذ، والطرق، إلا أننا استطعنا اختراق هذه الخطوط الحصينة وشهدت (عيون موسى) و(جبل المر) معارك رهيبة. وسجل رجالنا: بطولات، وجسارة لا يمكن تصورها.

معركة جبل المر

ولنأخذ معركة جبل «المر» ـ على سبيل المثال ـ باعتباره النقطة الحاكمة، التي تسيطر على رأس الجسر فى الجنوب؛ ليس على الفرقة ١٩ فقط. بل على الجيش الثالث بأسره.

عندما توقفت دباباتنا عن التقدم أمام حاجز نيران الأسلحة المضادة. كان الحل الوحيد: هو الاستيلاء على قمة الجبل، وكانت المفاجأة عندما تقدم قائد اللواء الميكانيكى وتسلق الجبل سيراً على الأقدام لمسافة (كيلو متر، ونصف الكيلو) مع وحدات صغيرة من قناصى الدبابات.

وعندما سيطر على القمة: أوقع العدو فى مصيدة صواريخ «فهد» واضطر العدو للهروب بدباباته شرقا. . .

إن هذه المعركة لم يلق عليها الضوء الكافى، لكن العدو ذكرها فى تحليلاته ليوم «الغفران» باعتبارها من المعارك الضارية، التى خاضها في مواجهة قوات الفرقة ١٩.

معركة متلا

وأتذكر هنا: معركة «متلا»

هذه المعركة التي تعد نموذجا للصمود والشجاعة، ووساماً للعسكرية المصرية فى التضحية والفداء. .

فعندما حاول العدو القيام بهجوم مضاد وعنيف على هذا المحور: كانت المفاجأة؛ التى لم يتوقعها: حينما تصدى أبطال المشاة المصريين للدبابات الإسرائيلية، وأخذوا يقفزون فوقها بفدائية منقطعة النظير، لينسفوها.. !! بينما أنسحبت بقية الدبابات الإسرائيلية مذعورة غير مصدقة لما تشاهده..

وعلى محور (عيون موسى) تم الاستيلاء على مركز القيادة المتقدم للعدو، والاستيلاء على موقع المدافع الستة الضخمة.. هذه المدافع الشهيرة التى كانت تقذف فى وحشية وشراسة (مدينة السويس) و(الزيتيات).

لقد كان رجالنا يتشبثون بالأرض، وقاموا بتعزيز مواقعهم الجديدة التى كانوا يكتسبونها بسرعة فائقة في عمليات ليلية صامتة.

يوم ١٢ أكتوبر

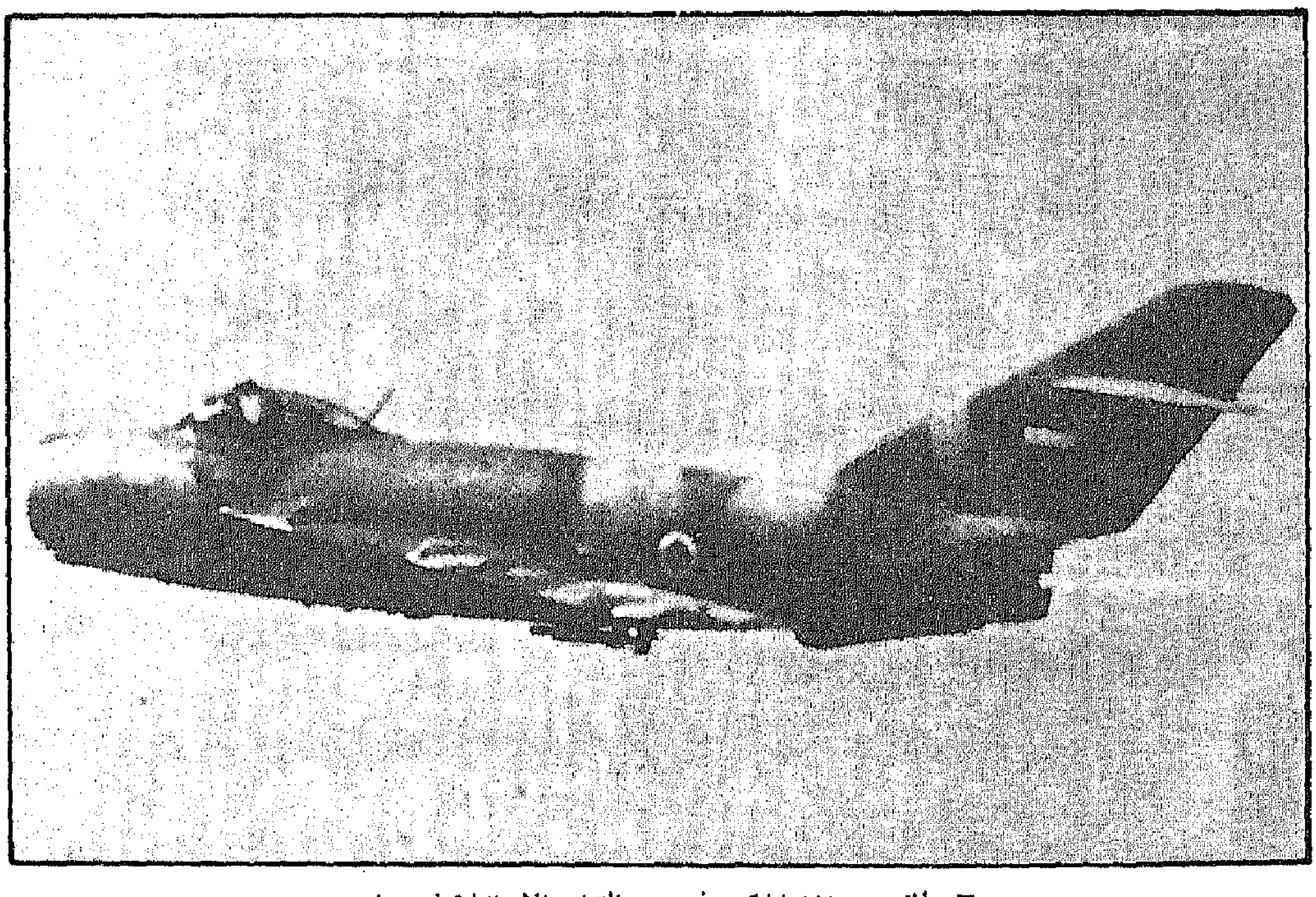
لعل يوم ١٢ أكتوبر هو يوم آخر من الأيام الخالدة لإنجازات **الفرقة ١٩** فعندما فقد العدو مركز قيادته فى (متلا) على المحور الرئيسى: جن جنونه، وأخذ يهاجم بشراسة، وتتابعت موجات طيرانه تضرب بكثافة، وأخذت مدفعيته عيار ١٧٥ مم و ١٥٥مم تزمجر.

ثم حاول الاقتحام بالمدرعات؛ لكنه لم يحقق أى تقدم، وتكسرت كل هجماته التى واصلها بمختلف أسلحته فى مواجهة شجاعة وجسارة المقاتلين المصريين؛ الذين تسلقوا دباباته ودمروها واستشهدوا فوقها..

وأمام هذه الفدائية فر العديد من قوات العدو؛ بعد أن تكبد خسائر فادحة، جعلته يكف عن إعادة المحاولة في هذا الاتجاه.



■ القاده الإسرائيليون من اليسار - بارليف - ديان - شارون - اليعازر ■



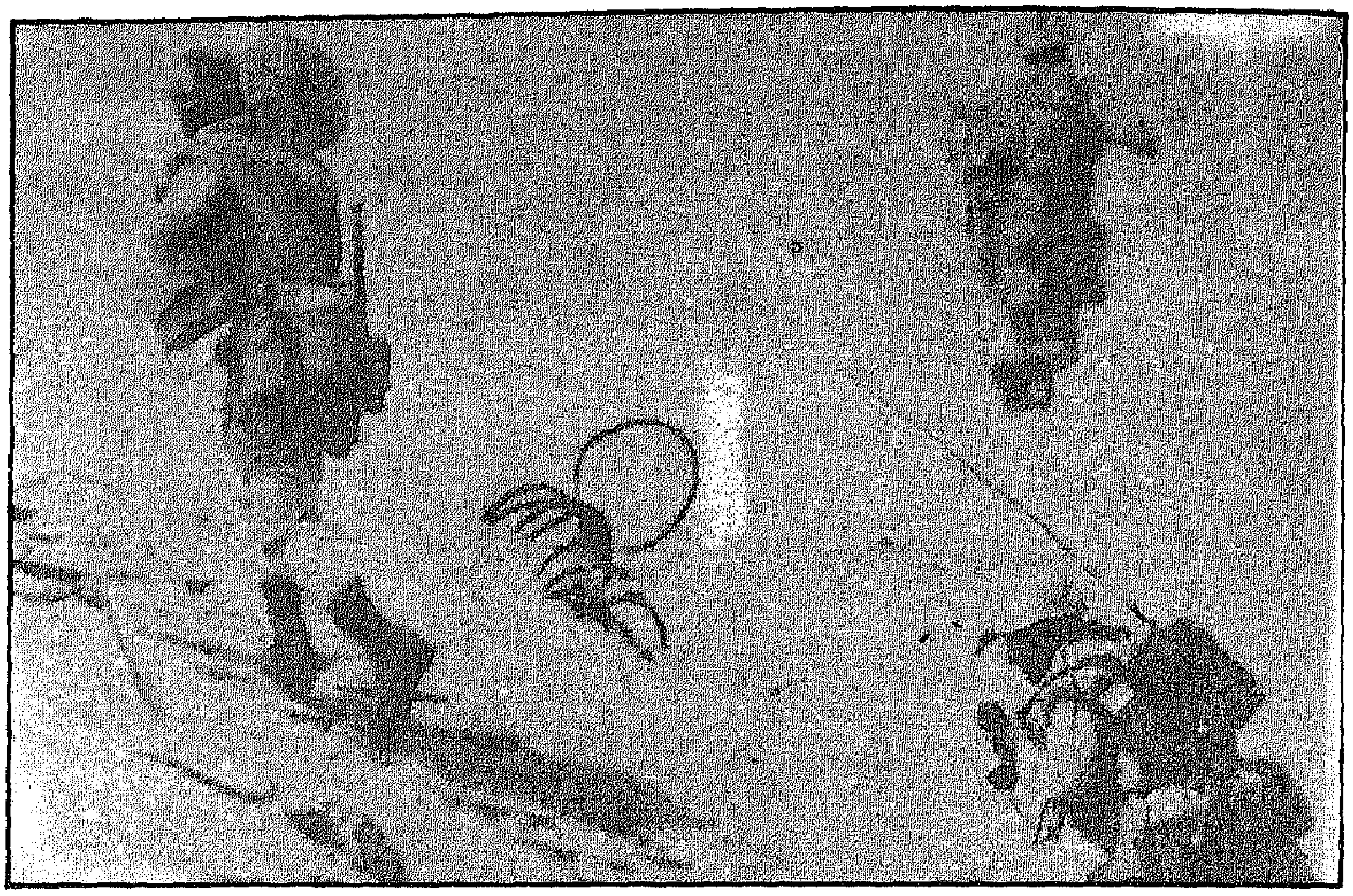
■ طائره ميج ١٧ شاركت في حرب القوات الإسرائيلية في سيناء ■

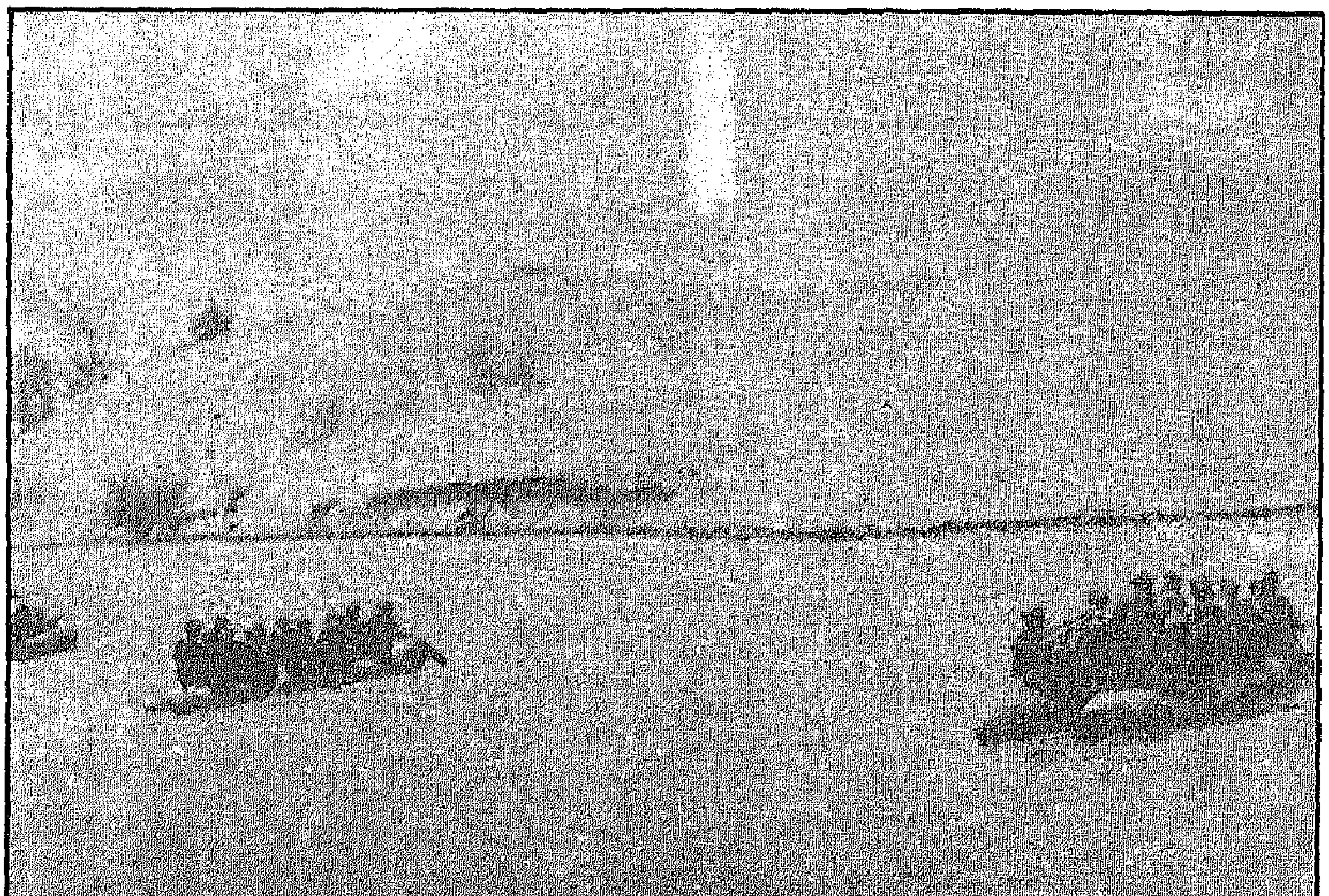




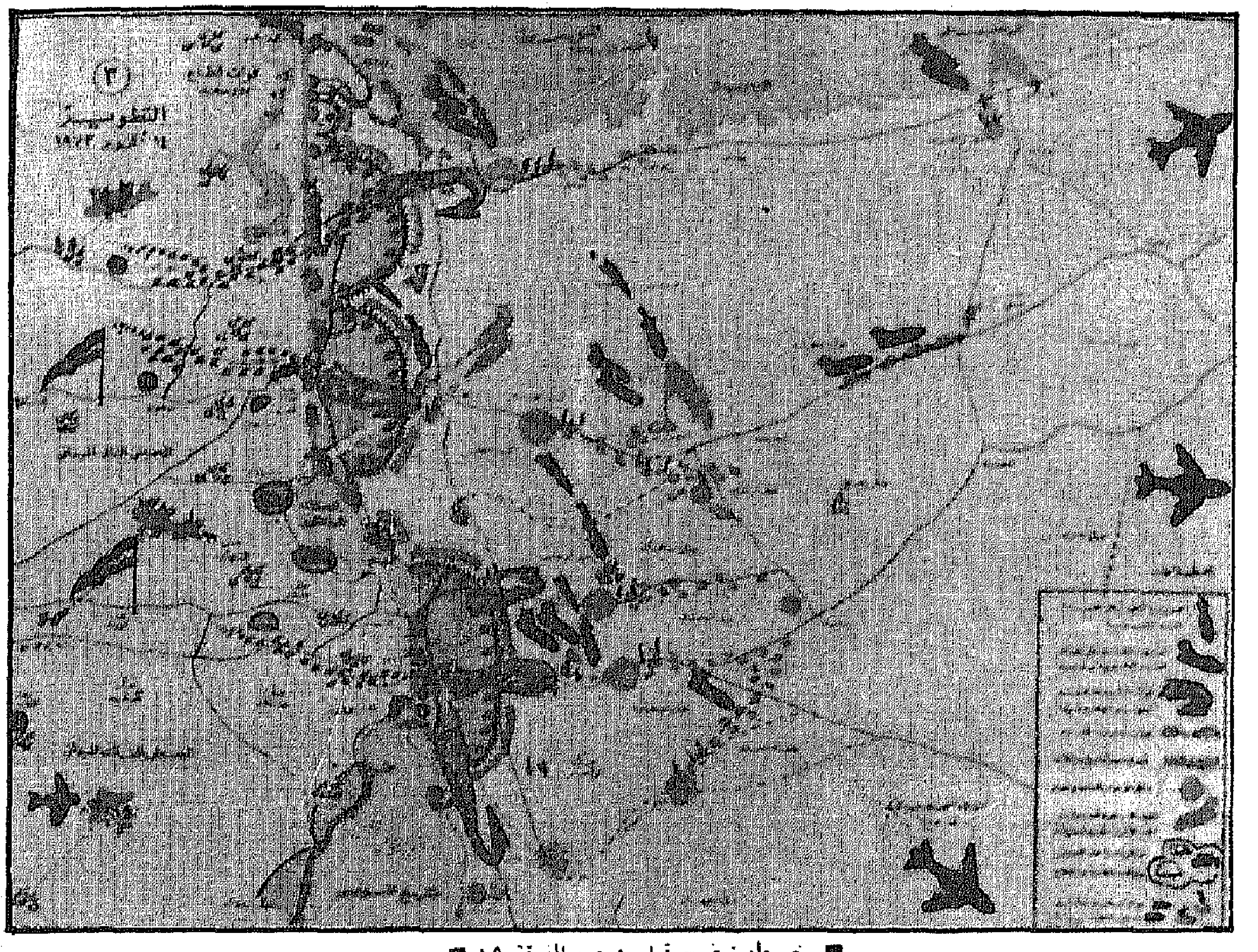
■ بعض الفتحات
الشاطئية بالساتر الترابى ■







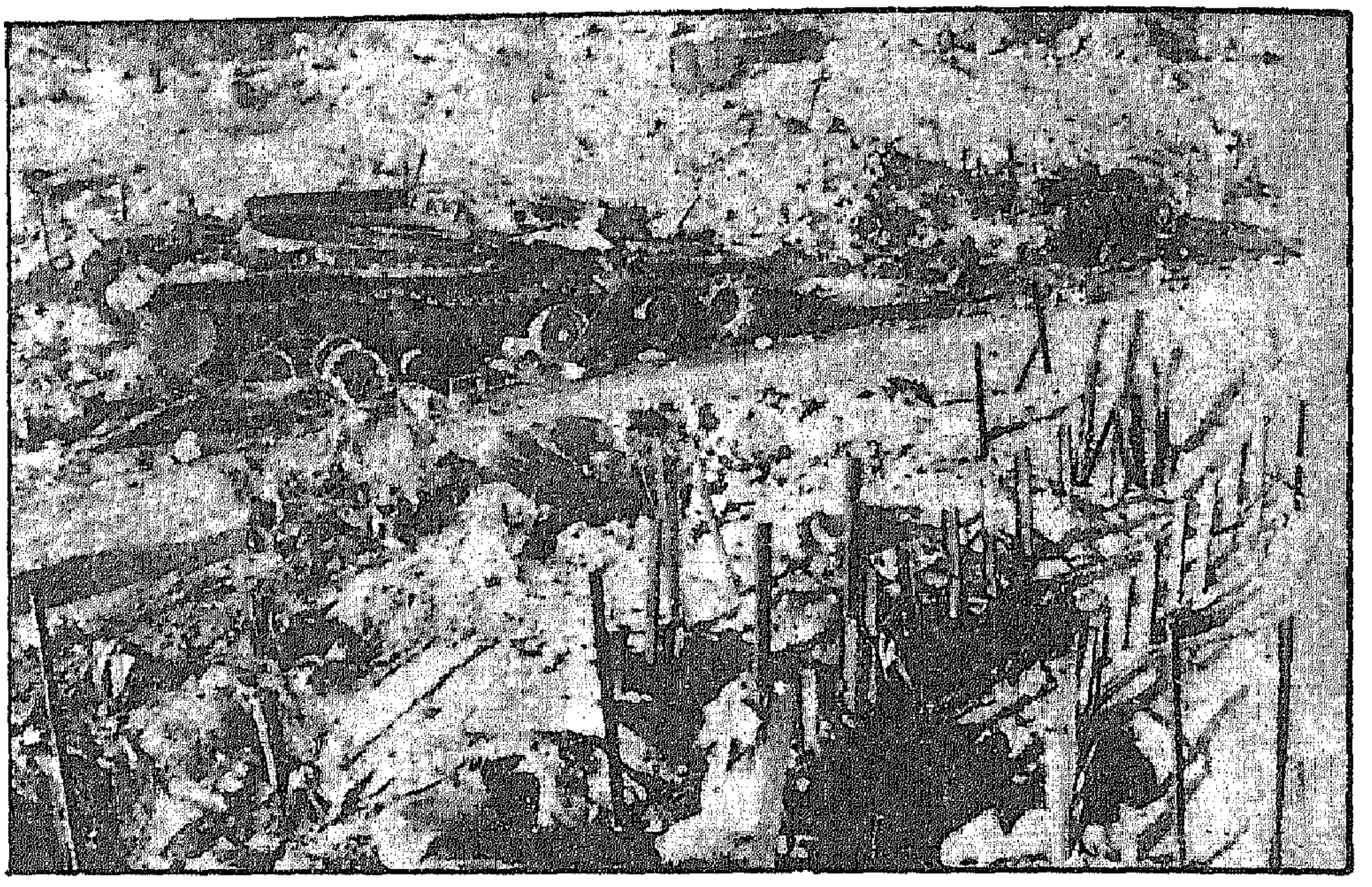
■ قوارب العبور وتسلق الساتر الترابى ■



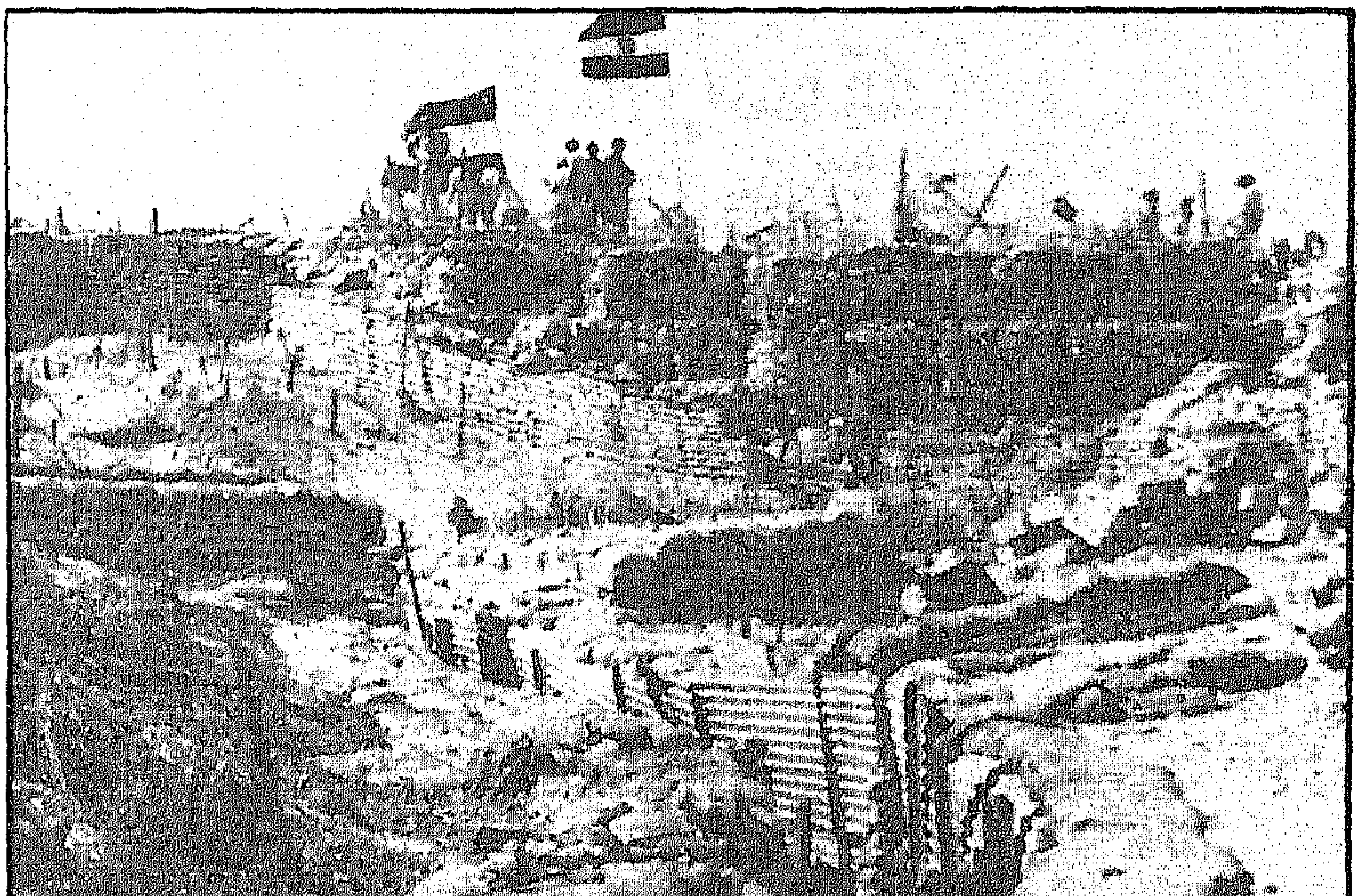
■ خريطه توضح قرار هجوم الفرقة ١٩ ■



■ النقطة الحصينه ١٤٩ ■



■ إحدى دبابات العدو المدمرة ■



■ النقطه القويه بعيون موسى ■

الفصل الثالث

خط بارليف: وقصة النابالم

* لهذه الأسباب .. لم يستخدم العدو النابالم

* العبور وحده كان معركة كاملة

* إسرائيل لم تكن هي أول من ابتكر فكرة المانع النارى

* خط بارليف كان أقوى القلاع العسكرية .. لكننا حطمناه

* لحظات العبور كانت مشهداً تاريخياً لا يختلف عن الأساطير

* كان التدريب الواقعى جانباً من الخطة التى نفذت بنجاح

كانت الساعات الأولى من المعركة عصيبة ـ بكل ما فى الكلمة من معنى

صحيح أن كل شىء قد تم التخطيط له .

لكن تظل نظرية الظروف الطارئة ، والمواقف غير المتوقعة

فى قطاع الفرقة ١٩

كانت هنـاك بعض المشكـلات فى العبور (بقوارب المطاط) ، ومشكلات أخرى فى فتح الفتحات الشاطئية ، وإقامة الكبارى وعبور الساتر . . لكننا استطعنا ـ وبكل الوسائل ـ أن نصل بالفرقة إلى مواقعها المحددة .

إن ملابسات هذه الساعات متعددة . . وعلى الرغم من أن الكشف عنها فى سياق تقرره القوانين والظروف لكن الدرس الكبير الذى تعلمه المقاتلون . والذى يجب أن يعرفه المواطنون . أن العبور لم يكن سهلاً .

لم يكن مجرد قوارب مطاطية تصل إلى الشاطىء الآخر ليتم رفع العلم فوقه ، وينتهى الأمر. فإن العبور ـ وحده ـ كان معركة كاملة . . . معركة تستحق أن تسجل بمعالمها الدقيقة .

لقد كان قرار العبور يستهدف ثلاث مهام استراتيجية

أولهـا : إنهاء الجمود العسكرى بخرق وقف إطلاق النار .

وثانيهما : إنزال أفدح الخسائر الممكنة فى أفراد العدو ومعداته .

وثـالثها : العمل على تحرير الأرض المحتلة . . فى غضون ساعات قليلة من انتهاء الضربة الجوية المركزة ، والتمهيد النيرانى ؛ لأكثر من ألفى مدفع .

كانت فرق المشـاة تتـدفق فوق الكبارى التى تم تركيبها ، وقبل أن تمر ٢٤ ساعـة كانت الخمس الفرق الكاملة مشاة ، ومدرعة مصرية : تحتل

مواقع بعمق خمسة كيلو مترات شرقى قناة السويس لتقطع نقاط الارتكاز الحصينة فى (خط برليف) عن مؤخرتها .

وكما تذكر تقارير هذه الأيام المجيدة : فإن العدو كان ـ وبعد ٢٤ ساعة : ـ فقط ـ فقد مائتى دبابة كان نصفها يرابط خلف نقاطه الأمامية الحصينة

وتستمر الملحمة لتسجل العسكرية المصرية نصراً غاليا .

ومع ذكريات هذه الأيام التى لهث لها التاريخ ، وهو يسجل صفحاتها فى سجل الشرف

تلك الايام الخالدة ، التى عاشها وشارك فى صنع انتصاراتها العظيمة نخبة من خيرة ابناء مصر .

لابد وأن نقول : إن حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، تعتبر ـ بحق ـ نقطة تحول هامة فى تاريخ المنطقة فى المجالين : العسكرى والاستراتيجى ، حيث اعتمدت هذه الحرب على استراتيجية مصرية صميمة .

لقد خاض المقاتل المصرى أول حرب (اليكترونية) فى التاريخ . استطاع خلالها أن يعبر حاجز الهزيمة ويحطم أسطورة الجيش الذى لا يقهر .

إن الحقيقة دائماً لها مذاق خاص ، يستطيع أن يدركه كل إنسان سوى تجرد من الأطماع .

من هنا أقول : إن الأعمال التى قام بها أبطال الفرقة ١٩ مشاه لابد وأن تسطر فى سجل تتم كتابته بقدسية . . تسجل فيه الحقائق ـ مجردة ـ كما حدثت بالضبط . وتحفظ للتاريخ وللمستقبل ، **وسأسرد لك ـ عزيزى القارىء ـ أروع اللحظات : لحظة العبور .**

لحظات العبور

لقـد كان مشهداً تاريخياً رهيباً: ـ لا يختلف كثيراً عن الأساطير ـ ، المشـاة فى قواربهم المـطاطية فى الخنـادق المعـدة لهذا الغـرض من قبل ، المدرعات بأطقمها فى الحفر الكامنة وسط الأشجار وخلف الساتر .

والمعـدات، والـبرمائيات ، ومعدات الكبارى بالمهندسين فى أماكنها المحددة على الشاطىء ، كانت عقارب الساعة تقترب من الثانية بعد الظهر .

فـى الصبـاح عندما بلغت ساعة (س) إلـى جميع المقاتلين وعرفـوا لحظتها بقرار القائد الأعلى .

كانت الفـرحـة تقفـز من وجوههم ، ولكن التعليمات كانت مشددة بضبط الأعصـاب وحفظ التـوازن ، لأن العدو يراقب باستمرار. وتحركاتنا لا تغيب عن أبراجه

ومهـما حاولت أن أصـور المشهـد التاريخى فلن أستطيع أن أصف ما حدث فى الساعة (الثانية وخمس دقائق من مساء يوم ٦ أكتوبر) بالضبط حيث عبرت فوق رؤوسنا طائرات الضربة الجوية التى كانت بداية النصر العظيم .

وفتحت مئـات المـدافـع أبواب جهنم مرة واحدة وغطت الصواريخ والقذائف والدخان سماء المنطقة وكان الدوى الهائل يسمع على طول قناة السويس وعمق سيناء .

وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت موجات العبور الأولى تشق طريقها وسط النيران . . واستخدموا كل شيء : قوارب المطاط ، زوارق التجديف ، البرمائيات ، المعدات . . . فى مجموعات عبروا الشاطىء المقابل للقناة بجسارة .

وأخذت مجموعات المقدمة تتسلق الساتر فى ثوان بمهماتها ، وتمد سلالم الحبال لكى يؤمّن المشاة . . كانوا فى هذه اللحظة كالمردة . . كأبطال الأساطير، وكانت صيحاتهم تسبقهم ، ويلقى هديرها الرعب فى قلوب الإسرائيليين : الله اكبر . . الله اكبر -وخلال ٣٠ دقيقة كانت أعلام مصر ترتفع فوق (خط بارليف) دون انتظار الانتهاء من تمهيد المدفعية

قبل العبور: كانت قواتنا فى انشغال تام بالتدريب فوق الأرض، ولم تكن قابعة فى الخنادق، وكانت التدريبات المستمرة والمتواصلة تتم تحت أنظار وأسماع العدو فوق الأرض، وقد لعبت هذه الخاصية دوراً كبيراً فى الخداع والتمويه على العدو يوم ٦ أكتوبر، لأنه تصور أن التحركات التى تتم على الجبهة المصرية : جزء من التدريبات اليومية والمناورات التى كانت تتم بين يوم وآخر، ولم يجد فى التدريبات شيئاً يثير الريبة : فلم يأخذ الحذر .

وكان هذا التدريب الواقعى جانباً من الخطة التى نفذت بنجاح . . أما التدريب الواقعى على اقتحام (خط بارليف) واختراق الساتر الترابى :

فقد تم فى غرب مدينة السويس وأيضاً فى منطقة (جبل عتاقة) حيث ميادين التدريب قريبة الشبه إلى أقصى حد من ميدان القتال الفعلى .

وكانت التدريبات تشمل صعود الساتر الترابى الذى كان يتراوح أرتفاعه بين ٢٤ ، ٢٢ متراً ، بينما يحمل الفرد أسلحة وذخائر وزنها ٨٠

كيلو جرام **وكان الجنود** يتسابقون للصعود والتسلق . . حتى وصل الرقم القياسى إلى دقيقتين فقط فى صعود الساتر الترابى .

وكنا نندهش من هذه الروح القتالية العالية، وكانت الخطة الموضوعة : أن يتسلق الجنود الساتر الترابى على (**سلالم من الحبال**) .

لكن بعض المقاتلين أصروا على الصعود فوق الساتر بدون السلالم ونفذوها فى سرعة أكبر من المعدل .



حرب الخنادق

لقد وصلت عملية التخطيط للحرب إلى مستويات غاية فى الدقة والمهارة . . وعلى سبيل المثال: وصلت إلى قياس ارتفاعات المياه فى الترع الموصلة إلى ترعة الإسماعيلية .

أما عن قناة السويس التى يتغير اتجاه التيار المائى فيها مرتين يوميا؛ فقد كانت المسألة أعقد.

ففى نفس الوقت الذى توجد فيه تيارات مختلفة الأتجاه فى الوقت ذاته :ـ ترتفع المياه وتنخفض، على شاطىء صخرى. بسبب المد والجزر

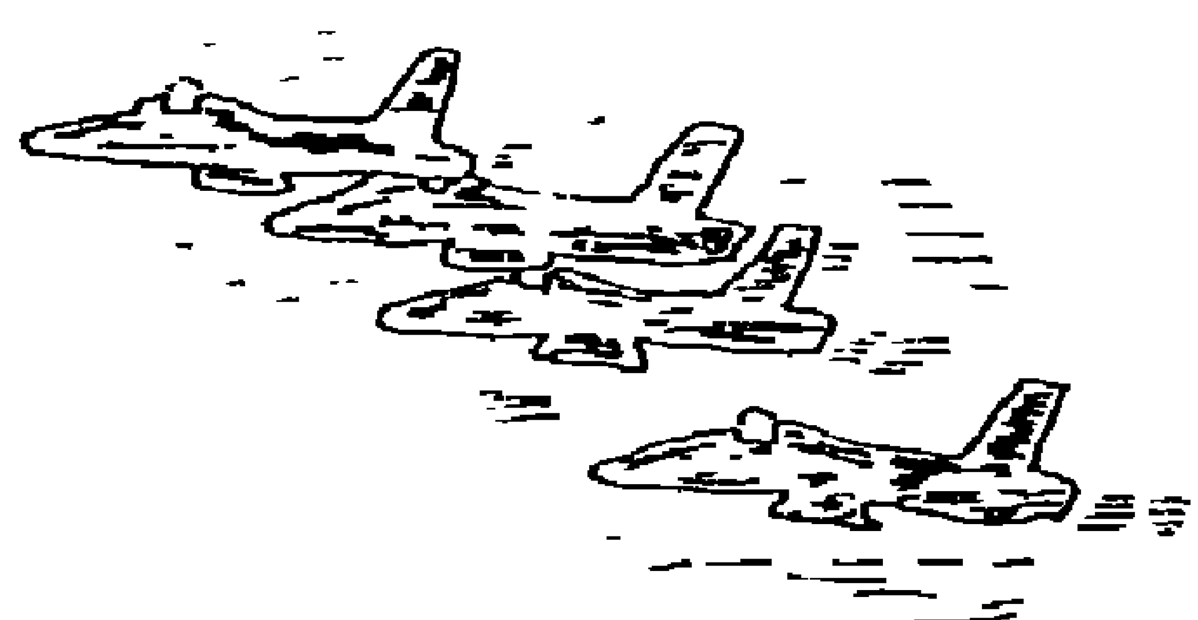
وحسابات أن يكون ضوء الشمس فى اتجاه وجه العدو بعد الساعة الثانية مساء.

وقد خططنا أيضاً للحركة فى جزء من النهار قبل حلول الليل، لكى نستطيع تنفيذ مهمتنا الأولى فى الضوء بشكل أفضل، وفى نفس الوقت حرمان العدو بالقيام بهجوم مضاد قبل حلول الظلام.

كان الجنود الذين اشتركوا فى **١٩٧٣** مقاتلين مثقفين، لأننا أستدعينا الاحتياطى ـ أيضاً ـ واشترك فيها الجامعيون، **بعكس** ما حدث فى حرب ٦٧ حيث كانت المسألة مختلفة، لقد كانت حرب أكتوبر معركة حقيقية .

كنا نريد أن تبدأ الحرب بأية طريقة، لأن مرحلة حرب الخنادق كانت قد طالت، وقد تؤثر على الإنسان وتجعله قلقا .

لقد استمرت ٦ سنوات والانطلاق من الخناق لمعركة أكبر كان يعنى بالنسبة لنا الخلاص أمام الشعب والأمة العربية، فقد ظلمنا فى حرب ١٩٦٧ .



الطيران الذى لايقهر

لقد كانت بعض الأفكار عن أسطورة الطيران الإسرائيلى الذى لا يقهر وغيرها من هذه الأفكار قائمة.

لكن مارفع من معنوياتنا بدرجة عالية هذا العدد الهائل من الطائرات المصرية التى شاركت فى المعركة فلم نصدق: أن هذا العدد من الطائرات موجود ومشارك .

ويوجد سبب أساسى لذلك . . فنحن لم نكن قبل الحرب نرى الطائرات المصرية لأننا كنا نتمركز فى مواقع متقدمة وهناك خطوط لا تتجاوزها الطائرات المصرية، طبقاً لشروط الهدنة وأصبحت فى غيبة عنا وكان هذا يؤثر فى الجنود كثيراً لأن الغطاء الجوى يمنح أمنا وثقة أثناء القتال .

وعندما شاهدنا السماء مغطاه بالطائرات فى الطلعة الجوية الأولى وفى وقت واحد وعلى ارتفاعات منخفضة فوق رؤوسنا كانت **معنويات الفرقة ١٩** مشاة قد وصلت لدرجة لا يتخيلها البشر، حتى أن الجنود والقادة لم ينتظروا انتهاء تمهيد نيران المدفعية وقاموا ببدء العبور فى حماس شديد.



مشاعر لحظة بدء العمليات

هناك الكثير من الأحاسيس التى تستحق التسجيل فى لحظات ما قبل العبور إنها مشاعر لا يمكن أن تمحى من وجدانى .

فعندما أصدرت الأوامر صباح يوم المعركة ، وقمت بتسليم القادة الأعلام التى سترفع على المواقع التى سيتم الاستيلاء عليها والأرض التى ستعود لأحضاننا . . كانت المعنويات عالية للغاية .

لقد بكى الجميع وأنا أصدر أوامر العمليات . . لقد كنا جميعاً نريد التخلص من الاتهام الذى لصق بنا ظلما . . وأردنا أن نثبت وجودنا . . لقد أمسك القادة بالأعلام يقبلونها بفرحة وأمل . . كانت لحظة لا يمكن أن تمحى من الذاكرة .

فى هذا اليوم جاءنى أحد ضباط الشرطة العسكرية وكان مسئولا عن مد وتعليم المحاور التى تسير عليها القوات وكنت قد أصدرت لهم أوامر بتوقيت الهجوم فى الساعة الثانية بعد الظهر وقال لى : (لو سمحت يا فندم هل لى أن أذهب إلى بيتى لأقدم المرتب لزوجتى لأنه المورد الوحيد لهم وكانت الدموع تملأ عينيه) . كان هذا قبل موعد المعركة بعدة ساعات وقلت لنفسى إنه لو ذهب هذا الضابط وعرف أحد موعد الهجوم : زوجته أو أقاربه . . فالنتائج غير محسوبة لكن ثقتى التامة فى رجالى جعلتنى أتركه يذهب بسيارة الشرطة الجيب إلى بيته .

فذهب وعاد قبل الموعد المقرر وقام أثناء العمليات بدور كبير بحيث مكن القوات من دخول المحاور بصورة دقيقة وسليمة نهاراً وليلاً ، وكانت حالته المعنوية مرتفعة لدرجة غير متصورة . . وسبب ذلك ، الموقف الذى عاملته به والثقة الغالية التى أوليته إياها .

ساعة: س (الصفر)

كان أساس تنفيذ الخطة: هو خداع العدو، والتمويه حتى يشك فى التحركات، ثم مفاجأته.

لذلك كانت العملية قائمة على أساس أنها مشروع تدريب يومى روتينى، وليست معركة العبور المنتظرة؛ حتى يكتمل الخداع والمفاجأة.

وقد استطاعت القيادة السياسية والعسكرية أن تتكتم الأمر وتموه عليه؛ حتى الساعات الأخيرة لبدء التنفيذ.

فتم التعامل مع خطة العمليات الحقيقية على أنها مشروع تعبوى للتدريب بالذخيرة الحية. ونفس الشىء بالنسبة لاستعدادات الفرق والوحدات الأخرى.

أما ساعة «س» فقد أبلغت بها قبل العبور، وبالتحديد يوم ٥ أكتوبر الساعة السابعة مساءً.

لذلك قد وضعت ترتيبات تنفيذ الخطة على أنها مشروع استراتيجى تعبوى، وعندما استدعتنى قيادة الجيش لإبلاغى بساعة «س»، للمعركة الفعلية والحقيقة: بدأت فى تعديل توقيتات المشروع المنفذ ومطابقتها لخطة العمليات الحقيقية.

ولقد كتمت توقيت ساعة «س» فى نفسى، ولم أبلغها إلى قادة الوحدات إلا فى صباح يوم ٦ أكتوبر.

كنت أُريدُ: أَن أُعطى المقاتلين، والقادةَ أكبر قدر من الراحة والهدوء فى تلك الليلة بالتحديد.

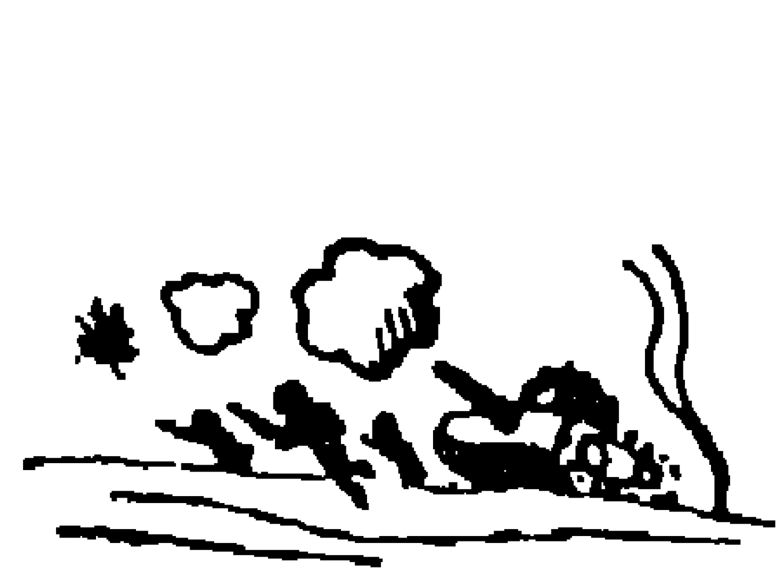
وكنت أريد: ألا تظهر أى بادرة ـ رغما عنهم ـ ويكتشف من خلالها العدو حقيقة التحركات الجارية، **ولم أبلغ أحداً** من القيادات ساعة «س» **إلا اثنين** من ضباط قيادة الفرق، حتى نطابق توقيت المشروع على توقيت الخطة .

كنت أفكر فى الساعة التى انتظرتها ٦ سنوات وأكثر، من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣

وفى الساعة الثامنة من صباح ٦ أكتوبر: استدعيت قادة الألوية وأعطيتهم الساعة «س» التى حددت **(الساعة الثانية بعد الظهر)**.

ولا يمكن أن يتصور أحد روعة المشهد لحظتها . .

كانت الدموع تغرق أعيننا، وعانق بعضنا البعض، ووزعت عليهم أعلام مصر، **وأنا أقول لهم**: بعد ساعات قليلة: ترتفع هذه الأعلام فوق الساتر على أرض سيناء، وأريدكم أن تتسابقوا فى رفعها؛ لأنها تعنى شرف مصر وكرامتها .



موقع العمليات

كانت الفرقة ١٩ مسئولة عن القطاع الجنوبى من قناة السويس . . وهو موقع هام وخطير . . فقد كان يمتد من شمال الشط إلى خليج السويس وهى منطقة كانت من أقوى مناطق (خط بارليف) وتقع فيه النقاط الحصينة ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ بالإضافة إلى نقطة الجباسات، ولسان بور توفيق وعيون موسى .

وكانت كلها نقاطاً قوية وحصينة، أقامها العدو الإسرائيلى على مدى سنوات طويلة وكان المطلوب: أن نقضى عليها بأسرع ما يمكن، حتى نسيطر على الموقف قبل وصول إمدادات المدرعات من الممرات .

وكانت تدريبات الفرقة تركز على هذه المهمة بالذات، ووضعت الخطة التى يمكن بها محاصرة هذه النقاط، ثم تدميرها تماماً .

لقد كانت عملية التمويه لتحريك القوات إلى ضفة القناه غاية فى الصعوبة، ولكنها تمت فى غاية الدقة والسرية، كان الإسرائيليون يراقبون تحركاتنا باستمرار، ولكننا استخدمنا الساتر الترابى من ناحيتنا على الضفة الغربية ـ فى الإخفاء والتمويه ـ .

وكانت التحركات لا تتم فى ليلة أو ليلتين، ولكن يلزمها ليال قبل العملية، كما أن تحريك القوات المختلفة لا يتم فى وقت واحد، ولكن هناك نظاما معينا موضوعاً لتحريك المشاة، والمدفعية، والدبابات إلى مواقعها المحددة فى توقيتات محددة .

وكانت العملية تسير بشكل طبيعى للغاية . .

هناك تحركات كثيرة، ولكن العدو اعتبرها جزءاً من التدريبات التى تعود ملاحظتها خلال الشهور الأخيرة السابقة لأكتوبر.

وكانت تحركاتنا تلك لا تدعوا للقلق من وجهة نظر العدو، وانما المسألة كلها مجرد تدريب روتينى عادى . . وكان هذا التصور من جانب الإسرائيليين هو ما خططنا له . . وقد نجحنا فى تحقيقه بزيادة مشروعات التدريب .

وفى نفس الوقت الذى ضاعفنا فيه مشروعات التدريب، وزعت القيادة نشرات على الوحدات المختلفة، لتقييد الضباط الراغبين فى العمرة والحج ـ وكانت هذه هى المرة الأولى التى يصرح فيها للضابط منذ ٦٧ بالعمرة، أو الحج .

وتعمدنا إذاعة هذه النشرات حتى تصل إلى العدو .

كما صرحنا باجازات مفتوحة للمقاتلين، ومزيداً من الخداع : جرى تسريح جانب من الاحتياطى، بينما استدعينا سراً احتياطياً آخر وكان أفراده يدخلون الجبهة فى الليل . .

وهكذا ابتلع العدو الطعم، وتم خداعه بصورة كاملة ومفاجأته .



اكتشاف النابالم

في فترة التحضير للمعركة: وصلتنا معلومات عن أنابيب النابالم الممتدة إلى الشاطىء الشرقي من خلال فوهات في الساتر الترابي، وخرجت من الفرقة عدة دوريات للاستطلاع وخصوصاً بعد تعلية الساتر الترابي لكي يخفوا ما وراءه.

واستطاعت دورياتنا تحديد أماكن المصاطب المخصصة للدبابات، وكذلك مناطق مخازن النابالم، واتجاه أنابيبها

وقبل العبور كانت مجموعات الاستطلاع تتسلق الساتر وتفصل هذه الأنابيب وتعطل الطلمبات وإغلاق الأنابيب أخذ بالحيطة والحذر.

لقد كان رجال الاستطلاع يتسابقون إلى المهام الاستطلاعية - برغم خطورتها - ويعودون جميعاً دون أن يشعر بهم العدو،

والأكثر من ذلك أنهم لم يكتفوا بالتبليغ، وإنما التقطوا صوراً لكل معالم الخط وراء الساتر، وقد أفادتنا هذه الصور إلى حد كبير، وغيرت بعض الخطط والتقديرات

فقد كان تصورنا أنه مجرد «ساتر» عادي، ولكن ظهر: أنه مصاطب للدبابات أيضاً، ويمكنها الصعود إليها من أي اتجاه، وتركب الشاطىء، وتمنع العبور.

وعلى ضوء هذه الصور، والمعلومات: وضعنا الخطة المضادة، وضعت

نماذج للساتر ومصاطبه، ودربنا مقاتلينا على وضع الألغام فى المصاطب، وكيفية عمـل مجمـوعـات اقتنـاص الـدبـابات لقطع الطرق الموصلة إلى المصاطب وركوبها قبل دبابات العدو.

ولكى ندرك مدى تجهيزات العدو الإسرائيلى الموضوعة لمنع أى عبور: **يكفى أن نعرف** أنهم وضعوا فى القطاع الجنوبى لفرقتنا **٩١ مصطبة** نيران مطلة على القناة من فوق الساتر، ولم يكتفوا بذلك، وإنما أنشأوا ٢٢ مصطبة أخرى فى العمق فى اتجاه **(الجباسات)** وفى اتجاه **(متـلا)** وفى اتجاه **(سدر والطور)**.

ولو ركبت دبابة واحدة أى مصطبة: فإنها تشكل عائقا لعبور القوات ومانعا نيرانيا قويا ضد أى تحركات.

ولـذلـك عنـدمـا حانت السـاعـة «س»، وبدأت المدفعية التمهيد بالضرب المـركز: **أرسلت مجموعات** اقتناص الدبابات **بصواريخ (فهد)**، واستولت على هذه المصاطب قبل وصول الدبابات الإسرائيلية القادمة من العمق إليها.

ومن هنا كانت المفاجأة غير المتوقعة للدبابات؛ فقد انهالت الصواريخ عليها، وتم تدمير أعداد كبيرة منها خلال الساعات الأولى للعبور.

هذا بالإضافة لقوات الصاعقة التى اسقطت خلف خطوط العدو.



خط بارليف

لابـــد وأن يؤخـــذ فى الاعتبـار ـ ونحن نتحـدث عن (بـارليف)، وإمكانياته الهائلة :

أن قناة السويس نفسها كانت تمثل مانعاً فريداً، **فرض تحدياً** إضافيا للمخطط المصرى، والمقاتلين الذين سيتعين عليهم عبورها على السواء . . فهى لاتنحدر بشكل تدريجى ـ **كما هو معروف** فى القنوات والأنهار العادية ـ بالإضافة لتغير سرعة التيار المائى من مكان لآخر بها، فى مختلف الأوقات .

فكما هو معروف أن القناة تصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر، ومن ثم : فإن المد والجزر يغيران مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد، فيبلغ فارق المنسوب بين أعلى وأدنى جزر ما يزيد عن ٥٠ سنتيمترا فى الشمال، بينما يتزايد إلى مترين قرب السويس .

ومما يزيد الأمر صعوبة: هو عمق مياه القناة، والذى يصل إلى ١٨ متراً، وتبلغ نسبة انخفاض مستوى حافة الشواطىء حوالى ٥ أمتار، الأمر: الـذى يلغى إمكـانية أن يخوض المقاتلون فى المياه على أقدامهم حاملين معداتهم وأسلحتهم .

إضافة لأسباب عديدة، أخرى جعلت من خصائص القناة مانعاً مائيا صعباً بالنسبة لعملية عبور القوات . . فى نفس الوقت الذى أعطى للعدو ميزة نسبية قبل أن نتحدث عن خطه الدفاعى، الحصين، الأسطورى، المسمى «**بارليف**» .

بالإضافة لما ذكرناه من الصعوبات التى اتسمت بها قناة السويس التى يبلغ عرضها ما بين ١٨٠ ـ ٢٢٠ متراً: كان الساتر الترابى الذى أقامه الإسرائيليون، والذى وصل ارتفاعه إلى ٢٠ متراً على حافة القناة والذى أقيم بشكل متصل على طول الشاطىء الشرقى للقناة وكانت **هناك حقول الألغام الكثيفة تغطى** هذا الساتر الترابى.

وفوق قمة الساتر الترابى المترامى الأطراف تم إنشاء مرابض العربات المدرعة، والدبابات، بحيث يضم كل كيلو متر : ٨ مرابض، بفاصل يتراوح ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ متر بين كل موقع وموقع .

لقد بلغ عدد مرابض الدبابات والمدرعات (١٣٦٠) مربضا: أقيمت على مواجهة ١٧٠ كيلوا متراً. .

ولم يكن هذا هو كل **(خط برليف)** . . فقد كان الإسرائيليون قد أقاموا سواتر ترابية أخرى (مصاطب) على عمق يتراوح ما بين كيلو، وثلاث كيلو مترات من الشاطىء الشرقى للقناة، بنظام معين، بحيث تكون مرابض نيران أضافية، لتحقيق عنصر الدفاع المتحرك؛ من خلال جيوب نيرانية قوية .

ويشكل ذلك الخط الأول والرئيسى على امتداد الضفة الشرقية للقناة، وعلى عمق يصل إلى ٥ كيلو مترات توجد التجهيزات الهندسية، ومرابض للمدفعية والدبابات تشكل الخط الثانى وعلى عمق آخر ما بين ١٠ ـ ١٢ كيلوا متراً نجد الخط الثالث الموازى للخطين الأول والثانى، والذى يضم تجهيزات هندسية أخرى، ويضم عدداً من المدرعات، ووحدات المدفعية الميكانيكية الاحتياطية، إضافة إلى مراكز الاتصال ومراكز القيادة الأمامية والمستشفيات الميدانية .

القلاع الحصينة

ينتشر فى المنطقة التى أقيم عليها (**خط بارليف**) وهى ١٧٠ كيلو متراً طولا وبعمق يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٢ كيلو على النحو الذى شرحناه ـ على ٣٦ حصنا، بالإضافة إلى ١٥ برجا للمراقبة؛ حسب التقارير الإسرائيلية ذاتهـــا.

ويضم الخط : ٢٠٦ ملاجئ كبيرة بالإضافة إلى ٤٦٢ حصنا للأسلحة المختلفة والدبابات.

ولم يشهد أى حصن فى التاريخ ما شهدته حصون (**خط بارليف**) : من تلغيم مكثف للغـاية؛ حيث أحـاط بكل نقطة حصينة : ٧٣ نطاقا من الألغام والأسلاك الشائكة.

وتصف مجموعة الكتب والتقارير العسكرية ـ التى صدرت بعد المعركة ـ ومنها : «**التقصير، والطوفان**» وغيرهما؛ شبكة التحصينات : بأنها شبكة معقدة للغاية، كان يجرى تطويرها عاماً بعد آخر.

لقد أستخدم فى إقامة هذه التحصينات آلاف المعدات الثقيلة . . إن هذه الأحجار الكبيرة التى وضعت فى شباك حديدية، والتى استخدمت فى بناء على شكل طبقات فوق الدشم، والتى بلغ سمكها عدة أمتار . . كان الهدف من إقامتها : هو الحيلولة دون تأثير دانات المدفعية الثقيلة ونفاذها إلى داخل الدشم ـ وأيضاً ـ تقليل الموجات الانفجارية.

إن القلاع الحصينة التى ضمها (**خط بارليف**) قد جهزت من الداخل

بكـل وسـائل الراحة والرفاهية ـ فقد كانت مكيفة الهواء، ومجهزة بمواسير المياه، وأجهزة تبريدها وأجهزة اتصال متطورة، وآلات عرض سينمائية فى قاعات مكيفة، ومكتبات، وتليفونات عامة لاتصال الجنود بأسرهم، ومخازن تموين مختلفة . .

وقد ضمت أماكن إقامة الجنود: داخل الدشم المحصنة ـ أسرة من طابقين، بالإضافة الى تجهيزات رياضية، كانت تضمها معظم التحصينات .

وعلى صعيد القدرة القتالية لهذه الحصون المنيعة: فقد كان كل منها مزوداً بقوة نيران كبيرة، مقدرٍ لها مواجهة كتيبة مدرعة، لمدة تزيد عن الأسبوع وقـد قام (**أريك شارون**) عنـدما عين قائداً للجبهة الجنوبية بشق مئات الكيلو مترات من الطرق قرب القناة، خاصة الطرق المواجهة للقناة بشكل عمودى، ليقلل من المقاطع التى تتحرك فيها قواته، والتى تقع تحت مرمى النيرات المصرية؛ التى يمكن أن تنطلق من الضفة الغربية للقناة،

وكان (**شارون**) يرمى إلى إتاحة الفرصة لمدرعاته من التحرك السريع نحو المعاقل، بل: ونحو القناة ذاتها .

وفى تطوير جديد (**لخط بارليف**) تم إضـافـة قضبـان السكـك الحديدية، إلى طبقة جديدة من الحجارة التى وضعت داخل شباك من المعدن .

كثيرة هى عمليات التطوير التى كان يضيفها (**شارون**) منذ أن عين قائـداً لجبهـة (**سينـاء**) خاصـة: الـطرق الجانبية؛ لكى يتيح حركة مرنة لبطاريات مدافع قواته .

قد يتساءل البعض: عن المساحة التى أقيم عليها الموقع الحصين . . وعن كيفية الدخول إليه .

إن الحصن الواحد قد أقيم على مساحة تصل إلى خمسة آلاف متر مربع، ومعظم الحصون لها مدخل واحد باتساع (٤ أمتار) لدخول السيارات، والدبابات القادمة من ناحية الشرق، بحيث لا يمكن لأحد أن يدخل الحصن إلا إذا كان قادماً من اتجاه القوات الإسرائيلية .

وقد وضع نظام دقيق لإغلاق أبواب الحصون ـ فيتم اغلاقها بحبل من الألغام المضادة للأفراد والدبابات، ويتكون كل حصن: من أربع دشم، بارتفاع ثلاثة طوابق، تم بناء طابقين منها تحت الأرض، وفى الطابق الثالث توجد المزاغل. وهى الفتحات التى تظهر منها فوهات باختلاف أنواعها .

إن طبقات عديدة من الصخور، والرمال، وكميات هائلة من الأسمنت تمثل المواد الأساسية لبناء دشم إضافية، إلى قضبان السكك الحديدية التى صنعت منها أسقف الدشم، وهناك أيضاً شبكة الفولاذ؛ التى تضمها كل طوابق الدشم، وأبواب الغرف، حتى لا تتأثر بقذائف المدفعية، وتفتح أبواب الغرف (أتوماتيكيا) بواسطة الجنود .

لقد صممت النقاط الحصينة: بحيث تحقق الدفاع الدائرى، ويتوفر فى كل منها مجموعة من الأسلحة المختلفة، مثل المدافع الذاتية الحركة، والرشاشات والهاونات .

لقد ضمت النقاط الحصينة: نوعا من الرشاشات التى تعمل ذاتيا بمجرد إحساس (أجهزة اليكترونية) متقدمة جداً بحرارة أى إنسان يقترب من الحصن . . بالإضافة لمواقع صواريخ: أرض. أرض، ورشاشات مضادة للطائرات .

وإذا انتقلنا خارج الدشم: فإننا سنجد ممراً على شكل قوس، ينتهى طرفاه بمربض للدبابات، يمكن للدبابة أن تصعد فوقه، لتعود وتختفى عندما تنزل إلى قاع القوس بعيداً عن القذائف المصرية . وقد ضمت كل دشمة ثلاث دبابات . .

أما بالسنبة للمراقبة فقد تم تركيب (بيريسكوب) اليكترونى يصعد **(أتوماتيكيا)** من إحدى الثغرات ثم يختفى .

إن التكلفة المرتفعة، والجهد الشاق، الذى بذل فى إقامة **(خط بارليف)** والذى تكلف حسب بعض التقديرات الإسرائيلية (حوالى **مليارات**) من الليرات، إضافة لمليار مواد أولية وعشرات الآلاف من المعدات والمهندسين والعمال .

لم يكن كل ذلك بلا هدف، أو لمجرد التظاهر،

فقد كان ترسيخ الوجود الإسرائيلى واحداً **من أهم الأهداف** التى بنى من أجلها **(خط بارليف)** إضافة لما يمكن أن يوفره من إعطاء إنذار مبكر فى حالة محاولة القوات المصرية القيام بأية عمليات ، وحماية جنود إسرائيل من تأثير نيرات المدفعية المصرية والطيران .

كل ذلك وغيره من الأهداف الاستراتيجية للعدو، مضافاً إليها توجيه الضربات للقوات المسلحة المصرية، وللمدن التى تقع فى مواجهة **(خط بارليف)** بقلاعه الحصينة .



وللنابالم .. قصة أخرى

فى السطور السابقة تحدثت عن خط بارليف ومدى التحصينات المكثفة والإمكانيات التى توفرت فى نقاطه القوية الحصينة، ومدى الأمان الذى كان يوفره للجنود الإسرائيليين، بل والرفاهية التى وفرت لهم ، ومن قبل ذلك كان الحديث عن قناة السويس ، باعتبارها مانعاً فريداً ، وفر للعدو عائقاً إضافياً لما صنعه الإسرائيليون من سواتر ترابية وحصون منيعة .

ولعل القارىء العزيز قد يلاحظ . أننى أغفلت الحديث عن السلاح الذى طالما صنعت حوله إسرائيل هالة إعلامية، وحكايات أسطورية، استخدمتها فى حربها النفسية التى بدأت مع بناء (**خط بارليف**) الشهير .

والحقيقة: اننى أخرت الحديث عن سلاح النابالم الرهيب لنفرد له مساحة مناسبة نستعرض ـ معاً ـ خلالها بعضاً مما جاء فى مذكرات القادة والخبراء، وتحليلات المتخصصين .



اختراع النابالم ليس إسرائيلياً

فى البداية لا بد و أن أسوق هذه المعلومة التى تؤكد: أن إسرائيل لم تكن هى أول من أبتكر فكرة المانع النارى كما يحلو لها أن تزعم . .

إن هذه الفكرة ظهرت لأول مرة عام ١٩٤٠ حينما ابتكرها أحد الضباط الإنجليز ويدعى (**جون بيكر هوايت**) و كان من ضباط المخابرات، فقد لفت انتباهه وجود أنابيب بها ثقوب، متصلة بخزانات وقود، بالقرب من خليج (**سانت مرجريت**) حيث كان ترابط القوات الإنجليزية متأهبة لمواجهة الغزو الألمانى، وصده. . وفكر الرجل فى إمكانية استغلال هذه الأنابيب والخزانات، لإشعال سطح المياه.

وبالفعل قام بعمل نموذج منها، واستثماره فى حرب نفسية ضد الألمان، وقد صادفت هذه الفكرة نجاحا باهراً، على الرغم من تواضع الإمكانيات المتاحة فى هذا الوقت.

قامت القوات الإسرائيلية بإعداد مواسير (للنابالم) تتجه إلى مجرى القناة، تخرج من النقاط الحصينة التى اقيمت على مواجهة تقدر بمائة وسبعين كيلو متراً.

وذلك بعد أن أعد الإسرائيليون أجهزة ضخمة لضخ المواد الملتهبة على الشاطىء الشرقى للقناة، بحيث تقيم فى دقائق معدودة سدا من النيران واللهب . . والنابالم . . عبارة عن زيوت سريعة الاشتعال مع كميات محسوبة من الكيروسين لتكوين طبقة من النيران فوق سطح المياه. . وقد

تم ملء المستودعات الضخمة بالخليط السريع الالتهاب، والتى وضع لها صمامات تتحكم فيها طلمبات ضخ (**ماصة كابسة**) يخرج منها خط من الأنابيب بقطر ٤ بوصات ينتهى بفتحات تحت الماء على مسافات متقاربة وبشكل أكثر تركيزا فى جميع الأماكن الصالحة للعبور.

كانت جميع المستودعات المملؤة بالنابالم مدفونة تحت سطح الأرض تحسبا لعدم إصابتها بنيران المدفعية المصرية، أو الطيران وكان كل مستودع منها قادرا على ضخ ٢٠٠ طن.

وقد بلغت درجة حرارة قطعة من هذه المادة البشعة ـ عند تحليل جزء منها فوق المياه ـ بلغت سبعمائة درجة مئوية . . وهو الأمر الذى دعا (**موشى ديان**) أن يقول ـ ذات يوم بعد حرب الاستنزاف: أن القوات المصرية لو حاولت عبور قناة السويس: فسوف تباد عن آخرها وتتحول الى رماد.

وبعد: فقد كان (**خط بارليف**) وبكل المقاييس: واحدا من أقوى القلاع العسكرية فى العصر الحديث. . **ومن هنا يتضح**: قيمة، وحجم العمل العسكرى الرائع، الذى قامت به القوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر. إن التاريخ العسكرى قد شهد خطوطاً دفاعية حصينة عديدة. . فقد **أقامت فرنسا** قبل نشوب الحرب العالمية الأولى: خطا دفاعيا حصينا سمى (**فردون**) واستطاع الألمان تحطيمه فى (**فبراير عام ١٩١٦**) ويومها أعلن المارشال **فولكنها ين**: انه حطم كبرياء فرنسا ومعنوياتها. . ،

وبعد عشر سنوات من الحرب العالمية الأولى **أقامت فرنسا** خطها الدفاعى الثانى، بعد أن استفادت بتجربة خطها الأول (**فردون**) فقام وزير دفاعها (**أندريه ماجينو**) بالإشراف عليه وقد سمى الخط باسمه وقد كان هذا الخط منيعا، بحيث لم يستطع الجنرال الألمانى (**جودريان**) اقتحامه،

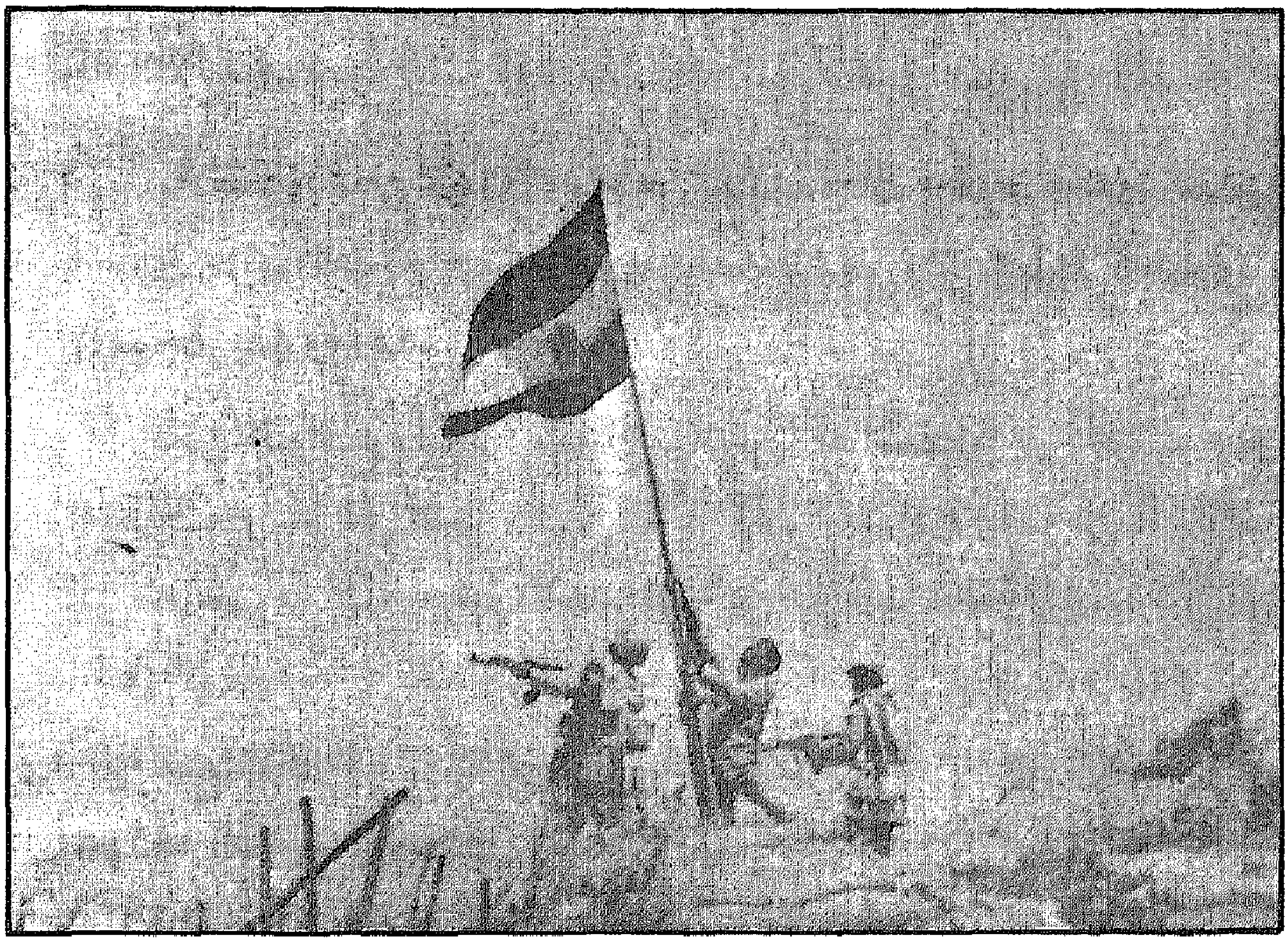
وقام بالالتفاف حوله وتطويقه، والاندفاع بمدرعاته فى اتجاه نهر (المللين).

بالإضافة لخطى فردون وماجينو: كانت هناك خطوط دفاعية حصينة أخـرى عرفها التاريخ قبل (**خط بارليف**) الشهير مثل خطوط (**جينسوتا**) (**وسيجفريد**) وغيرها من الخطوط.

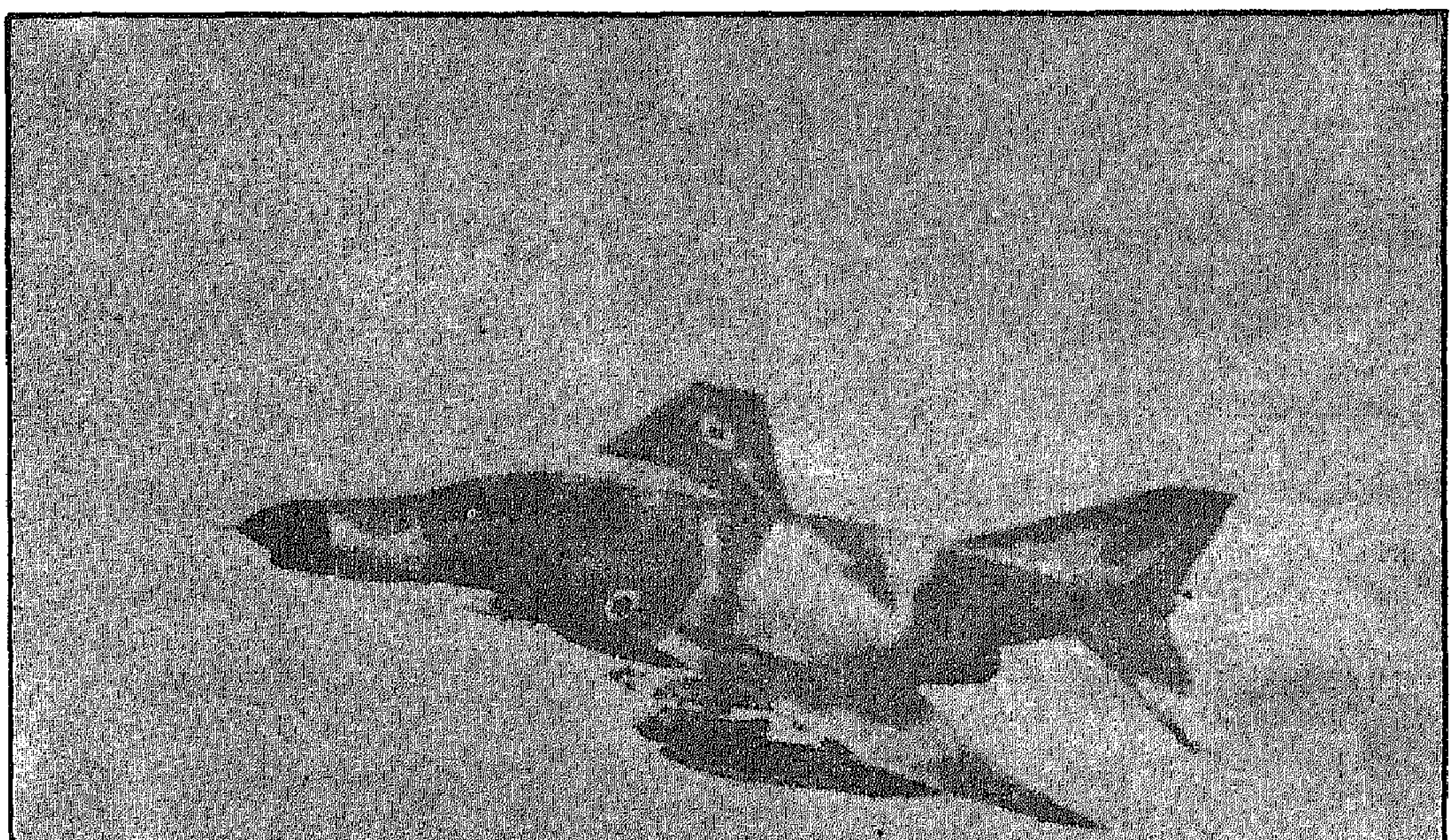
لكن الـواقـع يقـول: إن الإسرائيليين قد استفادوا من تجارب جميع الخطوط، وأنهم قد تجنبوا سلبياتها، **بل** إنهم استفادوا أيضا من التجارب التي خاضـوها أثناء حرب الاستنزاف التى تم فيها تدمير جانب كبير من الخط الأول.

ومع الاعتراف: بأن (**خط بارليف**) **كان من أكبر القلاع الحصينة التى شهدها التاريخ العسكرى المعاصر، فإن استغلاله** فى الحرب النفسية من جانب العدو كان شاملا.. فهذا هو (**مناحم بيجن**) يقول فى منتصف مايو عام ٦٩: «إن المصريين لن يمروا عبر (**خط بارليف**) ولو فكروا فى ذلك فانهم سيكون مصيرهم مثل مصير جيش فرعون».

وسـوف يذكر التاريخ لجيش مصر الباسل: أنه واجه هذا التحدى الكبير، وتحصينات (**خط بارليف**) التى أحسن القادة التخطيط لإقتحامها، وبـرع المقـاتلون وهم يقتحمـون هذه المـواقـع الحصينـة، متسلحين (**بالشجاعة، والإيمان**) **وبروح أكتوبر** المجيدة، تلك الروح: التى أسقطت هذه القلاع الحصينة وحطمت إلى الأبد: أسطورة الجيش الذى لا يقهر، وأعـادت للعسكرية المصرية اعتبارها فى **أول معركة حقيقية** يخوضها أبناء جيش مصرالبواسل



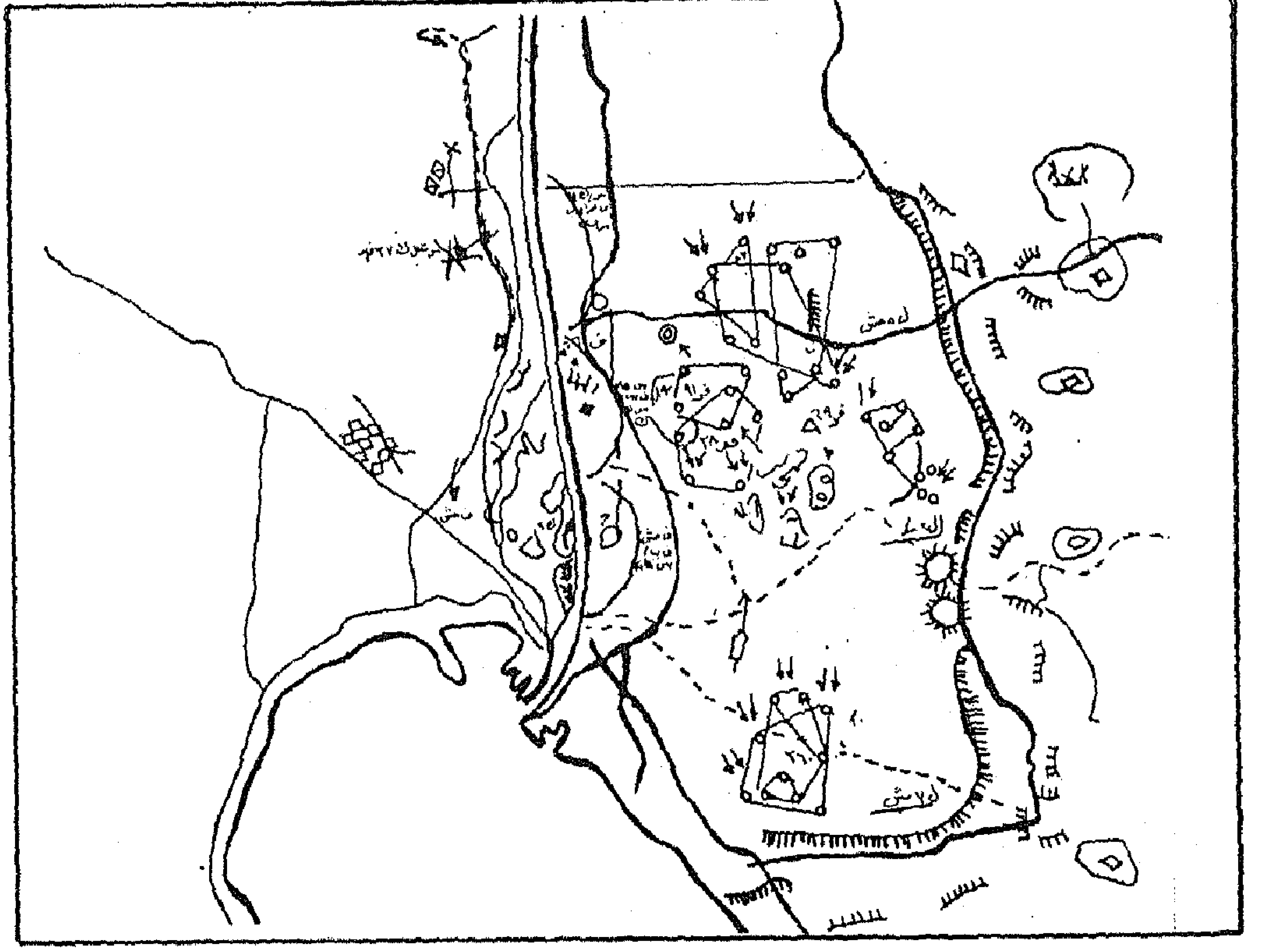
■ اول علم يرفع على الساتر الترابى بواسطة اللواء السابع من الفرقه ١٩ ■



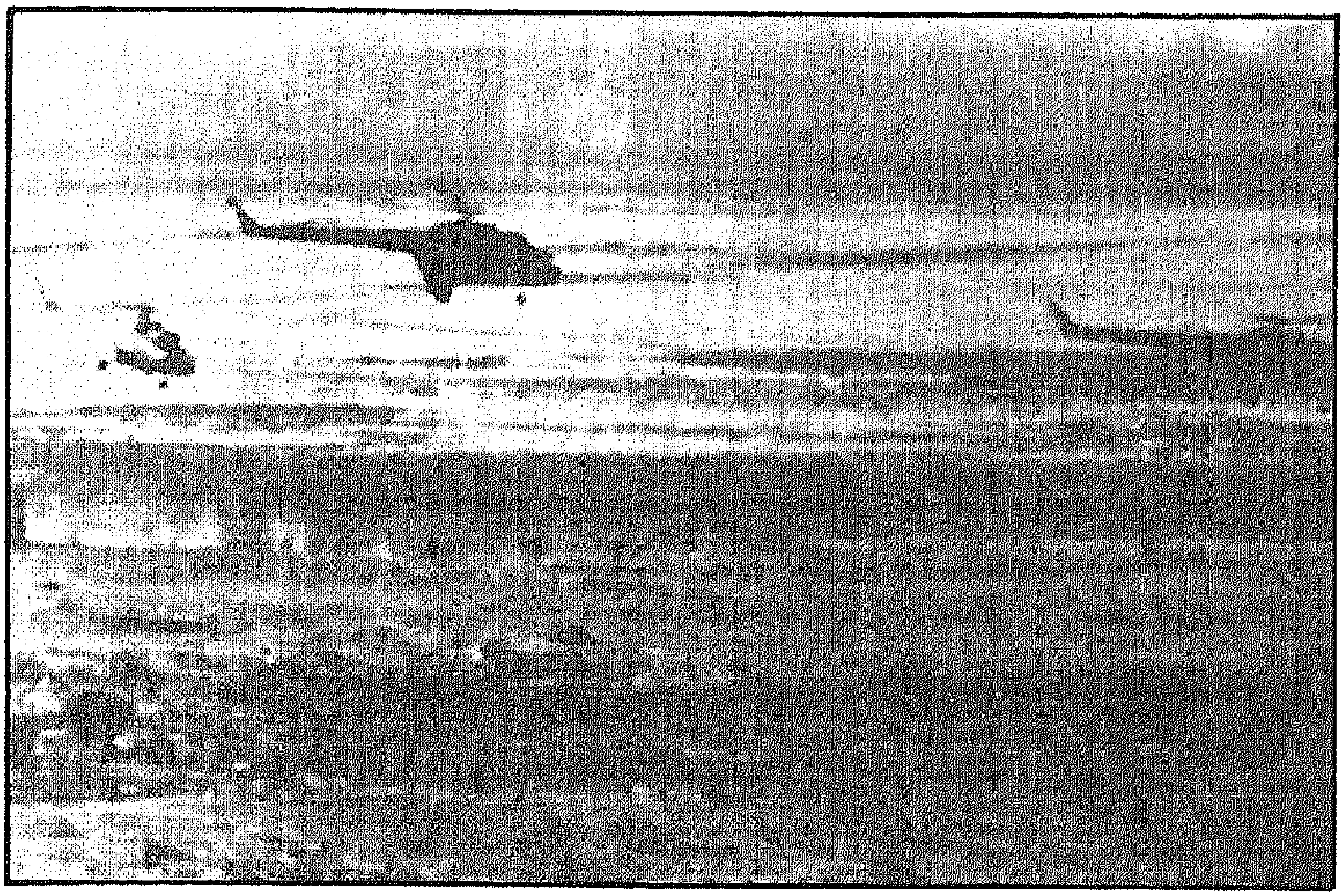
■ طائره ميج ١٩ ■



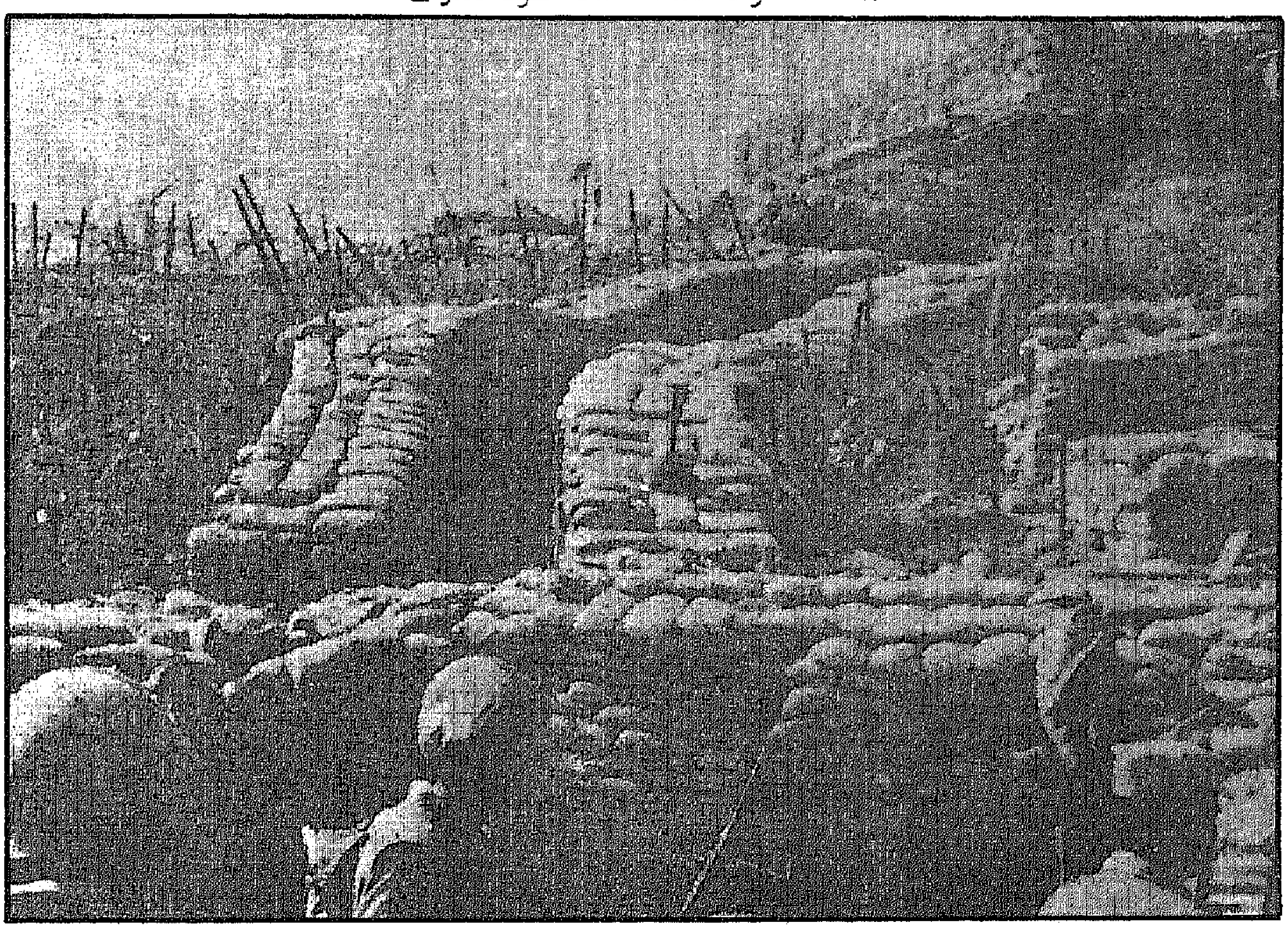
■ القائد الأعلى للقوات المسلحة في مركز القيادة ■



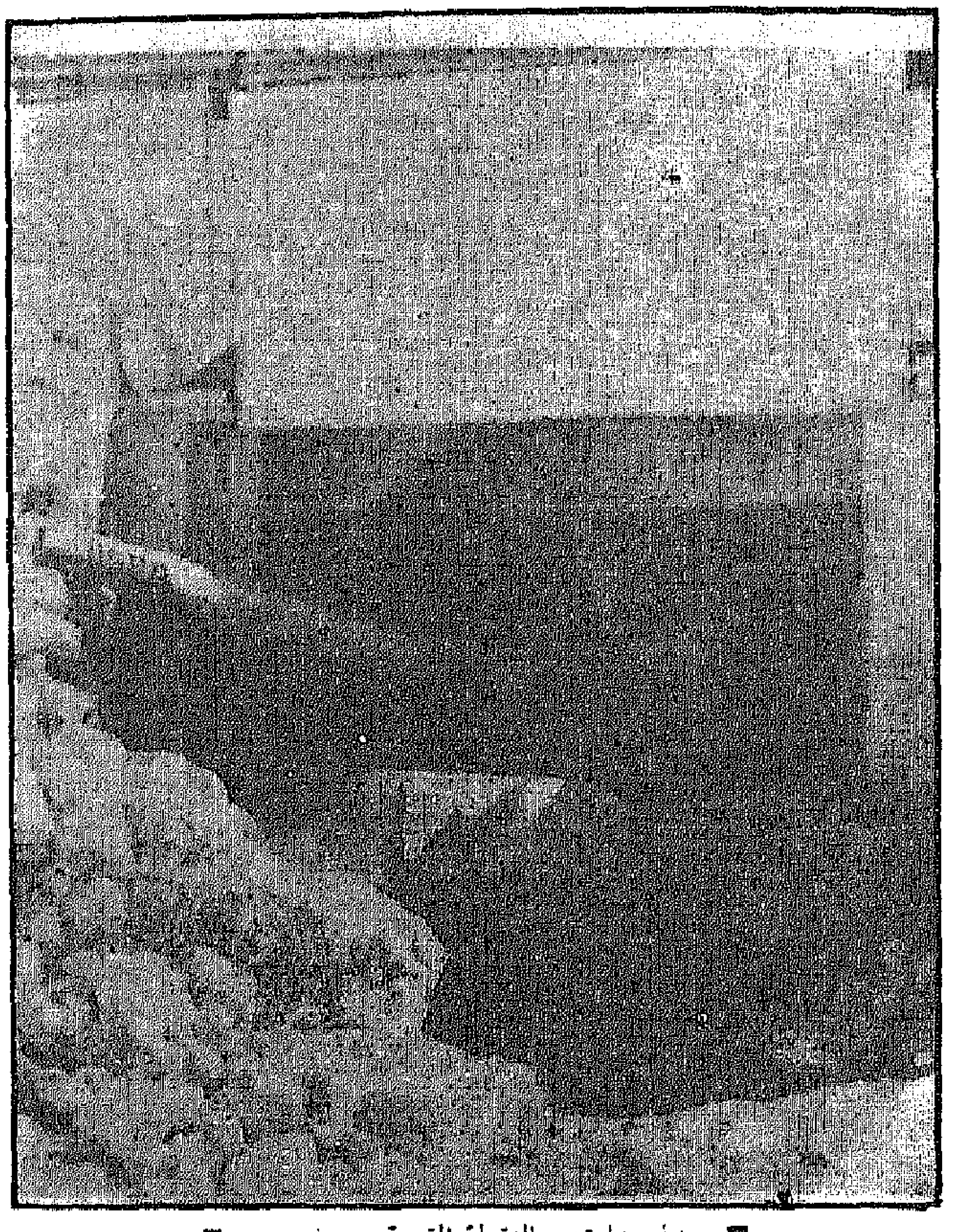
■ خريطة توضح موقف عمليات الفرقة ١٩ يوم ٢٣ اكتوبر ■



■ اسقاط قوات الصاعقه خلف خطوط العدو ■



■ النقطه القوية ١٥٨ ■

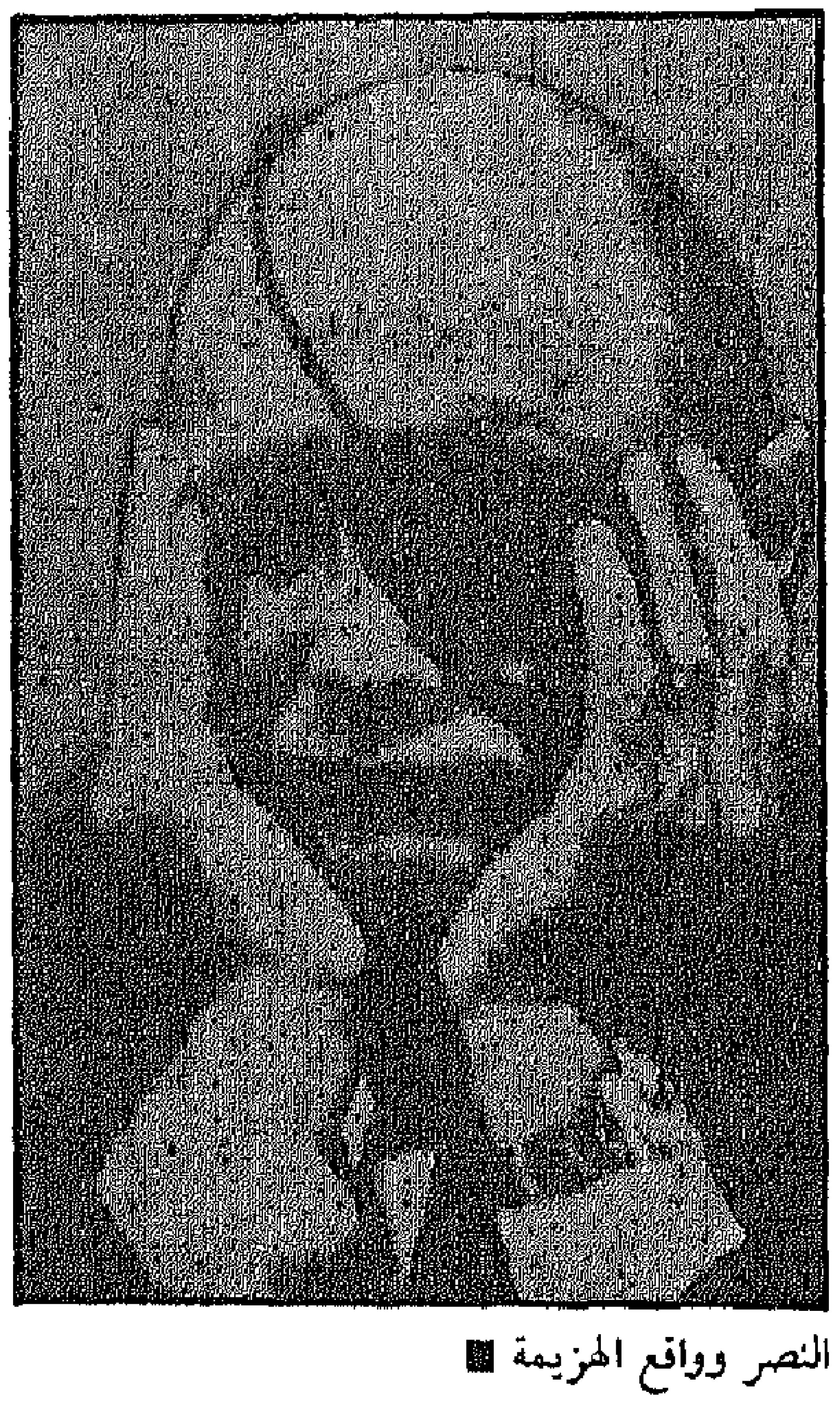




■ مدفع هاوتزر بالنقطة القوية بعيون موسى ■

■ أحلام بيجن قبل العبور ■





■ موشى ديان بين غرور النصر وواقع الهزيمة ■

الفصل الرابع

ملاحم الاستيلاء على النقاط الحصينة

* الفرقة ١٩ حققت إنجازات مذهلة فى الأيام الأولى للمعركة.
* ٧ أيام من الحصار .. وسقط الموقع واستسلم الإسرائيليون.
* لو ادعيت أن العدو واجهنا فى موقع عيون موسى لصنعت له بطولة لا يستحقها.
* الفرقة ١٩ مشاة أسرت وحدها ٨٣ أسيرا منهم ٨ طيارين.
* مع بزوغ فجر يوم ٨ أكتوبر كانت أمامنا مفاجأة غير سارة.

شهـدت الأيام الأولى للحـرب من اليوم السادس وحتى التاسع من أكتوبر أحداثاً هائلة فى المساحة التى تمركزت فيها القوات المصرية بعد العبور.

ولن أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إن منطقة رأس كوبرى **الفرقة ١٩ مشاة** كانت أعقد مناطق الأحداث على طول الجبهة.

فقد قاتل الجنود بدون دبابات، لتأخر إقامة الكبارى لمدة ٢٦ ساعة بأسحلتهم الخفيفة.

ولم يكن أمـامهم ـ فى بعض الأحيان ـ إلا الاستشهـاد فوق دبابات العدو لتدميرها.

كما كانت النقـاط القـوية فى هذه المنـطقة محصنة لدرجة خيالية. . وأثيرت حولها أساطير منها (**موقع عيون موسى**) الذى لم يكن يمثل معركة على الإطلاق وإنما استولت عليه قوات الفرقة؛ بعد أن تركه جنود إسرائيل مذعورين تماماً.

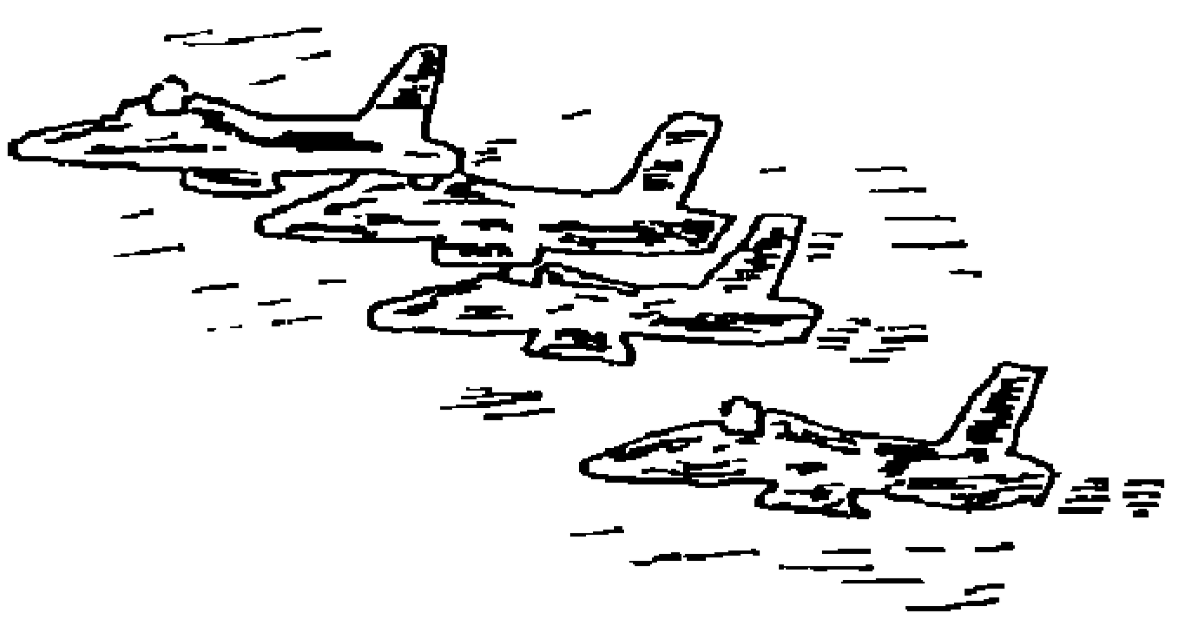
وتتضمن هذه الحلقة الحديث عن تطبيق العمليات القتالية لقرار تطوير الهجـوم على الجبهة المصرية نحو الممرات؛ لتخفيـف الضغط على الجبهة السورية، وأحداث تطوير للهجوم:

وكيف بدأ ؟ وكيف توقف ولم يستمــر؟ (**والتكتيكـات**) الإسرائيلية الجـديدة التى واجهت بها القـوات المصرية المتقدمة نحو (**ممرات سيناء**) وبعض وقائع تعثر اللواء الأول الميكانيكى فى تحركه نحو (**سدر**).

إن مسألة التطوير كانت تستهدف التقدم، ولكن بعد وقت قليل من صدور الأوامر: تم إلغاؤها بعد أن كان أحد اللواءات قد تقدم بالفعل،

وكانت الفرقة فى هذا الوقت قد تقدمت حتى تمركزت على بعد ٢٠ كم من المدخل الغربى : «لممر متلا» .

إن أكثـر الأيام المختلف عليهـا فى التاريخ العسكرى: **هى أيام ما (بعد العبور) . وحتى (الثغرة) .**



عمليات ما بعد العبور

لقد كان العبور يتم على موجات، وما حدث هو: أن بدأت أولاً ضربة الطيران لتدمير النقاط الهامة فى الأعماق، وفى أعقابها قصفت المدفعية أهدافها. . **وأثناء عملية الضرب** كانت تتقدم قوات المشاه للوصول إلى المحاور المحددة؛ لكى تستطيع العبور.

أثناء هذه العملية: سبق الجنود الزمن الذى كان مقررا أن يقوموا بالحركة فيه، من شدة حماسهم.

لدرجة أنهم بدأوا العبور أثناء ضرب المدفعية.

والأكثر من ذلك: أن أهالى (السويس) كانوا يساعدون الجنود فى نقل الذخيرة بعربات الكارو، واليد، بدلا من أن يحمل الجنود الصناديق الثقيلة على أكتافهم إلى شاطىء القناة.

وأثناء العبور ـ أيضاً ـ كان الجنود يتسابقون لوضع العلم على الضفة الشرقية، **فقد تسلمنا الأعلام** من القيادة؛ لكى نسلمها للقادة، لكى ترفع معنوياتهم، وكانت هذه فكرة **(الفريق الشاذلى)**.

كانوا يتسابقون لرفعه، وكان أول علم وضع على الضفة الشرقية للقناة بصفة عامة فى الفرقة ١٩مشاة. الساعة الثانية والنصف بعد الظهر

لقد حققت فرقتنا إنجازات هامة فى الأيام الأولى للحرب،

ولكن قبل أن أخوض فى تفاصيل هذه الإنجازات: **أود أن أؤكد أن الفرقة ١٩** قاست أكثر من الفرق الأخرى، وتحملت مسئوليات أكثر، **وكان ذلك** يرجع إلى طبيعة المنطقة التى كانت تعمل فيها. . **وقد كانت** هذه

الفرقة أسرع وأعمق الفرق فى تحريرها للأرض . . **فقد وصلنا إلى مسافة ١٣ كيلو مترا** فى سيناء شرق القناة .

والـوصـول إلى هذا العمق: يعنى وصـولنا إلى مراكز **قيادات** قوات الاحتياطى القريبة للعدو . لقد وصلنا إلى جميع مراكز القيادة الإسرائيلية على المحور العرضى الأول أمامنا ، **وقد استولينا** على قيادة **محور «متلا»** وقيادة **(جبل المر)** وقيادة **(عيون موسى)**

وتعتبر الفرقة ١٩ هى الوحيدة التى استولت على جميع مراكز القيادات الأمامية للعدو.

من خلال الاستيلاء على مراكز هذه القيادات . . . حصلت على وثائق هامـة وخـرائط العمليات وأجهـزة ومعـدات قتـالية . . **هذا بالاضافة إلى استيلاء الفرقة** على نقاط قوية هامة فى هذه المناطق ، **وهى حصون** متدرجة القـوة **(١٤٦)، (١٤٨)، (١٤٩)** ثم **(الجبـاسـات)** و **(١٥٨)** **(وعيون موسى)** و **(لسان بور توفيق)** .

الحصيلة النهائية : ٦ نقاط قوية و٣ مراكز قيادة ، وموقع مدفعية عيون موسى كل ذلك حتى يوم ١٣ أكتوبر.

وفى أغلب هذه النقاط : كنا نأسر كثيرين من جنود العدو . **فقد أسرت الفـرقـة ١٩ : ٨٣ جنديـا ، منهم ٨ طيارين** ، وذلك مـن العـدد الكلى الذى تم أسره بمعرفة القوات المسلحة وهو ١١٤ جنديا خلال كل أيام الحرب .

كما **استولينا** على ٥ دبابات باتون ، وموقع مدفعية ميدانية هاوتزر عيار ١٥٥ مم وعددها ٦ مدافع ، ثم عدد من المدافع ذاتية الحركة ، بالإضافة إلى أسلحة خفيفة بأعداد كثيرة .

وقد أسقطت الفرقة : مالا يقل عن ٣٣ طائرة متنوعة .

المهمة التالية

ويحضرنى الآن ما قيل: من أن الفرقة ١٩ أقامت رأس جسرها فى سيناء، وتقدمت بطريقة توحى بأن هدفها كان الممرات. . . .

إن هذه الأمور تستلزم إعادة نظر، وليس صحيحا أغلب ما قيل عن هذا الموضوع، فقد كانت المعركة تتكون من مراحل للوصول إلى المهمة التالية بعد وقفة تعبوية. . وهذه الوقفة التعبوية لها ظروفها. . فالتكتيك الحربى يقرر: أنه إذا كان العدو ينسحب أمامك فلا بد أن تطارده، حيث إن مطاردة العدو عند انسحابه مبدأ من مبادىء الحرب الأساسية.

كانت هناك: مهمة ابتدائية، ومهمة تالية.

الأولى: انتهت يوم ٧ أكتوبر، وبدأنا ننتظر أوامر ببدء المهمة التالية ـ أو كان يفترض ذلك ـ.

أنا لم أنتظر الأوامر. فبدأنا نتقدم حتى وصلنا إلى أقرب ما يكون للمهمة التالية، وتوقفنا فى مواقعنا. . وقبل **فجر يوم ٩ أكتوبر بساعة**. . صدرت الأوامر من القيادة؛ مضمونها: أن نقوم بتحقيق المهمة التالية قبل أول ضوء. . لو كنت قد انتظرت الأمر فى موقعى الأول: لما كنا استطعنا عمل شىء، وهذا ما أقره الآن. . ووجدت نفسى أحقق المهمة التالية فى فى الوقت المحدد

لهذا كنا مندفعين وحدنا، وهناك كثير من البطولات والأعمال الهامة التى سجلت فى تاريخ الفرقة وعملياتها، ومسجلة ـ أيضاً ـ فى عمليات حرب أكتوبر.

وسوف أحكى هنا موقعة واحدة؛ ذات دلالة.

فى أحـد تلك الأيام، نجـح العدو فى دفع فصيلة دبابات فى نقطة اتصال بين لواءين فى الفرقة، وتسللت دبابة منها تجاه مركز القيادة المتقدم للفرقة . . **على الفور:** تصدى الجندى (الديدمونى) وهو أحد جنود قيادة مدفعية الفرقة، والذى كان ضمن طقم حماية قائد مدفعية الفرقة: حاملا تسليحـه الشخصى وهو (**آربى جى ٢**) ومداه المؤثر (١٠٠ متر). وانتظر (**الديدمونى**) حتى أصبحت الدبابة فى مرمى نيرانه، وعلى (**بعد ٢٥ مترا**) أطلق دانته الشهيرة ليدمر دبابة العدو التى كانت فى مقدمة القول، لتجبر الـدبابتين الأخريين على الفرار. ولولا هذه الدانة لكان الموقف قد تغير بالنسبة لقيادة الفرقة، حيث ان قول دبابات العدو كان مكوناً من ثلاث دبـابـات، ولو تمكنت هذه الدبابات من الوصول إلى مركز قيادة الفرقة: المتقدم لاختلف الوضع، لكن دانة (الديدمونى) التى أصابت الدبابة فى مقتل، قد غيرت الموقف تماماً وأنقذ مركز قيادة الفرقة.



مدافع عيون موسى

لقد سألنى الكثيرون عن الأسباب التي دعت إلى تدمير مدافع موقع (عيون موسى) بعد الاستيلاء على الموقع.

وهذه هى المرة الأولى التى أذكر فيها هذه التفاصيل.

بعد أن تلقيت بلاغاً من العقيد (فوزى محسن) قائد اللواء السابع بالاستيلاء على موقع (عيون موسى) سليما بمدافعه الستة الشهيرة واستسلام موقع (لسان بورتوفيق) وبه خمس دبابات (باتون) جديدة سليمة: طلبت من القيادة سائقى دبابات لقيادتها، وترحيلها من الجبهة، والاستفادة بموقع (عيون موسى).

لكن المشير (أحمد إسماعيل) أرسل لجنة هندسية من القوات المسلحة لتدمير هذه المدافع والدبابات؛ خشية من أن يعود العدو للاستيلاء عليها..

كان هذا تقديره.

لكنى لم أكن مع هذا الرأى، حيث إن هناك مبدأ (تكتيكيا) هو الحفاظ على المواقع المكتسبة، وترك بعض العناصر للدفاع عنها.. والحقيقة التى أود تأكيدها هنا: أن تدمير هذه المواقع والمعدات لم يكن إطلاقًا بسبب عدم التمكن من إخراجها من خلال الحوائط الخرسانية كما ذكر الإسرائيليون فى بعض مذكراتهم.

فى يوم ٩ أكتوبر كان رأس جسر الفرقة فى منطقة **(رأس مسلة)** وكانت كل محاولات التقدم جنوبا نحو **(رأس سدر)** تتعثر، وقد حدث ذلك بالنسبة للواء الأول من الفرقة السادسة الميكانيكية؛ فقد كان من المفترض أن يتقدم اللواء تحت قصفة المدفعية من **الفرقة ١٩** وقمنا بذلك . . وتأخر خروج اللواء وتعثر تقدمه نحو رأس سدر . هذا ما حدث.

إن كل المـواقـع التى استولينا عليها: وضعت فيها قوات من الفرقة لحمايتها لكى لا يعود العدو إليها مرة أخرى . . وكانت مهمة هذه القوات حماية مؤخرة الفرقة، وجعلت رئيس الأركان مسئولا عن المؤخرة.

لذا كان الدفاع فى الحصار الذى حدث بعد ذلك دائريا، محميا من جميع الجهـات.

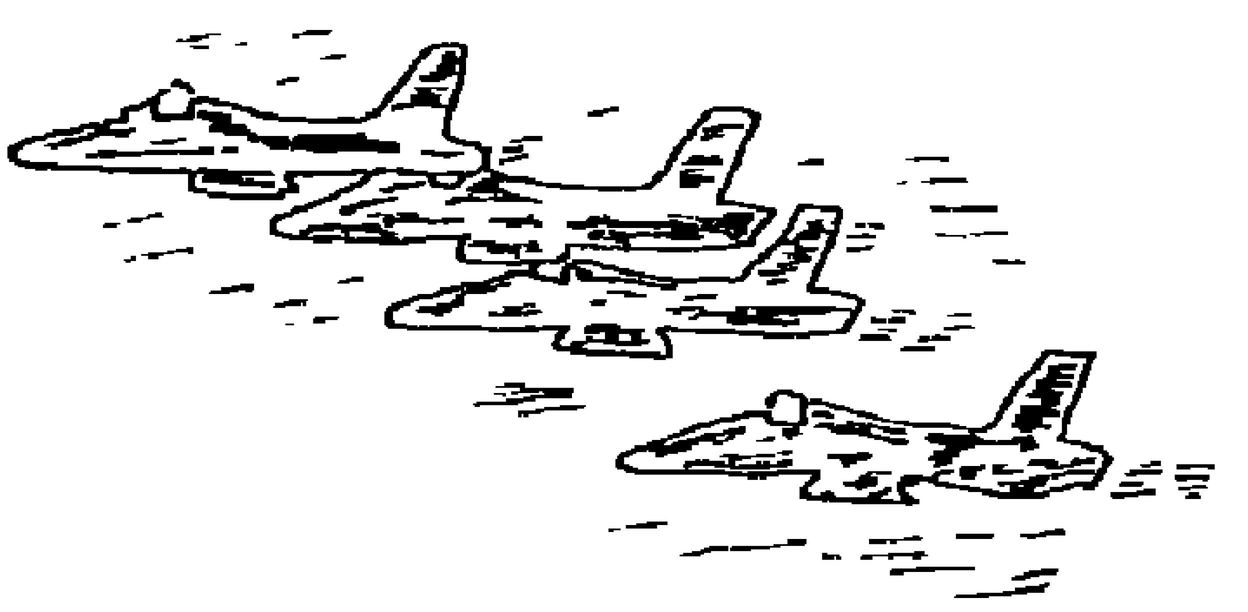
لقـد كانت مهمـة الفـرقـة هى الوصول إلى حد معين . . تجاوزناه، ووصلنا لمراكز القيادة الأمامية للعدو، وعندما تجاوزنا مراكز القيادة، قامت قوات العدو بهجوم مضاد لاستردادها، ولم يستطيعوا . . فتوقفنا . . كنا على محور متلا على مسافة **(٢٠ كيلو مترا)** من المدخل الغربى للممر.

أما مسألة تطوير الهجوم الشهيرة . . فقد صدرت لنا الأوامر من القيادة بتطوير الهجوم من أجل تخفيف الضغط على الجبهة السورية.

كانت الأوامر: دفع اللواء الثانى الميكانيكى من موقعه فى (جبل المر) **(وكـان فى منتصف قطاع الفـرقـة)** على طريق «متـلا» إلى الممـرات . . **وأصدرت تعليماتى** بالإعداد للتحرك ثم تناقشت مع القيادة، فكيف أقوم بإخلاء لواء فى المواجهة الواسعة التى تبلغ ٢٣ كيلو متراً، وهو ما قد يؤدى إلى ثغرة يدخل العدو منها؟ فلماذا لا يتم تقدير الموقف مرة أخرى؟ وطلبت

دفع لواء آخر من الخلف للأختراق نحو الممر دون إخلاء اللواء الميكانيكى من موقعه مع مراجعه الموقف.

وفى نفس الـوقت: كان مفـترضا أن يقوم اللواء العاشر الميكانيكى التابع للفرقة السابعة المجاورة بالتقدم نحو طريق الجدى فى نفس الوقت.



تطوير الهجوم

إن ما حدث: هو أن قائد الجيش (**اللواء عبدالمنعم واصل**) توجه إلى القيادة بعد أن استدعى، وبعد نقاش تم تأجيل خروج اللواءين . . ووصل الأمر للفرقة ١٩ فلم يتحرك اللواء الثانى الميكانيكى.

أما اللواء العاشر المجاور كان كان قد تحرك وعندما وصل إلى طريق الجدى صدرت له الأوامر بالعودة . . وعاد . . لموقعه السابق.

وأثناء تطوير الهجوم (**يوم ٩ أكتوبر**) قامت القوات الإسرائيلية بإقامة خط منيع للدفاع ضد الدبابات، عبارة عن صواريخ مركبة على طائرات هليكوبتر أمام جبل المر، وأثناء تقدم القوات كانت الطائرات تظهر من خلف السواتر لتطلق الصواريخ المضادة للدبابات وتختفى . . **وهو الأسلوب** الإسرائيلى الذى تحدثت عنه فلا يوجد لديهم من يحمل صواريخ ضد الدبابات، ويقف على الأرض. وصدق الله العظيم ﴿لا يقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ **وحدثت فى هذا اليوم** خسائر كبيرة في إحدى الكتائب . . وهذا سبب تأخير حركة اللواء الثانى أثناء التطوير.

فى المساء . . وبعد احتلال جبل المر فقدت تلك السواتر المضادة للدبابات فاعليتها.



أجساد ضد الدبابات !!

عندما عبرت قوات الفرقة ١٩ بالأسلحة الخفيفة ـ فقط ـ استمرت لمدة ٢٦ ساعة بدون دبابات، وتوجد وقائع كثيرة عن تصدى أفراد الفرقة بأجسادهم لطوابير الدبابات الإسرائيلية، منها واقعة استشهاد اثنين من قادة السرايا لإيقاف تقدم الدبابات.

هناك الكثير من التفاصيل؛ التي لا بد أن نذكرها لهذه اللحظات الصعبة.

إن قادة السرايا المشاة فعلوا ذلك أثناء صد هجـوم مضاد لدبابات العـدو، ولم تكن لدى سراياهم الـدبـابـات المعاونة لمدة **٢٦ ساعة**؛ لأن الفتحات الشاطئية لم تكن قد فتحت، والكبارى لم تكن أقيمت، وكنت قد طلبت من القيادة قبل العمليات استخدام المتفجرات؛ لأن هذه المنطقة كانت صلدة، ولا يصلح معها التجريف بالماء وحده.

ما حدث: هو أن التجريف استخدم وحده، ولم تتم الفتحات الشاطئية وبالتالى: عدم إنشاء الكبارى، فاضطررنا إلى التعامل مع مسألة الفتحات الشاطئية ـ بأنفسنا ـ بثلاثة أطنان من المتفجرات، **فأنشىء الكوبرى بعد ٢٦** ساعـة من العبـور. وخـلال هذه الفـترة كان المشـاة يحاربون العدو بصدورهم وبدون أية دروع، وكانوا يواجهون الدبابات بالقنابل اليدوية وقواذف ال (آر بى جى).

وفى يوم **(١٢ أكتوبر ـ على محور متلا)**: تصدى الجنود للدبابات بعد

أن قصفتهم نيران الطيران والمدفعية . . وبدأت الدبابات فى التقدم لاسترداد المواقع حول محور «متلا» التى استولينا عليها .

وأصدرت أوامرى لهم بأن يصمدوا فى أماكنهم حتى آخر رجل وآخر طلقة وكانت الدبابات قد وصلت إلى مواقع المشاة وبدأت تتحرك فوق أجسادهم . . **وعندما رأى اثنان من قادة السرايا الأمامية هذا المشهد : خرجا من الحفر التى كانا يحتميان بها ، وتسلقا دبابات العدو ببسالة ، وقاما بنسف دبابتين ، واستشهدا فوقهما لينقذا القوات ، وقد تم حفر أسميهما فى سجل الشرف وهما الشهيد الرائد/ (محمد السعيد عبدالله البسطاويسى) ، والشهيد/ الرائد (السيد عبدالعظيم سرور) .**

فى هذه اللحظة ، وعندما رأى العدو أن دباباتهم تنسف بهذه الطريقة ، وأن هناك من يقفز فوقها ليدمرها ، وهى أمور لا يعتادونها مطلقا ، اضطروا إلى الانسحاب مذعورين ببقية دباباتهم . . ولم يكتمل الهجوم المضاد مع أنه كان يتم بسرية دبابات كاملة .



موقع عيون موسى

تضاربت الأقوال حول وقائع الهجوم على موقع (عيون موسى) القوى والاستيلاء عليه.

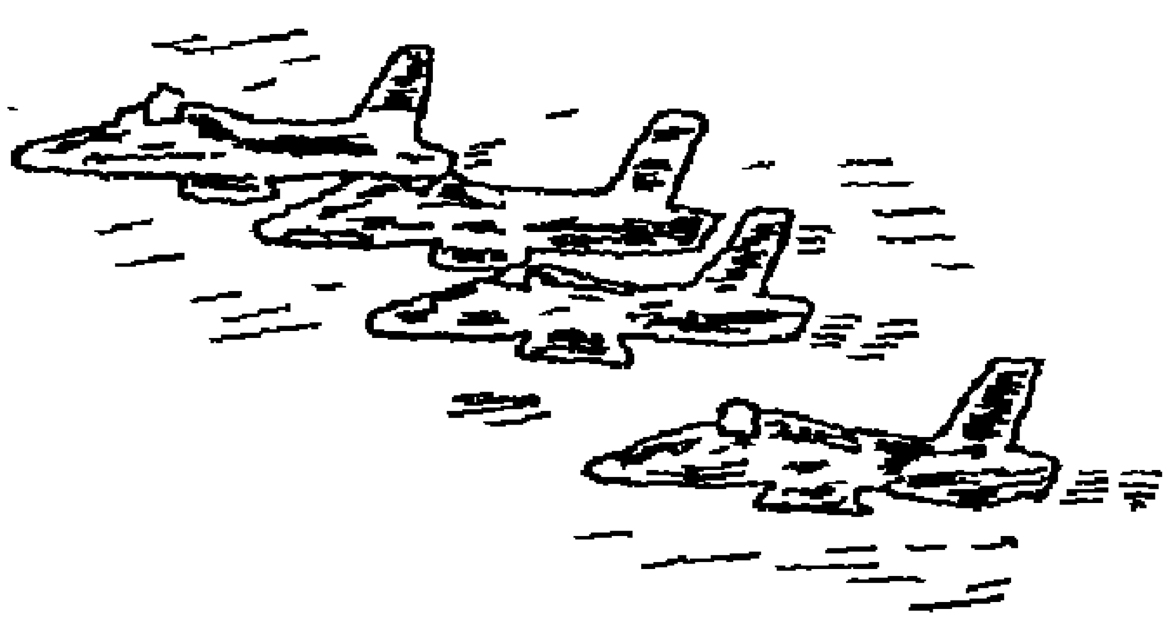
والحقيقة تقول: إن هذا الموقع كان موقع بطارية مدفعية ميدانية عيار ١٥٥ مم وهو حصين جداً، يعمل بالكهرباء، فالأبواب تفتح بالكهرباء، والمدافع تظهر وتختفى ذاتيا، وهو مخفى إخفاء كاملاً بحيث يستطيع أن يضرب أهدافه من غير أن يكتشف، ثم يوقف نيرانه ويختفى موقعه، فلا يظهر مطلقا. .

وفعلا لم يكتشف هذا الموقع ـ أكتشافا كاملا ـ لكن كان من المعروف أن موقعا ما يوجد فى هذه المنطقة بدون أن نستطيع تحديد مكانه بالضبط. . ولم يكتشف إلا يوم **٩ أكتوبر** عندما كانت الفرقة تقوم بتطوير هجومها إلى الشرق، وكان اللواء السابع من **الفرقة ١٩** هو الذى يقوم بتلك العملية وبعد أن انتهى من تحقيق مهمته القتالية أراد أن يؤمن اجنابه (تكتيكيا) فأرسل دورية استطلاع مكونة من فصيلة، تحركت يميناً، فاصطدمت بهذا الموقع الحصين.

فدخل أفراد الفصيلة الموقع فلم يجدوا به جنديا إسرائيلياً واحداً، فقد تركه الإسرائيليون، خوفا وذعراً، ظنا منهم أن قواتنا قد تحاصرهم، فتركوه قبل أن يؤسروا. . لقد كانت الذخيرة كاملة داخل الموقع، والطعام ساخنا وكل شىء فى مكانه، وهذه الطريقة الإسرائيلية فى القتال. . لكن فيما بعد

خرجت قصص عن هذا الموقع، قالها من لم يدخله، أو من لم يشاهده.. ومن لم يشارك فى المعركة.

قالوا: إن العدو حاربنا فيه وحاربناه وأعدوا له قصصا. واليهود يعلمون أنهم تركوه سليما.. ولو قلت انهم حاربونى وحاربتهم فسوف أصنع لهم بطولات لم تحدث، ولم يقوموا بها، فعيون موسى لم تكن معركة... ما حدث أن العدو أصيب بالذعر، وهرب ليترك الموقع.



موقع لسان بور توفيق

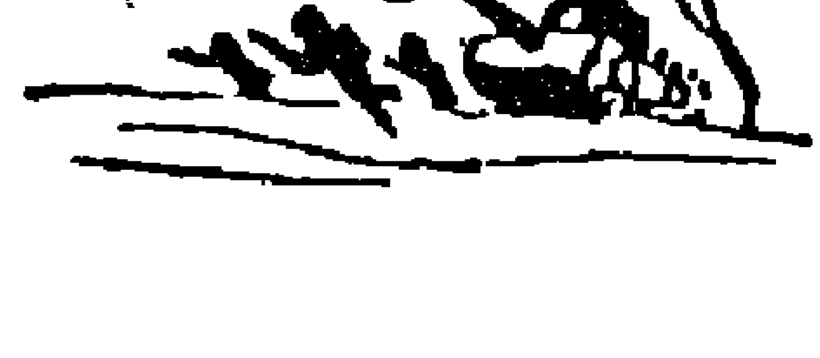
كان موقـع لسان بورتوفيق - كما جاء فى أوراق الحرب الإسرائيلية : - يضم ٦ دشم ، أقامها الإسرائيليون على اللسان الممتد إلى ما يزيد على خمسة كيلو مترات ، وكان عرضه يتراوح ما بين ٧٥ ، ٢٠٠ متر.

كانت جدران الـدشم تتكـون من عربات السكك الحديدية المليئة بالأسمنت المسلح ، وفلنكات السكك الحديدية ، وقد تم الردم فوقها بالرمل الذى يصل ارتفاعه لثلاثة أمتار حتى لا تؤثر فيه القذائف .

تتصـل الـدشم الست فيما بينهـا (بأنفاق) تحتية بحيث إذا سقطت إحداها يهرب أفرادها إلى الدشم الأخرى ، ويغلقون خلفهم أبواباً فولاذية صلبة .

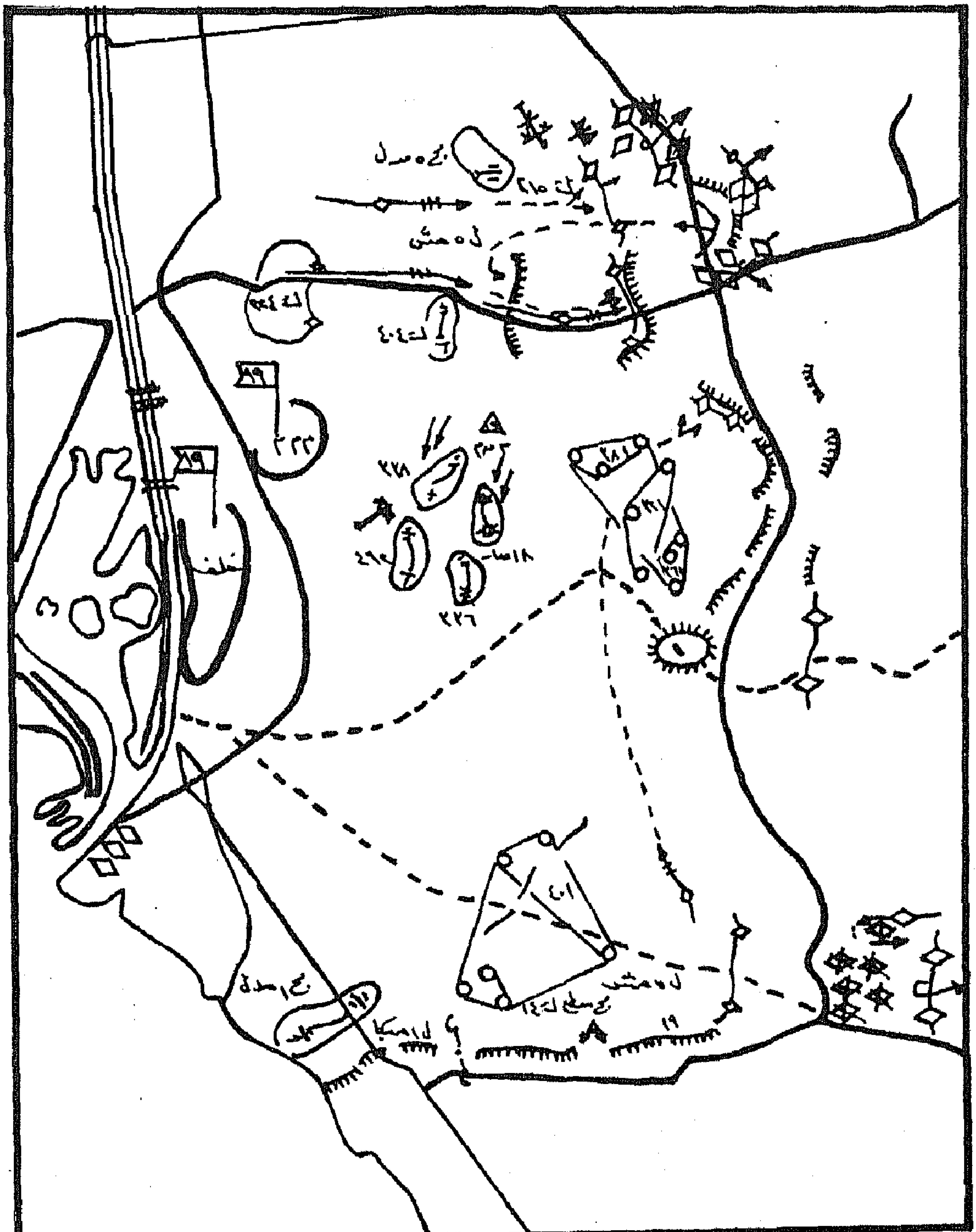
كان موقع (**لسان بورتوفيق**) مصمما بحيث لا يؤثر فيه ضرب المدفعية والـطيران ، بل إن أثقل أنواع القنابل كانت لا تحدث فيه سوى إصابات طفيفة بالجدار الأسمنتى .

أمـا تسليح المـوقع فكان يضم : خمس دبابات (باتون) الأمريكية ، وبطاريات مدفعية ثقيلة ، ورشاشات ثقيلة ، ومتوسطة ، بالإضافة إلى التسليح الشخصى للأفراد وكان عدد قوة الموقع تبلغ (٤٢) إسرائيليا .





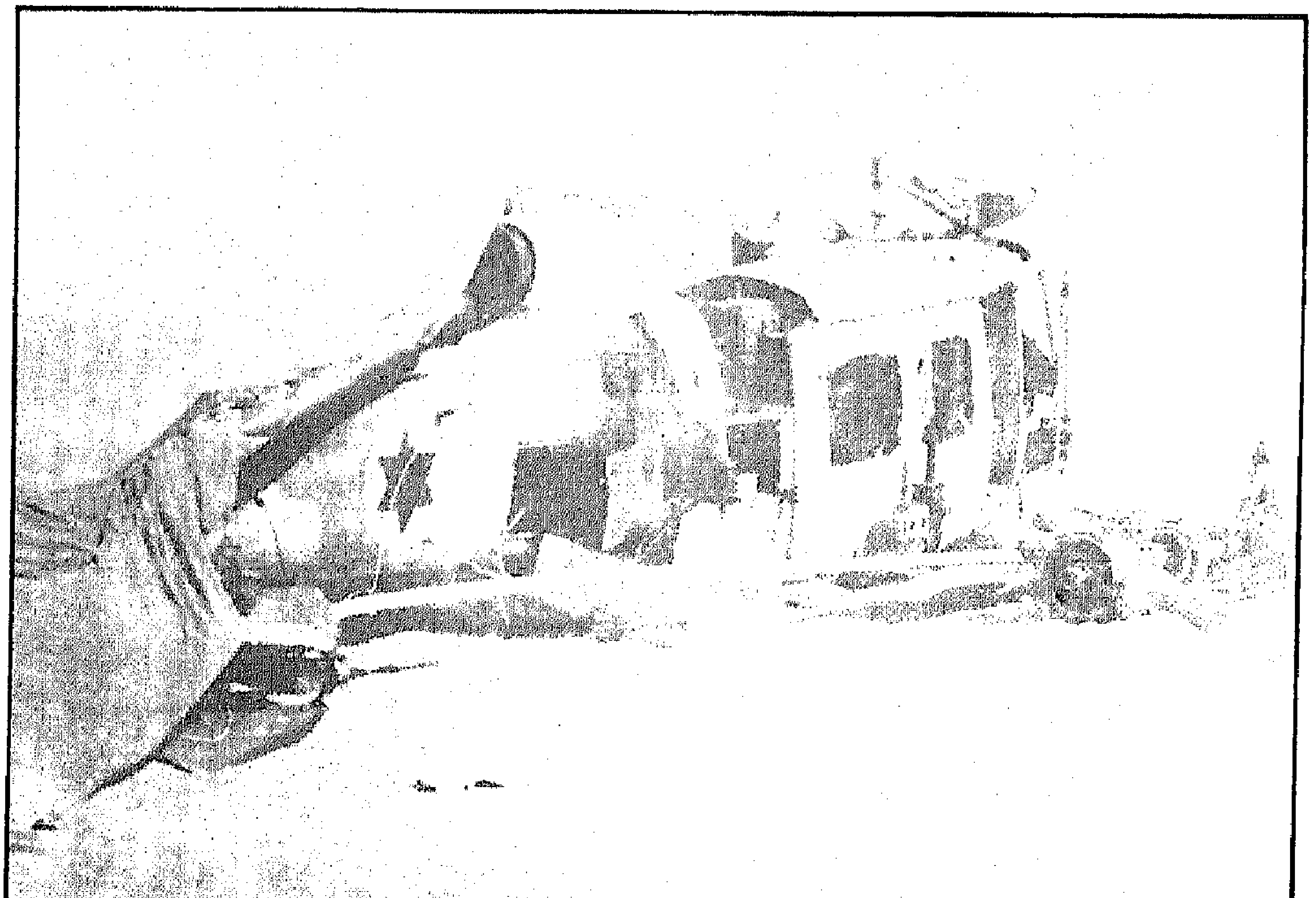
■ أول علم مصرى يرفع فوق سيناء بعد العبور ■



■ خريطه توضح إحدى المعارك الشرسة مع العدو يوم ١٢ ■



■ كوبرى الاقتحام يربط بين ضفتى القناة ■



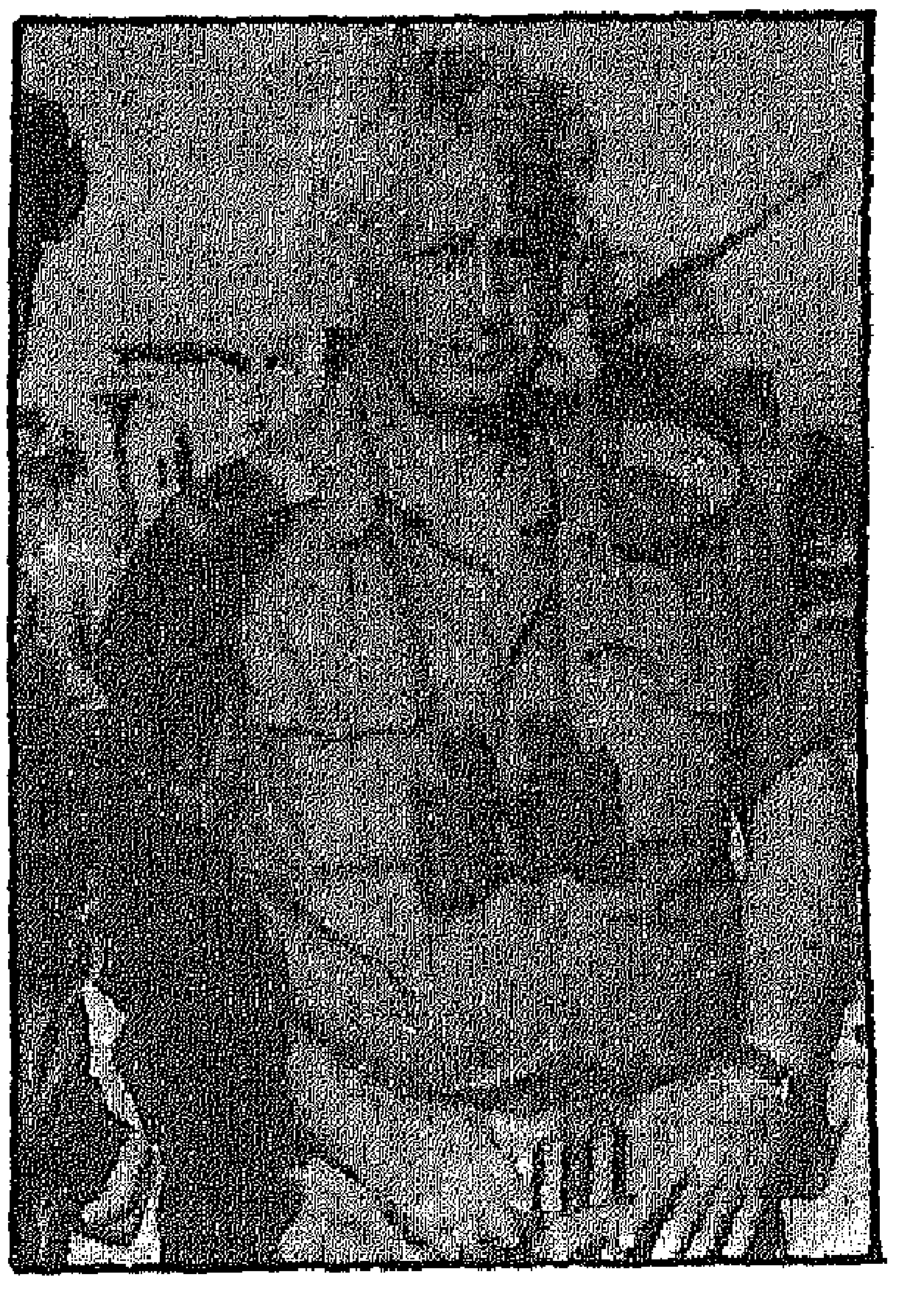
■ سقوط الطائرات الإسرائيلية ■



■ زياره لأحد المدافع الست
الشهيرة فى عيون موسى ■



■ اقتحام الدبابات
مع الهجوم ■



■ شارون يتقمص
شخصية القاده النازيين ■

الفصل الخامس

حوض الدرس : أعظم معارك الجيش الثالث

* لو تمكن العدو من اقتحام حوض الدرس لتغير وجه التاريخ
* لا أعرف لماذا ننسى مقاتلاً شجاعا مثل الفريق مدكور أبوالعز
* شارون كان يعتقد أنه جنرال ألمانى
* الجنود الإسرائيليون لا يحاربون إلا من خلف حصون ودروع
* دبابة واحدة ظلت شوكة فى حلق العدو
* لست مع الرأى القائل: إن الفريق الشاذلى مسئول عن الثغرة

كيف حدثت الثغرة ؟ . . ولماذا ؟ .

من المسئول عن هذه الثغرة التى استغلها العدو استغلالا إعلامياً مركزاً، فى وقت تهاوت فيه سمعة إسرائيل العسكرية، وبدأت ضغوط الداخل تحرج مواقف قيادتها العسكرية . ؟

كل هذه الأسئلة ـ وغيرها ـ سنحاول الإجابة عنها خلال السطور التالية؛ لنضع النقاط على كثير من الحروف؛ التى أوجدها التراشق بالاتهامات بين العديد من القادة العسكريين فى حرب أكتوبر.

تلك الاتهامات: التى سجلها كل فريق فى مذكرات عسكرية كثيرة، نشرت منذ انتهاء حرب أكتوبر وحتى اليوم .

فى سؤال كبير طرحه الكثيرون : لماذا حدثت الثغرة ؟

إن حدوث ثغرة بين الفرق، والجيوش : أمر وارد فى كل المعارك العسكرية، وهو ما توضع له خطط مسبقة للتعامل مع أى ثغرة إذا حدثت .

ولقد تدربت قواتنا ـ قبل المعركة ـ على مقاومة أى اختراق، وتم عمل التنظيم الكامل للتعاون بين الفرق والجيوش الميدانية : لإغلاق مثل هذه الثغرات إذا حدثت فى أى موقع . . .

وحدث الاختراق .

أولا : كان من الضرورى أن تكون ـ هناك ـ معلومات مؤكدة حول هذا الاختراق . . وللأسف وصلت المعلومات لبعض القادة ولم يصدقونها . . وتسببت عملية عدم التصديق، والعمل على التأكد منها : فى إعطاء وقت كاف للعدو لكى يتحرك بسرعة (بطريقة الغزالة) (والغزالة) :

طريقة تقوم على دفع قوات يمكن أن تكون صغيرة جداً إلى منطقة بعيدة، وتوهم القوة الأخرى: بأن تلك القوات قامت بالاستيلاء على منطقة واسعة،

وهى خطة - أو طريقة - ألمانية شهيرة.

بعض القادة فى الجيش الثانى لم يصدقوا - أو لم يستجيبوا - للمعلومات التى تحدثت عن اختراق العدو. ولم يكونوا يتخيلون حدوث مثل ذلك.. هذا أولاً.

ثم لم يتخذ العمل المضاد بالسرعة المناسبة، فى الوقت المناسب، لصد القوات التى تسللت

وفى هذا الوقت كان العدو قد استطاع تركيز قواته فى الثغرة.

عندما سمعنا عن القتال الدائر مع قوات العدو فى منطقة الثغرة: **أخذت مبادرة** بإرسال دورية استطلاع بقيادة النقيب **(عصام العزب)** إلى غرب القناة؛ للحصول على معلومات: نبنى عليها موقفاً محدداً.

خاصة: وقد كان وارداً ألا تصلنا معلومات من القيادة لأى سبب..

لقد جاءت دورية الاستطلاع بمعلومات كثيرة عن كل التطورات، حيث وصلت حتى **(جنيفة)**.

وبناء على تلك المعلومات: **أمرت بعبور** سرية مضادة للدبابات إلى قناة السويس وقابلت العدو القادم من الشمال خلف الجيش الثالث؛ ليحاول حصارنا فى، **(السويس)**.

فقد عبرت قوات العدو خلال الثغرة، وسارت فى طريق **(الجناين)**

وفى نفس الوقت: تحركت قوة أخرى من الجنوب من «**السخنة**» لكى تتقابل القوتان، فيتم فصل مدينة (**السويس**) (الجيش الثالث).

ولو قدر للعدو أن ينجح فى ذلك. لكان الحصار كاملا.

وكما ذكرت من قبل: فقد كانت (**الثغرة**) **أحد التوقعات التى وضعت فى حساباتنا**.

لذلـك: أقمنا سواتر رأسية إلى جانب السواتر المقامة على القناة.. وهذه السواتر هى التى مكنتنا من المحافظة على ربط الجيش الثالث بمدينة السويس

فقد قام مقاتلو الفرقة ١٩ باحتلال هذه المصاطب الرأسية على القناة، وقـامـوا بوقف تقدم قوات العدو من الاتجاهين، وحافظوا على وجود الممر المتصل بين الجيش الثالث، والسويس وسط (**حوض الدرس**).

وفى **الوقت ذاته** أعددنا خطة دفاعية لمواجهة قوات العدو فى الغرب.

وعلى الرغم من أننى لم أكن موجوداً فى مقر القيادة العامة: **لكن فى تقديرى** أنه لم يكن ممكنا سحب القوات من الشرق، لأن سحب القوات فى هذه الفترة يعنى أننا نكون قد تخلينا عن الأرض المتكسبة فى سيناء، بل كان من الممكن ـ لو حدث ذلك ـ أن يتدخل العدو أثناء سحب القوات ويقوم بتدميرها.



شهادة حق ...

إن هناك من يتهم (الفريق الشاذلى) بأنه مسئول عن (الثغرة).

بصراحة: أنا لست مع هذا الرأى.

إننى أود: أن أتوقف قليلاً: لأقول كلمة حق لله وللتاريخ.

لقد قام الفريق **(سعد الدين الشاذلى)** رئيس أركان حرب القوات المسلحة أثناء التحضير وخلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، قام الرجل بجهد كبير وخلاق، حتى ينظم تحركات القوات المسلحة بالمفهوم العسكرى.

فمن ضمن تلك الخطة: نظم انسياب مايزيد عن ثلاثة الآف مركبة فى فترة زمنية قصيرة؛ لم تتجاوز ثلاث ساعات؛ وفى مسافة لا تزيد عن عشرين كيلو متر، وفى طريق واحد: هو طريق غرب القناة.. ولم يترك صغيرة أو كبيرة فى التجهيز لمسرح العمليات.

كما أصدر (التوجيه التاريخى) الذى أطلق عليه (٤١) والذى يحمل كل الدقائق والتفاصيل؛ عن تجهيز المقاتل ومهماته المختلفة فى جميع مراحل العبور والقتال.

إن جهودا وانجازات حققها (الفريق الشاذلى): لا بد وأن نذكرها له.. كما سيذكرها له التاريخ.

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر: فإن هناك مقاتلا مصرياً آخر أتساءل: لماذا ننساه ونحن نتحدث عن ملحمة أكتوبر رغم ما قام به هذا الرجل من أعمال عظيمة.؟

إنـه الفريق (مدكور أبوالعز) قائد القوات الجوية فى فترة من أحرج الفـترات التى مرت بنـا بعد نكسة ٦٧ ، عندما كانت معنويات القوات المسلحة تعانى من الانخفاض، خاصة : (القوات الجوية) التى واجهت ظروفاً قاسية ومعروفة فى حرب ٦٧ .

لقد استطاع هذا القائد الشجاع ـ بطلعات مؤثرة على قوات العدو، وفى عمقه ـ أن يسبّب الرعب المستمر للعدو . لقد ساهمت هذه العمليات الشجاعة التى قادها الفريق (مدكور أبوالعز) فى هذا الوقت الدقيق من إعادة الثقة للقوات الجوية المصرية ، ورفع معنويات مقاتليها، وهو ما كنا فى أمس الحاجة إليه .



مواجهة من خلف الحصون والدورع

قد لا يعرف الكثيرون - من غير العسكريين - **أن قادة، وجنود العدو** لا يظهرون.. لا يسيرون على الأرض، إنهم لا يواجهون قواتنا إلا من خلال موقع حصين، أو دبابة، أو سيارات مصفحة، أو طائرات، أو غير ذلك من أدوات الحرب: يختفون بداخلها، أو خلفها.. إنهم لا يواجهون بدون دروع.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

خلال كل المعارك التي خضتها: **لم يصادفني (جندي إسرائيلي مترجلاً أبداً)** سوى في الأسر.. إنها طبيعتهم التاريخية.. فأنت تسمع عن **(حارة اليهود) (والكيوتبس)** أو **(القرى المحصنة)**. **إن حياة اليهود تتسم بالتقوقع، إنهم** يستسلمون بمجرد الهجوم النهائي.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ

---

(١) سورة الحشر. آية: (١٤)

أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾.

أذكر: عندما هاجمنا على القلعة الحصينة (بالشط) فى مدخل محور (متلا) وأسرنا ٢٠ جنديا وقائدهم، وقتل ١٠ وجرح ١٨: **فى هذه المعركة** استسلموا بمجرد انتهاء العملية.

والغريب: أنه حتى عندما استسلموا ـ بمجرد انتهاء العملية ـ كان ذلك داخل الموقع، فلم يخرج أى منهم من الحفر المنتشرة.

وفى **(عيون موسى)**.. حيث كان هذا الموقع محصناً بطريقة يصعب معها المساس به؛ فقد وجدت فتحات **(مرابض النيران)** بحيث تفتح وتغلق بالكهرباء، ومدافعه تتحرك **(أتوماتيكيا)**. كان قلعة حصينة بكل معنى الكلمة.. لقد ظنوا أثناء تطوير الهجوم يوم ٩ أكتوبر؛ أننا سنحاصرهم: فهربوا، وتركوا الموقع على حالته.. لقد وجدنا طعامهم ساخناً؛ حيث كان موعد الغداء.

وفى موقع **(الجباسات)** استسلم ١٨ جندياً وقائدهم بمجرد الهجوم عليهم، وفى معركة **(لسان بور توفيق)** استسلم ٣٨ بعد حصارهم، حتى يوم ١٣ أكتوبر بواسطة (سرية صاعقة، نطاق أول) (وسرية مشاة من اللواء السابع نطاق ثانى) واستولينا فى هذه الموقع على خمس دبابات باتون جديدة.

---

(١) سورة الحشر. آية: (٢)

قادة إسرائيل

لقـد كنـا على علم بكـل قادة إسرائيل ـ قبـل المعـركـة ـ وسماتهم، وتفكيرهم، وكل شىء عنهم.

(وشـارون) قائـد مدرعـات، يعتقد أنه ألمانى، ويتصرف على هذا الأسـاس. . ويتبنى (المدرسة الألمانية) فى سرعة التحرك، والمبادأة، رغم أنف قياداته. ولا يتقيد بالتعليمات، ثم يحاول اقناعهم بعد ذلك. . وهو ـ أيضا ـ مغرور. . بشكل غير طبيعى؛ الأمر: الذى سبب له بعض الكوارث.



ملحمة حوض الدرس

عادة: التقييم الحقيقى لوقائع ما يحدث فى ساحات القتال لا يظهر إلا بعد انتهاء الحروب بفترات طويلة.

لكن: الأمر يختلف فى معركة (حوض الدرس). حيث فرضت أهمية هذه المعركة، وتأثيراتها: أن تبرز، وأن يتحدث عنها العدو كثيراً.. حديثا يخلو من الارتياح بالطبع.

وقد ينظر البعض - بدهشة - عندما نقول: إن المعركة جرت أساسا فى غرب القناة، وأنها تعتبر من أعظم معارك الجيش الثالث المصرى.. وبالتحديد: هى المعركة التى قامت بها قوات الفرقة ١٩ مشاة فى الشريط الواقع بين مدينة السويس والقناة: عند الكيلو ١٥٢؛ التى زارها الرئيس الراحل **(أنور السادات)** قبل بدء المعارك بشهور قليلة.

لقد أرادت قوات إسرائيلية «متسللة» فى الغرب: أن تفصل الجيش الثالث فى سيناء، عن مدينة السويس؛ حتى تحقق هدفاً مزدوجاً: بإحكام الحصار على **(السويس)** من ناحية.. وإحكام الحصار على **(الجيش الثالث)** من ناحية أخرى.. وبعبارة واحدة: يمكن التعرف على أهمية هذه المعركة.. لو لم تنتصر القوات المصرية فى هذه المعركة: لتغير وجه التاريخ.

لقد أهتم الرئيس الراحل **(أنور السادات) بمنطقة (حوض الدرس)** كثيراً قبل المعركة، وقام بتفقد سير العمل فيها **(يوم ٥ يونيو ١٩٧٣)** وأبدى ملاحظات حول المصطبة الضخمة عند علامة **(الكيلو ١٥٢)** التى دارت حولها المعركة.

ومن وجهـة نظرى: أعتـبر حوض الدرس من أعظم، وأهم معارك الجيش الثالث على الإطلاق، فقد كان النجاح **(التكتيكى)** فى هذه المعركة سببا مباشرا فى النجاح **(الاستراتيجى)** بالنسبة لمدينة **(السويس)** **(والجيش الثالث)** على السواء وبطريق مباشر فى **(معركة الصمود)**.

وأذكر: أن الكثيرين قد كرروا هذه العبارات حول تلك المعركة بعد انتهاء الحرب بفترة قليلة.

لقـد وقعت هذه المعـركة عند علامة **(الكيلو ١٥٢)** فى الجنوب من (جمرك الشط) على بعد كيلو مترين .

لقد قامت قواتنا بتجهيز الساتر الترابى على الضفة الغربية من القناة، وأقامت مصاطب الدبابـات: وذلك بعد **(٥ يونيو)** بحيث تكون أعلى من مستـوى السـاتـر الـترابى على الضفـة الشرقية؛ حتى تتمكن دبـاباتنا، ومدفعيتنا، وصواريخنا المضادة للدبابات من الرمى المؤثر على دبابات العدو المقتربة من **(سيناء)** لتحتل الساتر الترابى الشرقى أثناء الهجوم.

وتتسم منـطقـة **(حوض الدرس)** بالمستنقعات، والأراضى السبخة؛ التى يصعب التحرك فيها.

ويحد **(حوض الدرس)** شمالاً وغرباً قرى: **الجناين (ومنية الغلة) (وقرية الجبلايات) (وكفـر أحمـد عبـده)** ـ وكلها مناطق شجرية ـ وحقول ذرة، وتشبه ـ إلى حد كبير ـ مناطق القتال فى أحراش **(فيتنام)**.

عندما تأكدنا من نية العدو للوصول إلى **(مدينة السويس)** بهدف رفع الـروح المعنـوية لقـواته، ولدى الشعب، ومن ثم القيام بحصار الجيش الثالث فى سيناء، وذلك للحصول على مكاسب دعائية وسياسية.

وعندما **قام** العدو ـ أيضا ـ بخرق اتفاقية وقف إطلاق النار **(يوم ٢٢ أكتوبر)** واستمر فى تركيز القصف الجوى على معابر الجيش الثالث؛ حيث تمكن من تدمير بعضها، **وحاول** تدمير أجزاء من مناطق الشئون الإدارية للفرقتين: السابعة، والتاسعة عشرة. . ، **ثم محاولاته** العديدة للوصول بقواته المتفرقة، ومن **اتجاهات** متعددة إلى مدينة السويس، والاستيلاء عليها، **ومن ثم** قطع طريق الإمداد الرئيسى للقوات المقاتلة فى **(سيناء)**.

وبالفعل فقد تمكن العدو للوصول إليها من جميع **الاتجاهات** باستثناء اتجاه طريق القناة فى حوض الدرس.



فشل العدو

الاستيلاء على حوض الدرس. . ما الذى كان يعنيه بالنسبة لسير المعركة ؟ .

لو لم نتمكن من السيطرة على حوض الدرس كان سيحدث أشياء كثيرة وهامة . فقد كان ذلك سيمكن العدو من إحكام الحصار على مدينة السويس ثم إحكام الحصار على القوات، وعزلها عن (**السويس**) وبذلك حرمان (**السويس**) من أية معاونة يمكن أن تقدمها القوات، إضافة إلى حرمان القوات من المعاونة الإدارية والروحية التى تقدمها إليها (**السويس**) .

وهناك نقطة هامة أخرى تتمثل فى العمق (**الاستراتيجى**) الذى يفيد الجانب المعنوى فمن المؤكد أن العمق (**الاستراتيجى**) يشكل مبدأ ءهاما من المبادىء الاستراتيجية العسكرية .

بل إنه من القضايا الهامة فى تشكيل العقيدة القتالية عند العدو وهو ما أكـده (**موشى ديان**) عدة مرات حيث قال إنه من الخطأ الاعتقاد بأن الأسلحــة الحـديثـة تجعـل الأرض غير مهمـة بل العكس هو الصحيح فالأسلحة المتقدمة تحتاج لحيز لانتشارها . .

كل هذه العـوامل ـ وغيرها ـ كانت وراء ـ رغبة العدو ـ المحمومة للاستيلاء على حوض الدرس ولو استطاع العدو ذلك لا قدر الله لتغير وجه التاريخ لكن شجاعة الرجال، وإقدامهم وحسن تدريبهم حالت دون أن يحقق العدو هذا الهدف الغالى فى هذه المعركة الخطيرة .

كانت مهمـة تأمين المعابر فى هذه المنطقة هى مسئولية كتيبة الدفاع

الإقليمى (١٤١) ولم تكن هذه الكتيبة تملك من الأسلحة سوى الهاونات الخفيفة والبنادق، وبعض القواذف المضادة للدبابات. **وكانت الكتيبة** تحتل مرابضها فى حافة المزروعات، والحدائق وتقيم الكمائن فيها.

أما قوات الفرقة (١٩) فقد كانت جميعها بالشرق وتقوم بتقديم المعاونة بنيران المدفعية والدبابات المرابطة على الضفة الشرقية.

فى العاشرة من صباح يوم ٢٣ أكتوبر اقتربت مجموعة إسرائيلية مكونة من سرية دبابات ومشاة ميكانيكية ـ اقتربت من جمرك الشط وهى تتحرك جنوبا فى اتجاه المصطبة رقم ١٥٢.

وهنا قامت كمائن كتيبة الدفاع الإقليمى بالاشتباك معها بينما قامت مدفعية **الفرقة ١٩** بقصف قوات العدو. وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت مجموعة العدو فى التقدم نحو الجنوب على طريق القناة.

وتمكن قائد كتيبة الدفاع الإقليمى بتوجيه نيران إحدى فصائل دبابات **الفرقة ١٩** المتمركزة على الساتر الشرقى للقناة من منع أحتلال المصطبة ١٥٢.

لكن العدو حاول من احتلالها وتمكنت الفصيلة من تدمير نصف القوة المعادية وايقافها تماماً.

وهنا اضطر قائد القوة الإسرائيلية إلى استدعاء الطيران الأسرائيلى لتدمير هذه الفصيلة ليتسنى له الاستمرار فى تقدمه، وقبل أن يقوم الطيران الإسرائيلى بمهمته فى تدمير الفصيلة: كانت الفصيلة الأخرى قد احتلت مرابضها، وتمكنت من إيقاف تقدم العدو إلى الأبد على هذا الطريق.

لقد قاتلت هذه الفصيلة بشجاعة نادرة، واستشهد قائدها، ودمرت لها

دبابتان . . وبقيت دبابة واحدة.

هذه الـدبـابـة ظلت شوكة فى حلق قوات العدو وحرمته من معاودة الهجوم . . والأكثر من ذلك: أنها دمرت من قواته الكثير.

لم يتبق للعدو سوى دبابتين . . حاول العدو أكثر من مرة الالتفاف حول الدبابة المصرية من ناحية (منية الغلة) و(كفر أحمد عبده)، لكن أطقم إقتنـاص الدبابات التى دفعتها الفرقة ١٩ فى هذا الإتجاه يوم ٢٥ أكتوبر كانت لهم بالمرصاد، وكانت عونا لتأمين الجانب الأيسر لهذه الدبابة الصامدة.

لقـد حاول العـدو طوال فترة الحصـار: اقتحام هذا الطريق بهدف حرمـان القوات من المعونة الإدارية والمعنوية التى تقدمها (السويس) كما سبق ان ذكرت ولذلك شل حركة المعدية التى قام بانشائها مهندسو الفرقة ١٩، والتى أشرف عليهـا العقيد مهنـدس (مصـطفى حمودة) قائد كتيبة الكبارى عند علامة الكيلو ١٥٦ تحت نيران العدو.

وقد تم صنع هذه المعدية من أنقاض الكبارى المدمرة . . وقد أدت هذه المعدية دوراً هاماً فى نقل ما يزيد عن مائة وخمسين متر مكعب مياه يوميا من مدينـة (السويس) وكميات هائلة من التعيينات، كما كانت القوات تقدم للسويس الدعم النيرانى : بالمدفعية، والأفراد، والأسلحة المختلفة، وتوفر لها الاتصال باللاسلكى مع القيادة العليا.

ولقد تعرضت هذه المعدية للهجوم؛ حتى يحكم العدو الحصار ويعزل (السـويس) عن القـوات، بعـد أن فشل فشلا ذريعا فى اقتحام حوض الـدرس ـ عدة مرات ـ وسيذكـر التاريخ أبطال هذه المعركة وعلى رأسهم المقاتل (محمد والى) ورفاقه.

العملية التليفزيونية

إننى أعتقد: أن الثغرة لم تكن سوى عملية (تليفزيونية) استعراضية.

وسوف أستعرض بعض السطور التى ذكرها الخبير العسكرى البريطانى الجنرال (ادجار أوبلانس) الذى قال تحت عنوان «العملية التليفزيونية»: إن الثغرة التى حققها الإسرائيليون لم تكن سوى (ضربة حظ) حتى وإن لم يعترفوا بذلك.

فعلى سبيل المثال: حدث لا يمكن أن يصدقه عقل!!.

إذ كيف يعقل أن يتمكنوا من سحب كوبرى طوله ٢٠٠ متر، ووزنه ٥٠٠ طن مسافة عشرين كيلو مترا، عبر ميدان قتال: دون أن تصيبه أضرار.

ولكن هذا ما حدث بالفعل.

كما أن القيادة الإسرائيلية لم تقرر القيام بهذه العملية إلا بعد بدء (الجسر الأمريكى) الذى نقل إلى (إسرائيل) كميات هائلة من الأسلحة والمواد العسكرية وكذلك بعد أن قدمت أمريكا إلى قادة إسرائيل صورة من التقارير التي جمعتها طائرتاالتجسس الأمريكيتان (بلاك بيرس - ٧) والتى أفادت بأن منطقة تمتد حوالى ٤٠ كيلو متراً، تكاد تخلو من القوات، تقع على الضفة الغربية على جانبى (الدفرسوار)، وتقابلها على الضفة الشرقية منطقة مماثلة إلا أنها أضيق منها.

إنه مما لا شك فيه أن (الإسرائيليين) نجحوا فى العبور (بضربة حظ)

على الرغم من أنهم لا يعترفون بذلك، ولولا الكميات الهائلة من الدعم الأمريكى التى مكنت الإسرائيليين من القيام بأكثر من (**ألف طلعة طيران**) يوميا عبر (**الثغرة**) مستخدمة أحدث الوسائل المضادة الالكترونية لمواجهة الصواريخ (**السوفيتية**) التى نستخدمها ضده.

كما أنه لولا تجاهل إسرائيل الصارخ: لقرارات وقف إطلاق النار اكثر من مرة.. **لما تمت عملية الثغرة**.

وبالرغم من ذلك: فقد أصيب الإسرائيليون بخيبة الأمل مرتين

المرة الأولى: عندما فشلوا فى دخول السويس.

والمرة الثانية: عندما فوجئوا بصمود الجيش الثالث، الذى تصوروا أنه سيلقى سلاحه ويستسلم.

بل إن قوات مصرية صغيرة تشبثت بمواقعها داخل المنطقة؛ التى ادعى الإسرائيليون أنهم احتلوها ولم تستسلم هذه القوات.

إننى أرى أن وصف عملية (**الثغرة**) بأنها عملية (**تليفزيونية**) هو وصف دقيق.

وإن كنت أفضل: استخدام وصف معركة الدعاية لأن العالم ركز اهتمامه عليها بعد أن توخى (**الأمريكيون والإسرائيليون**) قدراً كبيراً من الحرص، والعناية فى توجيهها.

فقد كان **الإسرائيليون** يريدون: استرجاع صورة الجندى الذى لا يقهر **أما الأمريكيون**: فقد كانوا يريدون أن يبرهنوا على تفوق أسلحتهم.

لقد كانت معركة الدعاية - عملية الثغرة - معركة حافلة بكثير من الأباطيل التى حاول البعض - «الإسرائيليون» - أن يؤكدوها.

وهى أباطيل يمكن أن تولد كثيراً من الآمال الزائفة.

لقد أكدت تقارير الخبراء العسكريين حول قضية (الثغرة) أن الخطة الإسرائيلية فشلت أصلاً، وبشكل درامى..، ولم يتم رتقها إلا بصعوبة بالغة.

وكما اتضح تماماً - بعد ذلك - فإن هذه العملية الإسرائيلية غرب القناة قد حققت - فقط - نجاحا فى الحد الأدنى من أهدافها السياسية، ولقد كان الهدف السياسى الرئيسى: هو رفع الروح المعنوية للإسرائيليين والحصول على ورقة للمساومة بها.

وحتى فى هذه الحدود: فإن الأمر احتاج إلى استغلال إسرائيلى وغد وسافل لانتهاكات وقف إطلاق النار (فى **٢٢ أكتوبر ١٩٧٣**).

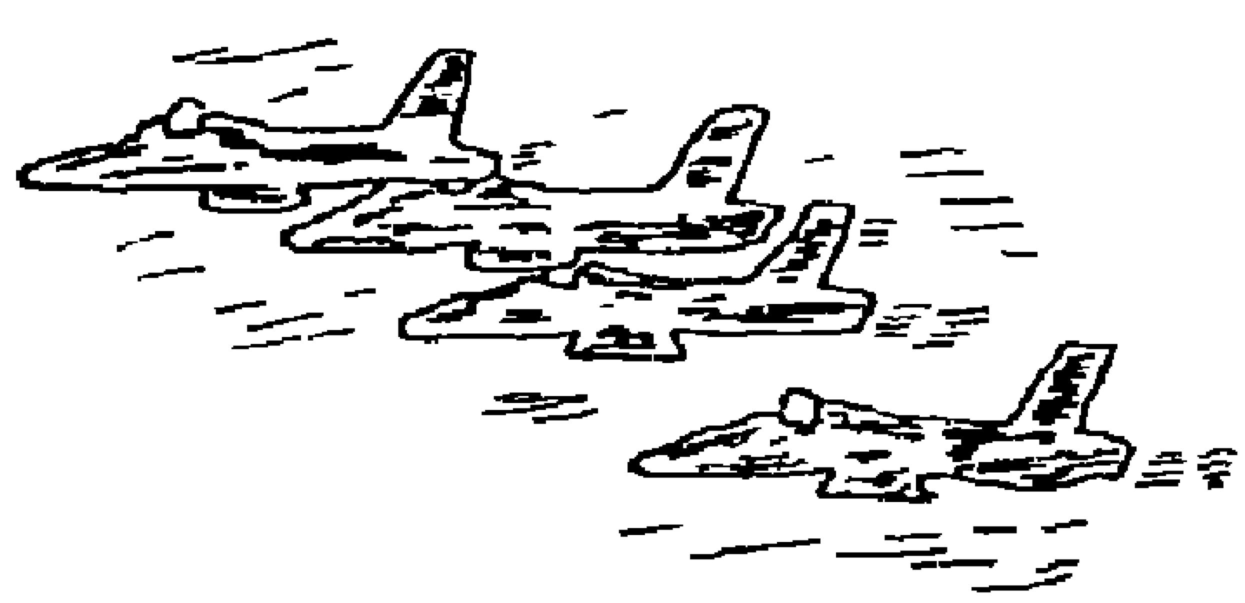
وإن وجود القوات الإسرائيلية غرب القناة كان من الممكن أن يتحول إلى كارثة بالنسبة لإسرائيل.

وأن القوات الإسرائيلية فى غرب القناة كانت رهينة فى أيدى القوات المصرية إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجى مما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر.

يضاف إلى ذلك: أنها كانت فى قلب منطقة الحشد العسكرى المصرى وبناء عليه فإن هذه العملية لم تكن سوى عملية (**تليفزيونية**).

كما أكد المحللون (**الإسرائيليون**) أنفسهم إن عملية (**الثغرة**) قد تميزت (**بالمصادفات**) التى وقفت إلى جانب القوات الأسرائيلية.

فقـد استـطاع المصريون أكثـر من مرة: تثبيت القـوات الإسرائيلية المشـتركـة فى هذه العملية شرق القنـاة، وعنـدما أراد الإسرائيليون إنزال معدات العبور إلى الماء، وتقدم أفراد مظلاتهم: لفتح الطريق لها لم يسمح لهم المشاة المصريون بالتقدم خطوة واحدة. . . وانهالت عليهم القذائف والصواريخ المصرية.





■ فريق/ طيار
مدكور أبو العز قائد القوات
الجوية بعد معركة ١٩٦٧ ■



■ فريق/ سعد الدين
الشاذلي رئيس أركان حرب
القوات المسلحة ١٩٧٣ ■



■ القائد الإسرائيلي بموقع بور توفيق يؤدي التحية للقائد المصري أثناء تسليم الموقع ■



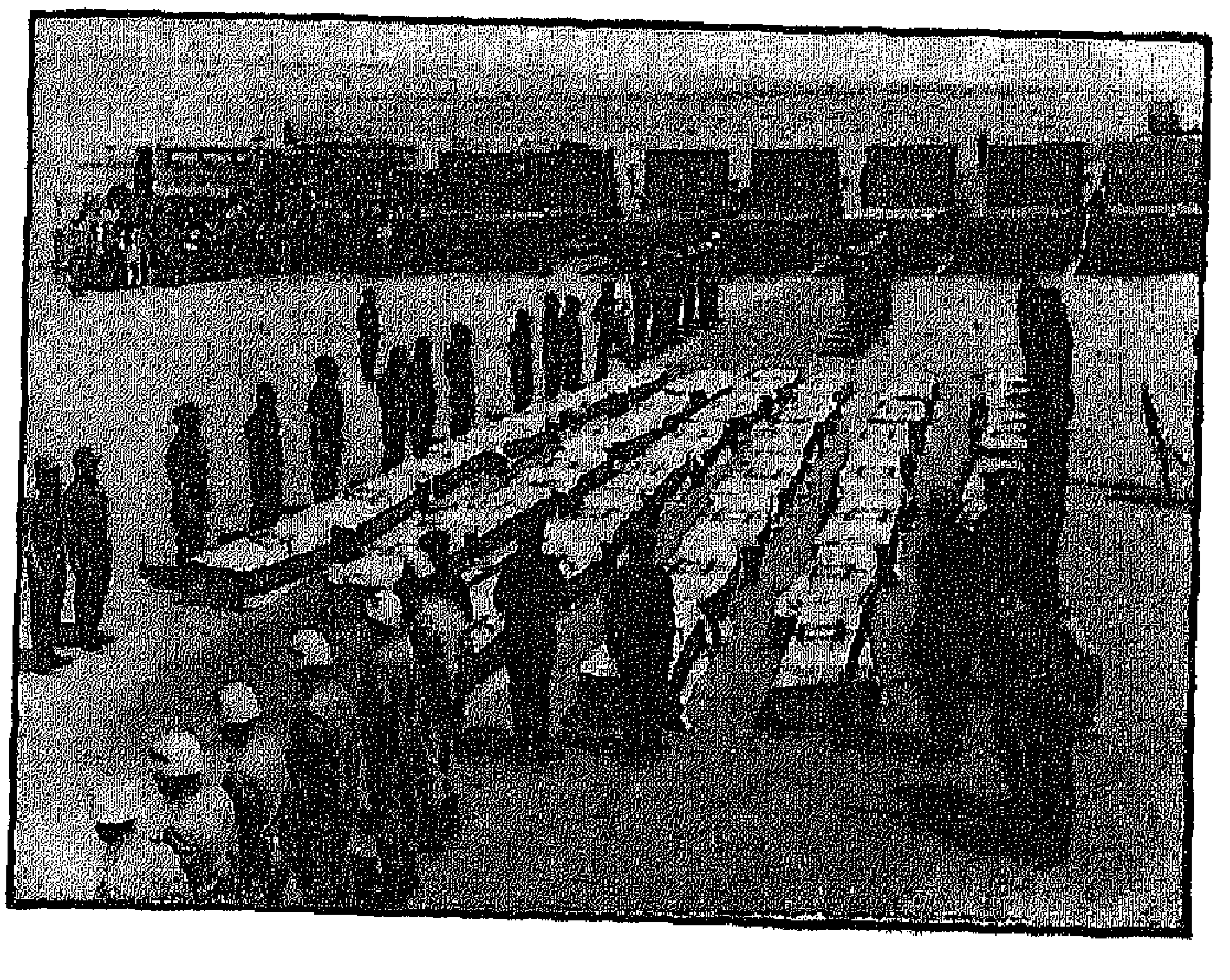
■ أسرى معركة «متلا» قبل ترحيلهم ■



■ أحد كباري العبور ■



■ طابور من أسرى العدو ■



■ نقل القتلى الإسرائيليين من الجبهة ■

الفصل السادس
ملحمة مدينة السويس

* كانت الفرقة ١٩ محظوظة ببسالة رجالها
* عندما أنقذ شهيد واحد عشرات الألوف
* المقاتل المصرى هو أكبر مفاجآت حرب أكتوبر
* ما أجمل أن يعرف الإنسان قدر نفسه.

سوف **يقف التاريخ** طويلا، وهو يسجل فى أبرز صفحاته مدينة (السويس) ـ الباسلة ـ.

سوف يلتقط التاريخ صورا عديدة لبطولات كثيرة؛ صنعها ابناء مصر: عسكريون؛ ومدنيون؛ فوق هذه الأرض الطيبة.

وتبقى ذكريات هذه الأيام الخالدة وتفاصيلها مثلا يحتذى فى تاريخ الشعوب.

بعد أن اتضحت أهداف الثغرة: بدأت المعارك تدور أمام **(السويس)** فقد اخترق العدو قرار وقف إطلاق النيران، وحاولت قواته الاتجاه جنوبا لاحتلال **(مدينة السويس)** تحت قذف جوى (هيستيرى) استمر فى بعض الأحيان ١٦ ساعة متواصلة، استخدمت فيه كل أنواع القذائف والقنابل حتى المحرم منها دوليا.

وظلت محاولات العدو مستمرة، لتطويق رؤوس كبارى الفرقة السابعة، **والفرقة ١٩ مشاة**، شرق القناة، باحتلال الساتر الغربى للقناة بعد تدمير الكبارى (٥٠ طناً ـ ٢٥ طناً المقامة على قناة السويس) فى منطقة عمليات **الفرقة ١٩ مشاة**.

ثم قام العدو بإبرار بحرى على **(ميناء الأدبية)** مستهدفا قطع طريق الإمداد عن **(مدينة السويس)** واقتحامها: شمالها، وغربها، وجنوبها.

وكان لا بد من إعادة التوازن فى الدفاع عن رأس كوبرى الفرقة، والشاطىء الشرقى للقناة، ومنع العدو من تطويق الفرقة من الغرب، مع معاونة أعمال **(قتال مدينة السويس)** والقضاء على محاولات العدو لاحتلالها.

وبـالفعل صدر قرارى بتولى رؤساء أركان الوحدات مسئولية تنظيم الـدفـاع عن الشاطىء الشرقى للقناة، كل فى قطاعه، ثم معاونة أعمال الكتيبة ١٤١ دفاع إقليمى، **وتنظيم عمليات** الاستطلاع فى غرب القناة وجميع تلك المهام تحت إشراف رئيس أركان الفرقة ١٩ العميد (أ.ح **محمد صدقى حشمت جادو**).



القصف الجوى الشرس

منذ صباح يوم ٢٣ أكتوبر كان للعدو فى هذا اليوم السيادة الجوية، حيث سيطرت على كل سماء المعركة.

وفى ظل هذه السيادة: أصبحت المدافع المضادة للدبابات والصواريخ: مقيدة.

لأنها لو قامت بعملها: سوف تكتشف، وتضرب فورا. وبالتالى سوف تتعرض المواقع للخطر.

صحيح: كان هناك تركيز كبير فى ذلك اليوم، لكنه كان تركيزا على مناطق الشئون الإدارية الخالية، التى تم إخلاؤها ليلة ٢٣ أكتوبر، كما **كانت خسائر القذف قليلة جدا نتجت: باكتشاف طائرات العدو** لبعض مواقع الدفاع الجوى؛ فقامت بإصابتها.

وقبل القصف المحموم: كنت قد أصدرت مسبقا تعليمات لجميع القادة بضرورة القيام بإخفاء المركبات فى حفر فور دخولها إلى رأس كوبرى الفرقة، وألا تبقى مركبة واحدة فوق سطح الأرض.

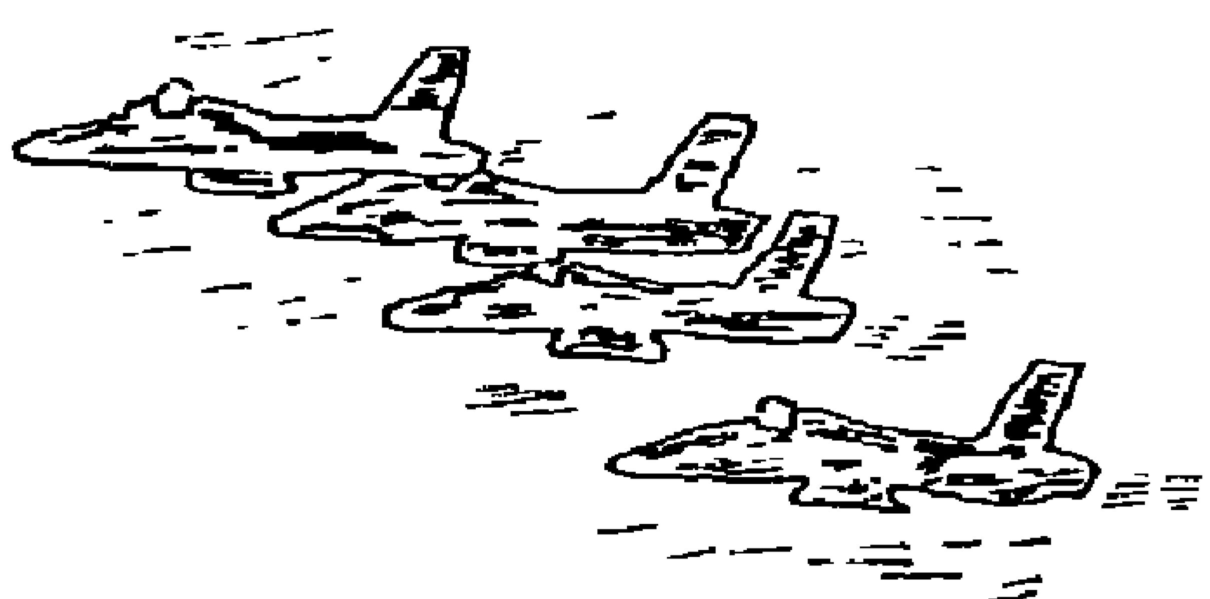
ونفذ الجميع ما طلبته؛ لإيمانهم بأهمية الإخفاء، نتيجة الخبرة التى حصلوا عليها فى حرب الاستنزاف.

كانت قواتى كلها مختفية تحت سطح الأرض، ولم يستطع العدو أن يكتشفها بسهولة كما كانت الأوامر بإخفاء أى معدة تحت شباك التمويه.

لذا لم يكن القصف المركز الذى يتحدثون عنه مؤثرا .

لقد أثبتت الإحصائيات، والسجلات : أن كل ما جرى فى هذا اليوم وما يقال عن عدد القتلى غير صحيح . . ومهما كانت ساعات القصف فهى كانت موجهة ـ فقط ـ للمناطق الإدارية الخالية، التى تم نقلها ليلا بعد وقف النيران مباشرة .

لذا: لم تكن هناك الخسائر بالصورة التى يتم الحديث عنها أحيانا .



قبل ملحمة السويس

كنا نتوقع : أن (السويس) ستحاصر، وكان اللواء السابع من الفرقة يدافع عنها قبل العبور.

إذن : كان لدينا خطة الدفاع عن (مدينة السويس) التى تقتضى بإغلاق **محاورها ومداخلها.**

لذا أرسلت دورية للاستطلاع لجمع المعلومات وتوفيرها للقيادة، **ووصلت المعلومات تؤكد:** أن العدو يتقدم، **فقررت** إرسال سرية مضادة للدبابات، لتعبر قناة السويس تحت وابل من رصاص المدفعية، وتحركت شمالاً خلف الفرقة السابعة المجاورة، حتى وصلت إلى (معسكر **الشلوفة)**. . بقيادة المقدم (حسام عمارة).

اشتبكت السرية مع الدبابات الإسرائيلية المتقدمة، ودمرت ٤ دبابات، مما اضطرت الدبابات الأخرى للتراجع، **فكمن** (حسام عمارة) فى خط آخر، وأنتظرها وهى قادمة مرة أخرى، واشتبك معها؛ **حتى استطاع** أن يدمر ١٢ دبابة أخرى، ويعطل اللواء المتقدم نحو السويس.

لكن اللواء المدرع الإسرائيلى تمكن من ضرب عربة ذخيرة السرية المضادة للدبابات، **التى** تتكون من خمس عربات من بينها عربة محملة بالذخيرة.

ونتيجة لذلك أصبح المقدم (حسام عمارة) **ورجاله بدون ذخيرة مضادة للدبابات، وأصدرت تعليمات** له بالذهاب (للسويس) بدلاً من العبور والعودة (لرأس الكوبرى) فى الشرق.

فى البـداية استطاع (حسام عمارة) فور دخوله (السويس) أن يخفى عربـات السرية التى كانت كل عربـة منها مسلحة بقنابل (آر بى جى)

بعـد ذلك: كلفته بالتحرك داخل (السويس) والدفاع عن محاورها بـ (الآر بى جى) واستـطاع (حسـام) غلق مداخـل المـدينـة واتخـذ من (حى الأربعين) موقعا له.

واستطاع أحد أفراده وهو المساعد (السيد بدور) ضرب دبابات العدو المتقــدمــة بـ (الأر بى جى) ناحية (قسم الأربعـين).. وخـرج الجنـود الإسرائيليون من الدبابات، وتمكنت القوات من القبض عليهم، ووضعهم فى الأسر.

بعـد ذلـك: أرسلت إلى المقدم (حسام) الذخيرة المضادة للدبابات فأصبحت بذلك خطة الدفاع عن المدينة مستحكمة.



المقاومة الشعبية

عندما بدأت مجموعة قنص الدبابات ـ التى دفعت من الفرقة لإحكام السيطرة على مداخل المدينة، وتدمير المتسللين من العدو، وشاركت الأهالى فى المعركة، وقاموا بدور بارز فى المعركة : ـ

لم تكن لديهم الأسلحة المضادة للدبابات . . لقد قدرنا منذ البداية ان (السويس) هى ظهر الجيش الثالث، لذا جاء اهتمامنا الكامل بضرورة الدفاع عن المدينة.

لم تكن هناك اتصالات بين المدينة والقيادة العليا فى ذلك الوقت. . كانت كل الاتصالات تتم عن طريق الفرقة ١٩، وكانت جميع الإشارات التى تخرج من المدينة تتم عن طريق (محطة لاسلكى) متعددة القنوات التى قدمتها الفرقة هدية للمدينة بعد انتهاء المعركة، كى يتمكنوا من الاتصال (بالقاهرة) كما كانت جميع اتصالات محافظ السويس، ومدير الأمن) من خلال الفرقة.

أما عن معركة (كبريت) التى تدور على الجانب الآخر فقد كان هناك اللواء ١٣٠ مشاة أسطول، ومهمته: القيام بالعبور من منطقة (كبريت)؛ لتأمين المنطقة التى تقع بين الجيشين (الثغرة).

وتحت ضغط العدو اضطر اللواء إلى الانسحاب، بعد أن تمكن من العبور. وكانت القوة عبارة عن كتيبة دافعت باستماتة عن هذه المنطقة. . لقد كانوا أبطالا لدرجة يصعب تصورها.

وأستطيع هنا: أن أوجز الأعمال التى قامت بها الفرقة اعتبارا من (يوم ٢١ أكتوبر).

سير القتال

استمر تنظيم الدفاع لتأمين الضفة الشرقية للقناة، مع دفع مجموعات استطلاع إلى غرب القناة؛ للتبليغ عن تحركات العدو.

دفع مركز ملاحظة مدفعية: لإدارة النيران ضد العدو المكتشف غرب القناة، مع دفع أطقم اقتناص دبابات؛ لتدمير دبابات العدو.



يوم ٢٣ أكتوبر

١ ـ **تم استكمال توجيه** عدد (٢) كتيبة مدفعية ميدان عيار ١٠٠ مم وكتيبة مدفعية ١٣٠ مم، وكتيبة ١٥٢ مم فى اتجاه الغرب.

٢ ـ **دفع سرية مضادة للدبابات** «شمل» بقيادة قائد الكتيبة ٣٧ المضادة للدبابات، لمعاونة أعمال القتال وتدمير دبابات العدو، ومنعها من الاتجاه جنوبا في اتجاه (مدينة السويس).

٣ ـ **تخطيط وتنفيذ مهام نيرانية طارئة** بواسطة توجيه مواسير بعض المدافع نحو الغرب ضد تجمعات دبابات العدو المكثفة غرب المدينة، مما أجبر العدو على الارتداد، وعدم تمكينه من تحقيق مهمته، واستمرار تعاون وحدات الفرقة ١٩ فى تدمير العدو المتحرك فى اتجاه (مدينة السويس).

٤ ـ **نجحت العناصر المدافعة عن (مدينة السويس)** فى صد هجوم عدد ٢ سرية دبابات، وسرية ميكانيكية للعدو، وكانت تهاجم (مدينة السويس) من ثلاثة اتجاهات :

أ ـ طريق (الجناين) فى إتجاه (الهاويس).

ب ـ طريق (القاهرة / السويس) فى اتجاه (حى الأربعين).

ج ـ طريق (الزيتيات) فى اتجاه (بور توفيق).

٥ ـ **عقد مؤتمر بقيادة قائد الفرقة ١٩ مشاة** فى مركز قيادة الفرقة المتقدم وتم تخصيص المهام لتنظيم الدفاع عن (مدينة السويس)، لصد هجوم العدو المنتظر.

يوم ٢٤ أكتوبر

من الساعة ٠٨٠٠ ـ ١١٠٠ قصف جوى مركز ضد (مدينة السويس) ومن الساعة ١١٠٠ إلى الساعة ١٧٠٠ تعرضت قوات **(رأس الكوبرى)** للقصف الجوى المركز، مع التركيز على مناطق الشئون الإدارية للفرقة، التى قد تم إخلاؤها فى اليوم السابق ـ وأيضاً ـ على الوحدات والمعابر مما أدى إلى تدمير المعابر نهائيا.

قام العـدو مستغلا نجاحه، بدفع قوات تقدر بحوالى كتيبة دبابات للضغط على **(مدينة السويس)** من اتجاه **(الجناين)** ولم ينجح فى الوصول إلى المدينة من هذا الاتجاه.

كما دفـع قوة تقدر بسريتى دبابات وسرية مشاة ميكانيكية من اتجاه **(الزيتيات)**، وأمكنها الوصول إلى مدخل (بورتوفيق) ومحاصرة مبنى المحافظة.

والأخرى من اتجاه طريق السويس أمكنها الوصول إلى **(قسم بوليس الأربعين)** حيث دارت معركة عنيفة مع أفراد المؤخرات بمدينة السويس، **ولم يتمكن العدو** من الاستيلاء على المدينة، واضطر إلى الانسحاب خارج ضواحيها بعد أن خسر معظم قواته التى أقتحمت المدينة من اتجاه طريق **القاهرة ـ السويس** وبعض قواته التى هاجمت المدينة من اتجاه **(الهويس وبورتوفيق)**.

عندما علمت بأن العدو عاد يهدد بتدمير المدينة . . **أصدرت تعليماتى**

للرائد **(على رضا)** ليتولى قيادةمجموعات قنص الدبابات، والعبور بها إلى السويس.

كانت مسألة صعبة للغاية، فالقصف الكثيف استمر على المعبر فى هذا الوقت.. **وبالطبع**: فقد كان القائمون على **(المعديات)** يحتمون فى الحفر، **فقام الرائد** (على رضا) بإخراجهم بالقوة تحت القذف العنيف للعدو لكى يقـومـوا بمساعدته، وتغطية قواته على العبور. بعدها قام بتقسيم المدينة إلى قطاعات ـ حسب الخطة الموضوعة ـ وأغلق مداخلها ومحاورها.

وعنـدمـا أراد العـدو دخول (السويس) من الشمال لم يتمكن، ولم **يستطع أيضا دخولها من (حى الأربعين)** فقد كانت القناصة فى مواجهته.. وقامت مدفعية الفرقة أيضا بتوجيه نيرانها على قوات العدو فى الغرب بمجرد معرفة أى معلومة عن تجمعاته.

بعد ذلك: وصلت الذخيرة للسرية المضادة للدبابات بقيادة **(حسام عمارة)**، فأصبحت مسألة الدفاع عن **(السويس)** مستحكمة، خاصة على مداخل المدينة وتم تقويض أى محاولة تسلل للعدو.



يوم ٢٥ أكتوبر

١ ـ دفع بعض مجموعات قنص الدبابات التى دفعت من الفرقة ١٩ مشاة الى داخل (مدينة السويس) وضواحيها لقتال دبابات العدو، بالتعاون مع السرية المضادة للدبابات، وبعد إمدادها بالصواريخ والعناصر الأخرى بالمدينة.

٢ ـ نجحت عناصر قنص الدبابات والسرية المضادة للدبابات فى متابعة دبابات العدو، والقضاء على محاولاتها للاستيلاء على المدينة.

٣ ـ قام العدو بتوجيه بعض من قواته المدرعة لاحتلال (ميناء الأدبية).

٤ ـ نجحت العناصر المكلفة بتأمين (مدينة السويس) فى تنظيم الدفاع المضاد للدبابات حول المدينة.

٥ ـ نجحت مجموعات قنص الدبابات فى تنفيذ الإغارة بنجاح على دبابات العدو فى الموقع (كم ١٥٢) ترقيم قناة غربا.

٦ ـ استمرار قصف حشود نيران مجموعة مدفعية الفرقة ١٩ المتوجدة شرقاً (فى رأس الكوبرى)ضد تجمعات العدو فى (الشلوفة)، ومنطقة (المثلث) غرب مدينة السويس.

٧ ـ استمرار وانتظام الإمداد من (بور توفيق) إلى موقع (الجزيرة الخضراء) (حيث تدافع فصيلة دفاع إقليمى).

٨ ـ تعرض قوات الفرقة وقيادتها لقصف جوى مركز، مستمر، من الساعة ٧٠٠ حتى الساعة ٣٠٠ من اليوم التالى بحوالى ٣٠٤ طلعات طائرات.

٩ ـ تركز نشاط العدو فى تنظيم قواته القائمة بحصار (مدينة السويس) من اتجاه الشمال والغرب، بقوة سريتى دبابات، وسرية مشاة ميكانيكى.

كما نظم دفاعاته غرب القناة من كم ١٥٢ حتى كم ١٤٤ ترقيم قناة بقوة سرية دبابات، وسرية مشاة ميكانيكي، مع الاحتفاظ باحتياطي عام في معسكر (**الشلوفة**) بقوة سرية دبابات، وسرية ميكانيكي، وبطارية مدفعية ١٥٥ مم.

يوم ٢٦ أكتوبر

١ - حاول **العدو** مهاجمة (**مدينة السويس**) من طريق (**القاهرة / السويس**) فتصدت له السرية المضادة للدبابات «شمل» وكبدته بعض الخسائر واضطر إلى الارتداد إلى منطقة (المثلث).

٢ - **استمرار تعزيز الدفاعات** حول (**مدينة السويس**)، لمواجهة أعمال العدو وتنظيم الأعمال الإدارية لمقابلة أعمال الحصار.

يوما ٢٧ - ٢٨ أكتوبر:

١ - **قصف جوى** مركز ضد قوات (**رأس الكوبرى**).

٢ - **استمرت** أعمال قتال قواتنا: لمنع محاولات العدو من الاستيلاء على (**مدينة السويس**) وتكبيده أكبر خسائر ممكنة، مع تحسين أوضاع القوات داخل (**رأس الكوبرى**)؛ للاستيلاء على خطوط أكثر مناسبة، والحفاظ على الروح المعنوية والقتالية العالية للقوات.

يوم ٢٩ أكتوبر

الساعة ١٠٠٠ يوم ٢٩ أكتوبر ٧٣ وصلت قوات (الطوارىء الدولية) إلى (**مدينة السويس**) لتنفيذ قرار (**مجلس الأمن**) الخاص بوقف (**إطلاق النيران**).

أما عن أحداث يوم ٢٨ أكتوبر والتى شهدت تطورا هاما عندما ذكر: أن (وقف إطلاق النار) قد اخترق أكثر من مرة بسبب قيام الفرقة ١٩ بصب النيران على الإسرائيليين **فإن حقيقة ما حدث**: أنه قبل وصول قوات (الأمم الدولية)، واتخاذ قرار وقف إطلاق النار، وفصل القوات فى (السويس).

كان العدو يحاول بكل جهد أن يكتسب أماكن، ومواقع جديدة، **وقد كانوا** يحاولون تطوير هجومهم لتحسين أوضاعهم، **فأعطيت تعليماتى** للقوات بألا تترك فرصة للعدو ليتقدم شبرا واحدا من الأرض..

لهذا كانت أية محاولة يقومون بها للاقتراب ـ لتحسين مواقعهم. كانت تقابل بنيران شديدة من جميع المحاور.

وبالفعل لم يتمكنوا من اكتساب شبر واحد من (**السويس**) **أو** الاقتراب من محاور المدينة.

والإسرائيليون يكذبون ـ كالعادة ـ عندما يذكرون فى مذكراتهم أننا كنا نطلق عليهم النيران دون أن يبدأوا بالاقتراب... ما حدث فعلا أننا لم نسمح لهم بتجاوز (**خط الهدنة**) الذى كان قد أتفق عليه.

أزمة ٣٠ أكتوبر

وأذكر أن يوم ٣٠ أكتوبر قد شهد بعض الأحداث.

في هذا اليوم كان التموين الموجود بالمدينة لا يكفى إلا لفترة قليلة.. وكان العدد فى (السويس) - فى هذه الفترة - لا يقل عن أربعة آلاف جندى ومدنى.. بالإضافة إلى ان التموين كان لا بد ان يستهلك منه جزء للعسكريين فى (رأس الكوبرى) وبالطبع: كان هناك الجنود الشاردون القادمون من الجيش الثانى، والذين دخلوا (السويس) ولم يستطيعوا الانسحاب إلى (القاهرة)، ووجدوا أن أقرب مكان لهم هو دخول (مدينة السويس) وهم أيضا يريدون طعاما.

كان لا بد أن يحدث نوع من التنظيم فى هذه العملية.. وفى هذا الوقت لم تكن السيطرة الكاملة قد تمت، سواء بالنسبة للشاردين، أو المواطنين، ولم تكن هذه الأمور قد روعيت عندما جاءت (قوات الطوارىء الدولية) لتفصل بين القوتين.

كان لا بد من تنظيم الشئون الإدارية فى (مدينة السويس).. وكان بعض المحاربين الذين إمضوا خمسة أيام كاملة فى اشتباك مع قوات العدو. كانوا فى حاجة إلى الطعام.

وبالطبع حدث قدر من الفوضى، وقد أبلغت أمر قائد الجيش الثالث إلى قائد الفرقة السابعة بإرسال (العميد الكنزى) لكى يسيطر على النواحى الإدارية وينظمها، وبالفعل تم حصر كل الموجودين، وإقرار تعيينات محددة لكل فرد. سواء من المدنيين أو العسكريين.

وبذلك تمت السيطرة على الانزعاج الذى ساد لبعض الوقت بالمدينة.

مقاتل يسعى للشهادة

وفى معركة (السويس) التى لا أنساها.

إذ أن ذكريات هذه الأيام ـ كلها ـ غالية، برغم بعض الألم الذى يسببه تذكر أحد الأبطال الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة فى سبيل ثرى وطنهم.

ولقد كانت الفرقة ١٩ محظوظة ببسالة رجالها.

والآن أتذكر أحد أبنائى . .

إنه الشهيد الملازم أول/ (فاخر فخرى عبدالصمد)، عندما دعوت مجموعات قنص الدبابات للتطوع لمهمة الدفاع عن (مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر).

فوجئت بالمقاتل (فاخر) يصر على المشاركة ضمن المجموعات.

وعندما قلت له: أنت ضابط مدفعية .

رد قائلا : يا فندم أنت لم تحدد فى نداء التطوع تخصص نوع السلاح الذى ينتمى إليه المقاتل.

قلت : لقد غلبتنى يـا بنى. . واحتضنته . .

كان بريق عينيه يشع بالإيمان والتصميم، شعرت بأن العزيمة تملأ هذا المقاتل؛ الذى يصر على القيام بمهمة؛ يعلم: أنه ربما لن يعود منها، وأننا ربما لا نلتقى مرة أخرى.

قلت له : ليت كل شباب مصر مثلكْ يا ابنى . . إن شرف مصر أمانة فى عنقك أنت وزملائك فى الدفاع عن (السويس).

قال لى المقاتل (فاخر) وأنا أشد على يديه : إطمئن يا فندم. الفرقة ١٩ كلها رجالة وأبطال.

ذهب فاخر ورفاقه . . وكانت بسالته، وروحه العالية، وإصراره، فى منع استيلاءالعدو على **(محطة مياه السويس)**.مضرب الأمثال

وأنقذ بروحه الطاهرة أرواح عشرات الألوف من المقاتلين، ومن **(شعب السويس)** الذى التف حول المقاتلين.



الشيخ حافظ سلامة

ولعل الكثيرين قد اختلفوا حول الدور الذى قام به (الشيخ حافظ سلامة) فى هذه الفترة، ولقد أتاح لى موقعى: أن أكون شاهد عيان؛ لقد قام (حافظ سلامة) بدور جليل لا انكره باى حال من الأحوال.

المشكلة: أنه استغل هذا العمل وحوله إلى دور عسكرى، والضوابط حول هذا الموضوع: واضحة.

(فالشيخ حافظ) هو: رجل دين، كان إماما لمسجد (الشهداء بالسويس).. وقبل المعركة: كان يأتى إلى الوحدات، ويقيم الصلاة مع المقاتلين، ويعظهم.. وإذا حدث؛ واستشهد أى جندى، أو ضابط فى أية حادثة: يقوم (حافظ سلامة) بالمساعدة بتجهيزه للدفن..

وكان هذا - عادة - دور تقوم به القوات المسلحة وا لتنظيم والإدارة. ولكن لوجود بعض القصور فى هذه النواحى - من البعض - كان (حافظ سلامة): يقوم بترتيب ترحيل المتوفى عن طريق (مسجد الشهداء) وعربة (الجمعية الخيرية) فيه. ويقوم بتقديم: المصاحف، والبلح؛ للجنود المرافقين.

كان هذا قبل المعركة.

أما خلال المعركة: فقد كانت الشئون الإدارية تمارس عملها بطريقة صعبة جداً، لدرجة أنه فى أحد الأيام: «٢٩ أكتوبر» كنت أقوم بزيارة

الجرحى فى المستشفى بعد انتهاء المعركة، **وتوجهت** إلى (**السويس**) فوجدت (**حافظ سلامة**)، **وطلبت منه** أن ينقل الماء إلى المستشفى، وأن يوزع أى نوع من العصائر على الجرحى، لأن حالة ارتباك كانت تسود المستشفى بعد المعركة لكثرة عدد الجرحى.

فكان يعد الحلويات، والمأكولات، ويرسلها إلى الجنود فى المستشفى لرفع معنوياتهم.

هذا ما قدمه (حافظ سلامة) وهى مسألة لها أهميتها بالطبع.

كان هناك موقف اخر حيث المكان: مسجد الشهداء..

كان يقف بجوار القائد العسكرى العميد (**عادل إسلام**) الذى كان يقود الدفاع الشعبى عن (**السويس**) وقت طلب إسرائيل تسليم المدينة.

وكان العميد (**عادل**) يتحدث تليفونيا مع (**محافظ السويس**) ويبحثا سويا طلب القائد الإسرائيلى تسليم المدينة ويتدارسا الأوضاع فى المدينة لاتخاذ القرار.

وكان (**الشيخ حافظ**) يستمع إلى الحديث؛ فتدخل فى الحديث مع (**عادل إسلام**).

وأثناء المناقشة: صاح (**الشيخ حافظ سلامة**). حى على الجهاد.. حى على الكفاح من خلال مكبرات الصوت بالجامع.

كل هذا بالإضافة إلى أنه كان يختزن بعض أجولة الدقيق والسكر فطلبنا منه - أثناء الحصار - بعض هذه الإمدادات.

كان لما قدم أثر معنوى كبير لا ينكر.

وبالطبع: فلم يقم (**الشيخ حافظ سلامة**) بقيادة المقاومة الشعبية كما يذكر البعض.

فلم يكن لدى (حافظ سلامة) العلم العسكرى ولا أسلحة ليقود المقاومة ضد دبابات العدو.

لكنه دعم (**المقاومة الشعبية**) ببعض المؤن فقط، وساعد مساعدة ضخمة فى نقل الجرحى والموتى أثناء العمليات.. **وقد منحته تصرفاته** أثناء المعارك محبة الناس.

ولكن بعد أن انتهت المعركة: طلب منى أن يحضر إلى رأس الكوبرى لزيارتنا، وكسب من زيارته لرأس الكوبرى: اعتباراً كبيراً.

زار المواقع وصلى مع المقاتلين؛ **فأشعرهم أنه** كان يشاركهم وجدانهم.. **ثم أختلف بعد ذلك مع المحافظ، وبدأ يزعم**: بأنه هو الذى قام بالدفاع، وأنه هو الذى قاتل، وأنه هو الذى دمر دبابات العدو.

وبالغ فى دوره أكثر بعد ذلك، حتى إنه فى أحد الأيام ـ بعد انتهاء المعركة ـ كان يمر على الجامعات ويلقى محاضرات عن المعارك وقوات السويس.

وكنت قد كتبت له كلمة فى سجل الزيارات بعد أن انتهت معارك السويس وتركتها.. **تقول: نشكركم على مجهوداتكم فى رفع معنويات الجنود**، ووقعت له تحتها.

فأخذ هذا السجل وسجله على شريط كاسيت، وعندما كان يزور الجامعات كان يذيع هذا الشريط وكأننى أنا الذى أقوله بصوتى.. **لدرجة أن الأستاذ** (**أنيس منصور**) سألنى: هل سجلت كلمة مكتوبة لكى يذيعها

(حافظ سلامة)؟ لقد أذاعها فى الجامعة فى **(أسيوط)**.

فقلت له: ربما حول كلمتى المكتوبة إلى كلمة منطوقة.

واتصلت به تليفونيا، وقلت له: **(يا شيخ حافظ)**؟ هل سمحت لك:

أن تحول كلمتى المكتوبة فى سجل الزيارات بمسجد الشهداء إلى منطوقة على شريط كاسيت؟.

أنت رجل دين.. ! ماذا تقصد من وراء ذلك؟.

ومنـذ هذا الوقت لم اقابله إلا عن طريق الصدفة عندما كنت أزور مدينة السويس فى الأحتفال بعيدها القومى.

فما أجمل أن يعرف الأنسان قد نفسه.



وشهد شاهد من أهلها

وأتوقف هنا قليلا لأنقل بعض ما قاله (دافيد، اليعازر) رئيس الأركان الإسرائيلى خلال (حرب أكتوبر) عن (مدينة السويس) فى مذكراته تحت عنوان: جعلنا من (السويس) : ليننجراد أخرى بالفعل

مثلما حدث للواء المظليين الذين كلفوا بفتح المحور الرئيسى لرأس الجسر؛ بالدفرزوار فوقعوا فى عدة كمائن مصرية، وسقط منهم الكثيرون، ثم تحول الموقف إلى محاولة تخليصهم بدلا من فتح المحور.

حدث الشىء نفسه فى (السويس). حين خدع الهدوءُ الذى ساد المدينة قوات (آدن). . فاندفعت إلى داخلها. . لتنهال نيران المصريين. . وتشتعل الدبابات، ويسقط: القتلى، والجرحى، بالعشرات.

وتحولت (غرفة العمليات) فى رئاسة الأركان وقيادة سيناء؛ للعمل المتواصل؛ من أجل (تأمين انسحاب) القوات المتبقية إلى خارج السويس، وإخلاء القتلى والجرحى،

وكتب (اليعازر) نفسه يوم (١٢ نوفمبر ١٩٧٣) عن مفاجأة السويس قائلا :

إننى كرجل عسكرى أعرف تماما أن لكل حرب مفاجآتها، وهناك أشياء لابد أن نتعلمها وأن نصحح معلوماتنا بشأنها.

وأكبر مفاجآت هذه الحرب (أكتوبر ٧٣) هى (الجندى المصرى) الذى أظهر قدرا كبيرا من الكفاءة القتالية، والتضحية بالنفس، وقوة الدافع؛

الذى يفوق كثيرا ما كنا نتوقعه .

ويواصل «اليعازر» رئيس الأركان الإسرائيلى شهادته فى حق الجيش الثالث فيقول :

وبـالنسبة للجيش الثالث ـ فإنه برغم حصارنا له ـ قاوم، بل تقدم واحتل بالفعل رقعة ـ أوسع ـ من الأراضى شرقا ، ومن ثم : فإننا لا نستطيع أن نقول : إننا هزمناه . . أو أخضعناه .



فوهة الأسد

وعن معـركة السويس والبطولات التى أبداها مقاتلو الفرقـة «١٩» كتب الكـاتب والخبير الإسرائيلى (زئيف شيف) تحت عنوان (أهى مدينة مهجورة أو فوهة الأسد؟).

دخلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى فوهة الأسد دون أن تشعر أن أنيابـه قد تطبق عليهـا، فجنود الاستطلاع الذين تجولوا فى الصباح حول المواقع المصرية قدموا تقارير مفادها: إن هذه مدينة أشباح مهجورة، وأن القـوة المـوجـودة بداخلهـا صغـيرة وغير منظمة، ومع أنهم لاحظوا مواقع للمدافع المضادة للدبابات إلا أن هذه المواقع لم ترد على النيران التى أطلقتها الدبابات الإسرائيلية نحوها.

كان فى مدينة السويس بضعة آلاف من الجنود المصريين، وكان بينهم على الأقل وحدة واحدة منظمة كما ينبغى، وكان القادة الإسرائيليون مقتنعين بأن سكان المدينة والعدد القليل من الجنود يريدون الاستسلام.

وهكـذا نجحت خطة قيادة الفـرقة ١٩ فى التمويه، وخداع جيش الدفاع الإسرائيلى وإخفاء حقيقة القوة المصرية فى السويس. فاندفع جيش الـدفـاع إلى ماساه بعد ذلك نفس المؤلف «بفوهة الأسد»، إذ يستكمل الكاتب الإسرائيلى (زئيف شيف) شهادته عن معركة السويس قائلا:

المفاجـأة

فى الساعة العاشرة والنصف، بدأت القوات الإسرائيلية التحرك نحو المدينة وتقدمت باتجاهين: رتل من الشمال، وآخر من الغرب، على أن يلتقيا عند الميناء، وكان يتقدم هذين الرتلين كتيبة دبابات، تتبعها عربات نصف مجنزرة، ومصفحات بداخلها مظليون وأفراد وحدة استطلاعية.

ولم يكن يتقدم هذه الأرتال قوات مشاة؛ تكون مهمتها التأكد من خلو الطريق من الكمائن، وتقدمت الأرتال فى شوارع ضيقة، بين أبنية مرتفعة من الجانبين، وقد تم الدخول بهدوء وبدون إزعاج.

وفجأة!! فتحت النيران الشديدة على القوة المتقدمة من كل صـوب وقام المصريون بإلقاء آلاف القنابل اليدوية من نوافذ المنازل، ومن الأسطح وكـانوا يوجهون قنابلهم إلى داخل العربات نصف المجنزرة المفتوحة، كما أخذوا يطلقون الصواريخ المضادة للدبابات من خلف الجدران والشرفات.

وخـلال فترة قصيرة، كان الكثير من الدبابات والعربات قد أصيب فمن بين ال ٢٤ دبابة التى تقدمت الهجوم استطاع المصريون اقتناص قادة ٢٢ دبابة، وتبعثرت الأرتال الإسرائيلية فى منطقة واسعة، ولم تكن هناك طريقة

للخلاص من النيران ومن الكمائن إلا بالانسحاب؛ وقد أصيب عند مشارف السويس اثنان من قادة الكتائب منهما الكولونيل (يوسى) الذى قاد العملية بأكملها، وقد تولى القيادة بعد ذلك أحد قادة السرايا، وتوجهت الدبابات الى الخلف، محاولة أن تنجو بنفسها، أما المظليون: فكانوا مكشوفين أكثر

وقفز الكثيرون منهم من عرباتهم المصابة، والتجأوا إلى بيوت مجاورة وقاموا بالدفاع عن أنفسهم من خلالها.

وكما حدث فى المزرعة الصينية، وكما حدث بالقرب من الإسماعيلية فقد كانت المشكلة هنا هى كيفية إخراج المظليين من معركة لم يعرفوا قدرة العدو فيها.

وأصبح الجهد كله الآن موجها لتخليص الرجال وإخلاء المصابين وأسرعت إلى داخل عربة الاستخبارات نصف المجنزرة التابعة للواء، ولكنها أصيبت؛ وقفز أفرادها إلى أحد الجدران القريبة، وقد شوهد أفراد الاستخبارات التسعة هنا للمرة الأخيرة.



محاولات الإنقاذ

ويواصل الكاتب الإسرائيلى شهادته عما حدث فى السويس يقول:

بعد ذلك أُرسلت سرايا من الدبابات إلى الداخل بقصد الاتصال بالمظليين الذين حاولوا الانسحاب فى مجموعات، فأصيبت هذه الدبابات بمجرد دخولها، وبذلك زاد عدد المصابين فقامت طائرات عمودية بالهبوط قرب المدينة من أجل إخلاء المصابين بسرعة، كما أقلعت طائرة عمودية ضخمة فى طريقها إلى السويس أيضاً، وكان من بين الذين تحملهم هذه الطائرة الدكتور (**أورى فرند**) الذى جمع ثلاثة من المضمدين وقرر التوجه بنفسه لإخلاء المصابين.. وبينما كانت هذه الطائرة فى طريقها إلى موقع الهبوط قرب مدينة السويس أُصيبت بصاروخ من طراز (**ستريللا**) الذى يطلقه الجندى من فوق كتفه!! وتحطمت الطائرة.. وقُتل من فيها..

وعن الحالة الكئيبة للقوات الإسرائيلية المهاجمة للسويس يقول (**زئيف شيف**):

جرى تخليص مجموعات جديدة من المظليين.. من المدينة التى أغرقها المصريون بالنيران وقد قُتل ثمانية من هؤلاء المظليين ورجال المدرعات، ولكن كان لايزال هناك ثلاث مجموعات محشورة، داخل المدينة:

رجال الاستخبارات الذين انقطع الاتصال معهم، مجموعة من المظليين وعلى رأسهم (ح). ومجموعة أكبر كانت تتحصن فى داخل العمارات، وكان يوجد فى هذه المجموعة قائد كتيبة مصاب بجراح خطيرة وقد حل مكانه قائد إحدى السرايا، ومع حلول الظلام قررت المجموعة التى

يرأسها (ح) الخروج سيراً على الأقدام، وحملت معها جرحاها، وقد نجحت هذه المجموعة فى تخليص نفسها والخروج من المدينة.

أما المجموعة الثانية الأكبر: فقد وقعت فى مشكلة أخطر، وقام المصريون بتركيز قوات كبيرة حولها وكان يبدو أنها محاصرة من كل جانب وقد قُتل فى إحدى محاولات التخليص مساعد قائد لواء المظليين، وفشلت جميع المحاولات التى قامت بها الدبابات لتخليص هذه المجموعة، وقد تمكنت خمس دبابات واثنتان من العربات نصف المجنزرة من الوصول إلى مسافة حوالى مائة متر من المكان الذى تحصنت فيه المجموعة.

وكان المصريون قد أقاموا على الطريق متراساً كبيراً، وزرعوا ألغاماً كثيرةً وقاموا بتوجيه الصواريخ المضادة للمدرعات على الدبابات، والعربات المتقدمة فاضطرت هذه الى الانسحاب.

وبهذا انتهت المعركة الكبيرة، والأخيرة، من حرب يوم الغفران، التى كانت خطأ جسيماً، كلف جيش الدفاع الإسرائيلى خسائر كبيرة فى الأرواح وقد بقيت جثث كثيرة فى ساحة القتال، حيث قام المصريون بتسليمها بعد وقف إطلاق النار.

وهكذا شهد الكاتب الإسرائيلى الكبير ببطولة مدينة السويس والفرقة ١٩ التى كانت تحمى السويس، وكيف هاجمت القوات الإسرائيلية مدينة السويس بعد سريان مفعول وقف إطلاق النار، وكيف خدع المصريون قادة الحملة الإسرائيلية فتصوروا أن المدينة خالية. . إلا من حراسة قليلة وإنها ستُسلم لهم فى دقائق، ثم إقتنصتهم الفرقة ١٩ ولاكتهم أنياب الأسد المصرى، حتى تحولوا إلى أسرى، أو جرحى، أو قتلى، أو هاربين من النيران.

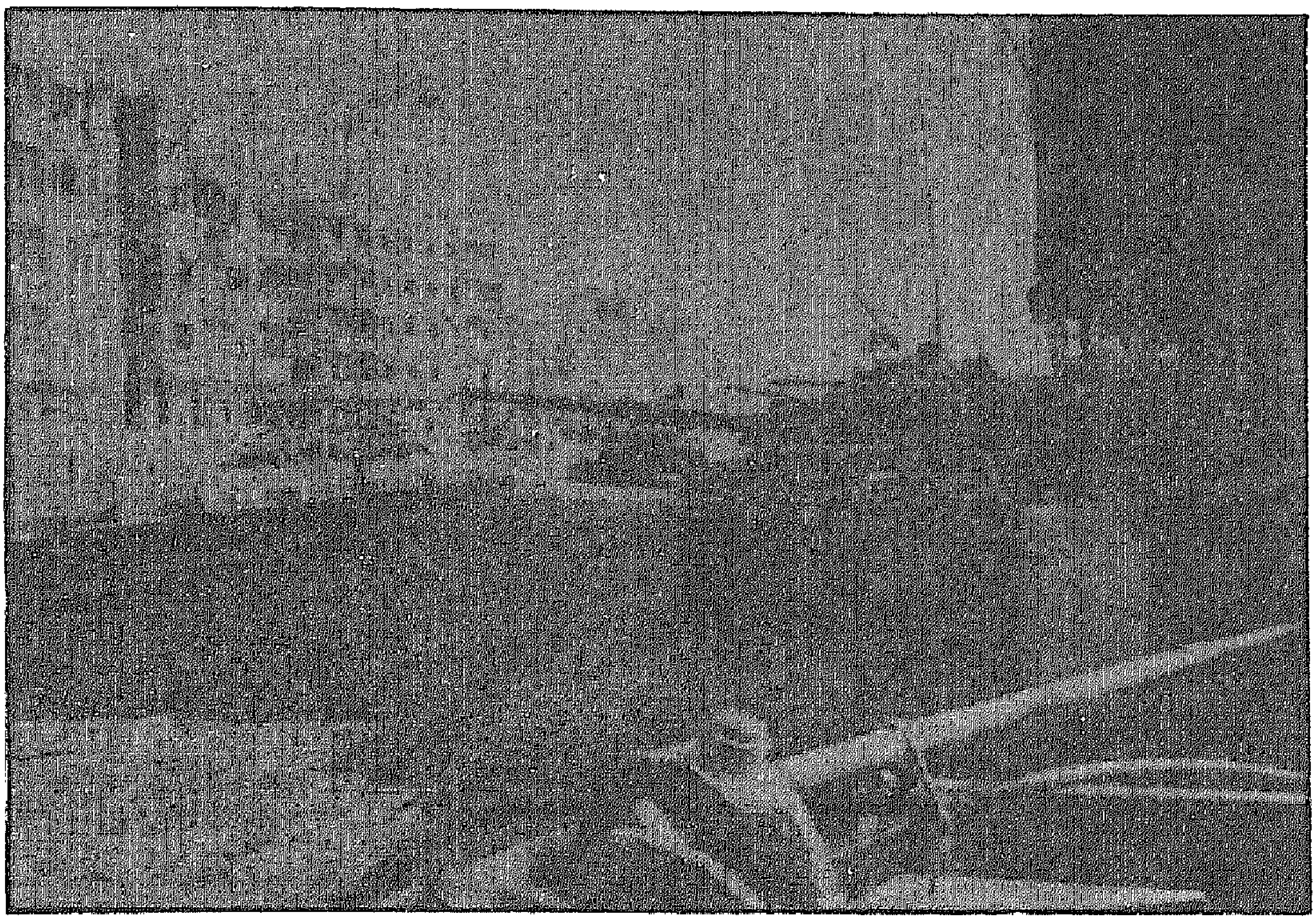
إعلان قبول إسرائيل قرار وقف إطلاق النار الثانى : قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ ابتداء من ٢٥/١٠/٧٣ . . . استمرت فى منع دخول المراقبين الدوليين أو عناصر قوات الطوارىء الدولية الى القطاع الجنوبى .

٢٠ يناير ٧٤ قدم العدو كشوفاً الى الصليب الأحمر بأسماء قتلاه الذين لم يتمكن من العثور على جثثهم ، أو سحبها من جبهة القتال .

واشتملت تلك الكشوف على اسماء ٧٧ ضابطاً ، ٢٣ طياراً ، ٦٦٩ جندياً ومدنياً .

وبعد . . . كما يتضح أن قادة الهجوم الإسرائيلى على مدينة السويس بعد ٢٤/١٠ قد فتكت بهم المدينة عن بكرة أبيهم وهم الرائد **(يورى أريل)** والنقباء : **(موشى أدنيو)** ، **(يتسحاق حوشمان)** ، **(اسرائيل مندلسون)** **(آمور زاهار)** ، **(كارمى أدلر)** .

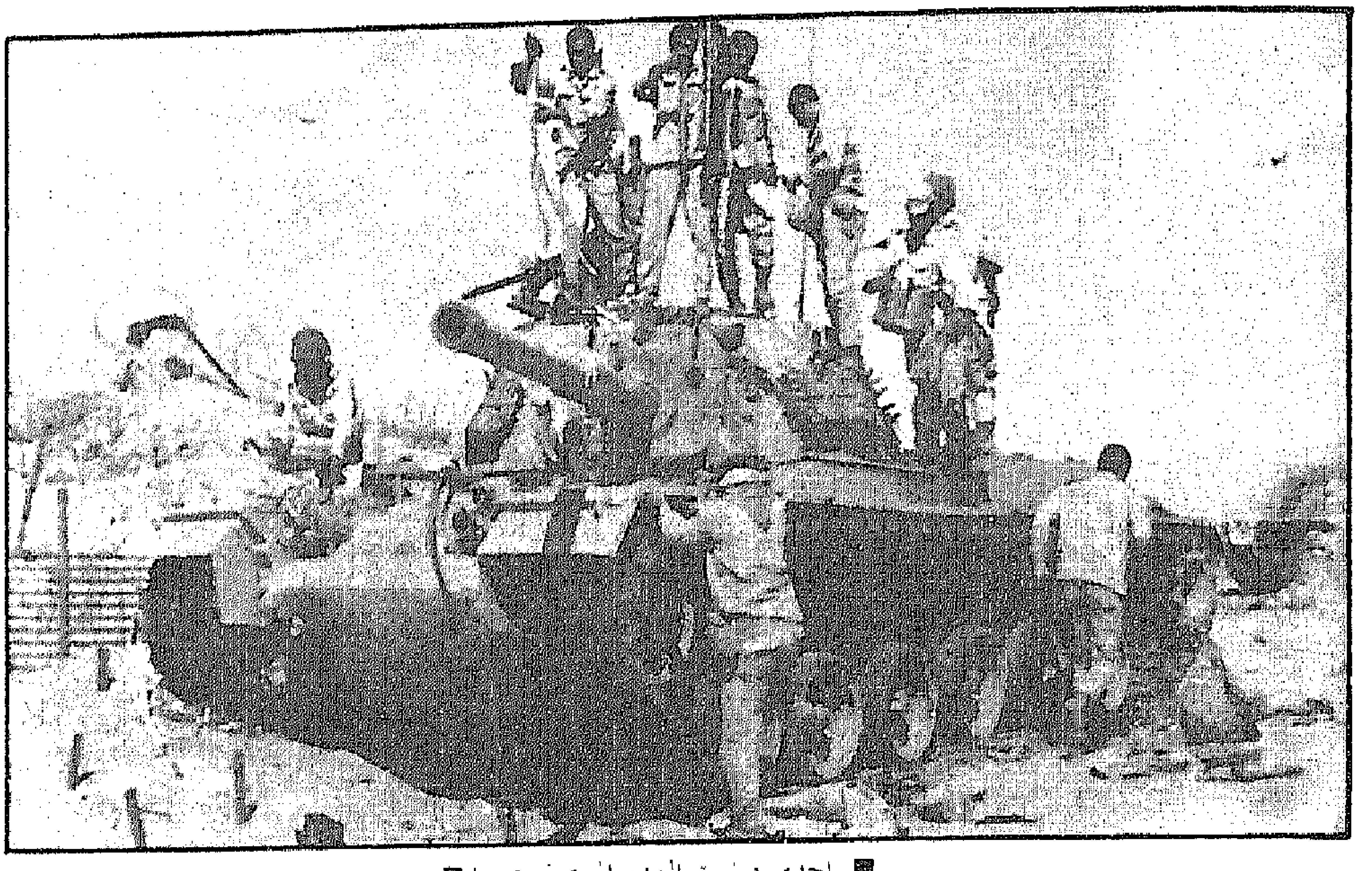




■ الدبابات الإسرائيليه المتسللة داخل مدينة السويس قبل تدميرها ■



■ مجموعات قنص الدبابات شاركت فى حسم معركة السويس ■



احدي دبابات العدو المستولى عليها



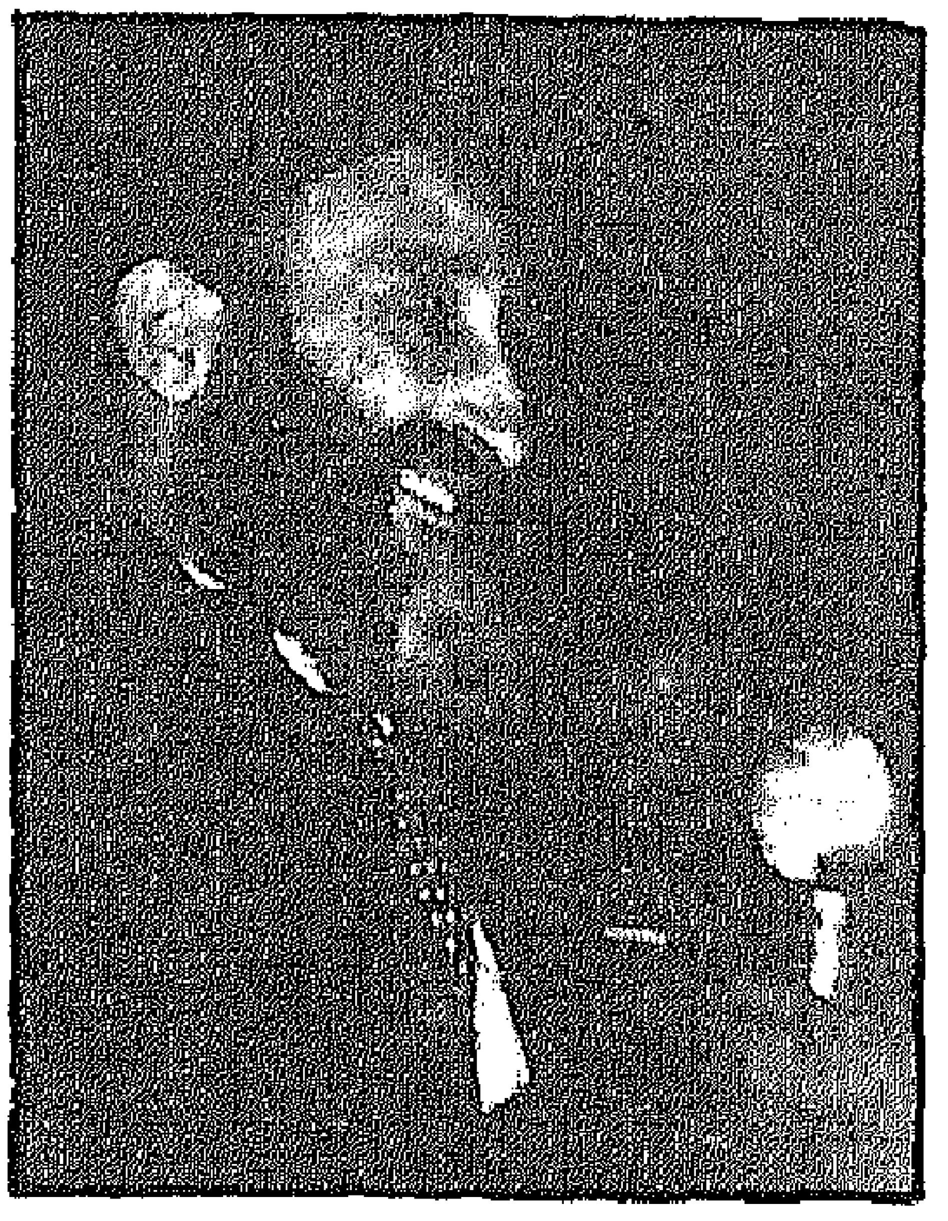
مجموعة من الضباط المصريين حول الدبابات الإسرائيلية



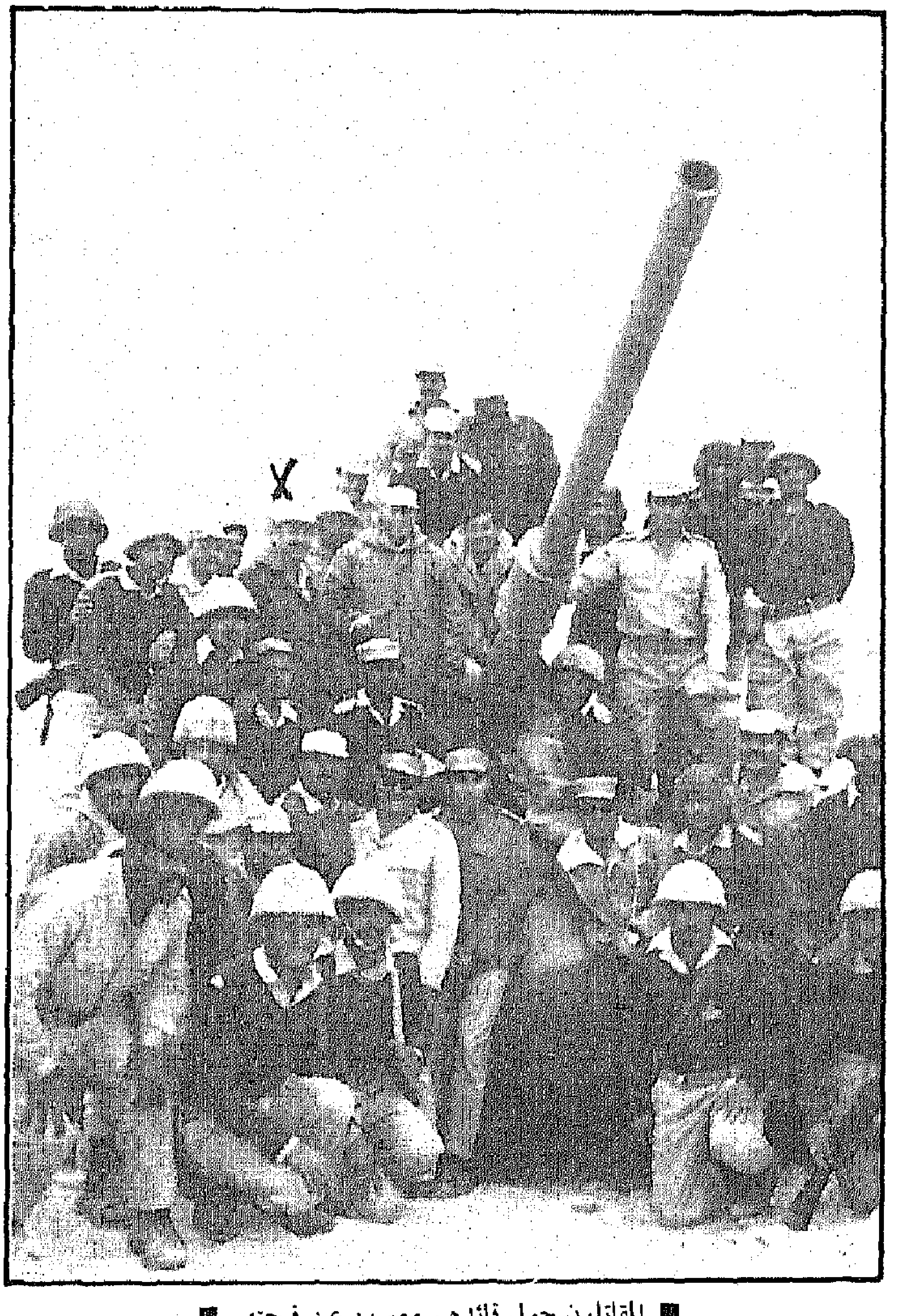
الرائد علي رضا بجوار احدى دبابات العدو المدمرة



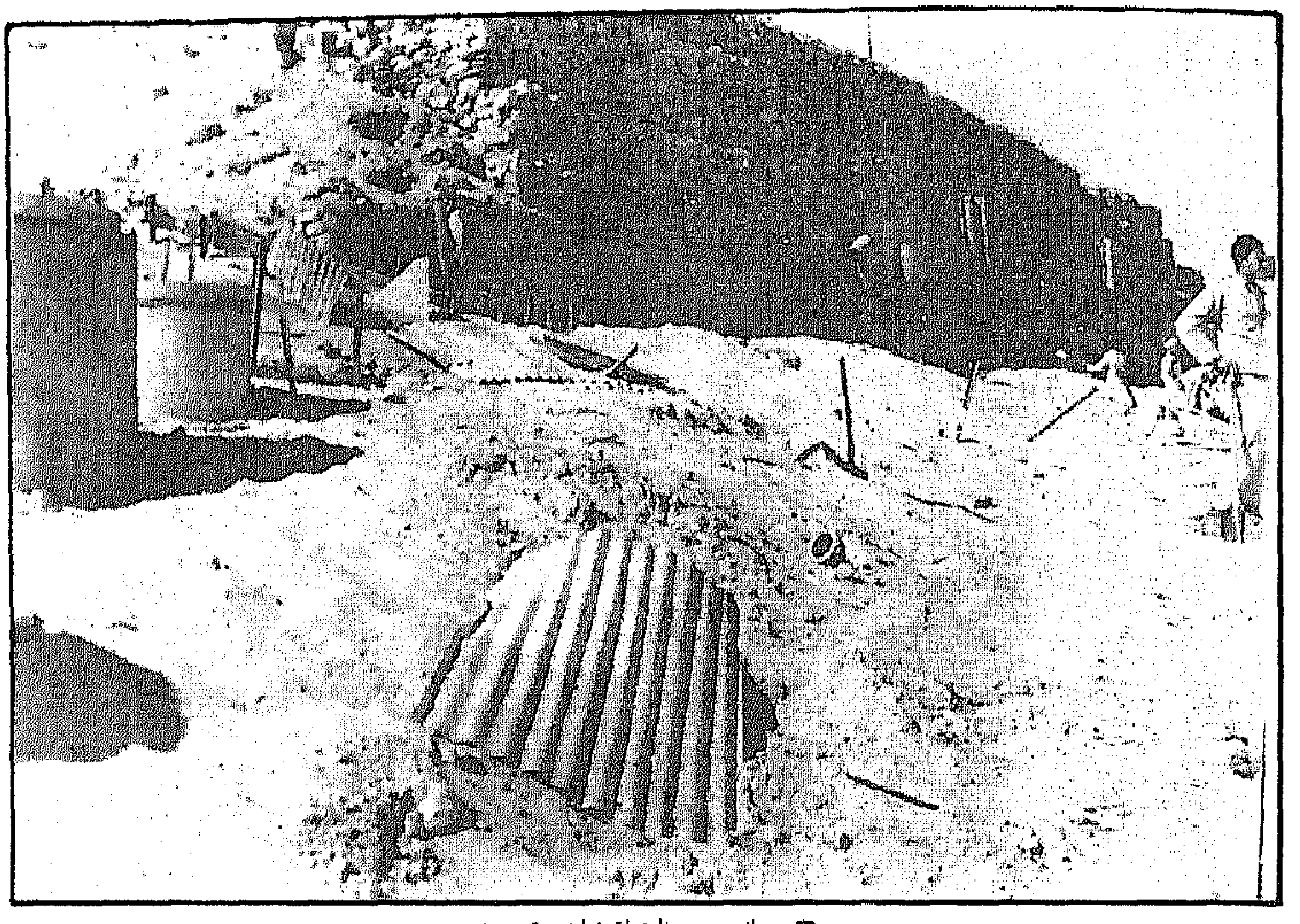
■ الرائد
فوزى شاكر ■



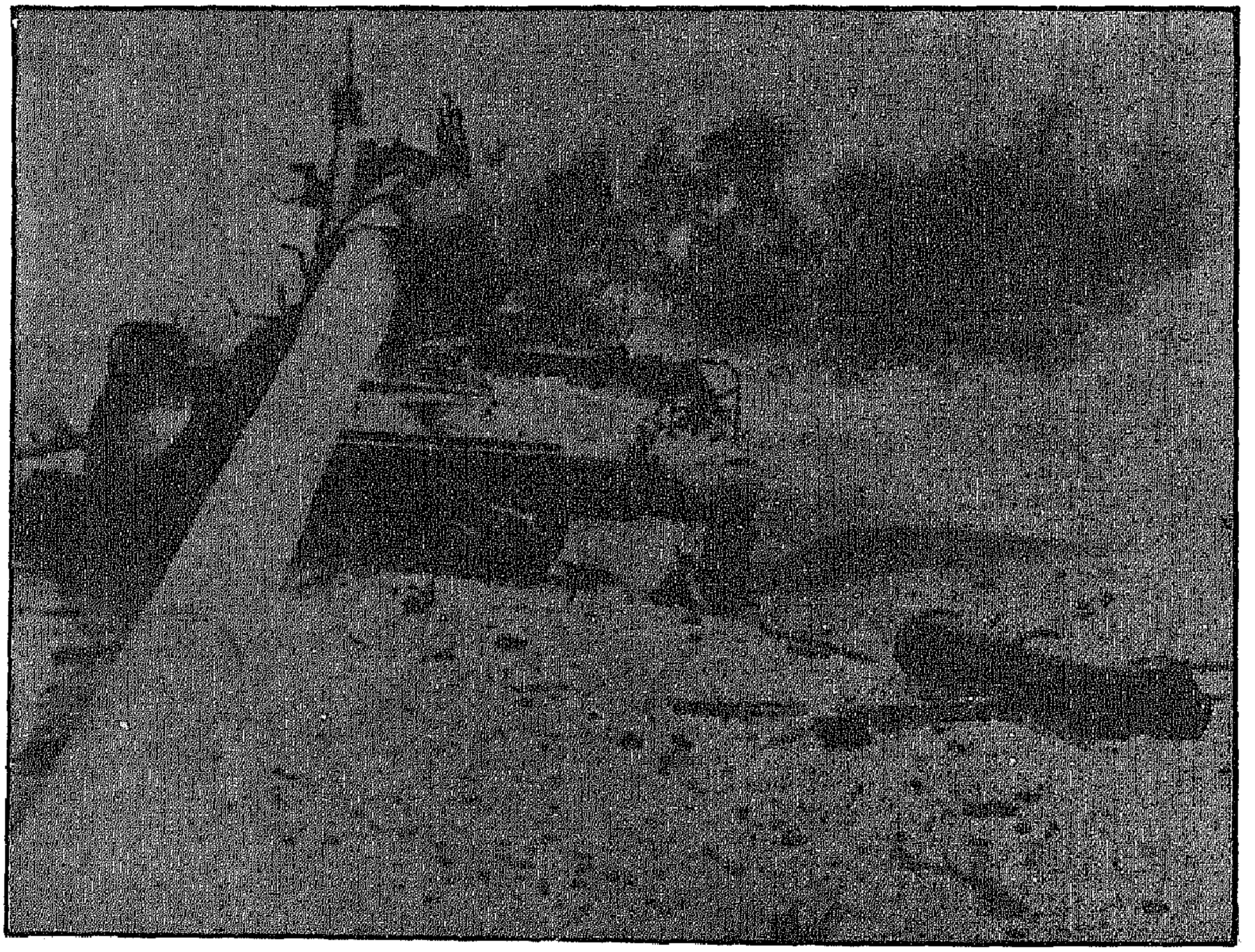
■ الشيخ
حافظ سلامه والدور
المعنوى فى المعركه ■



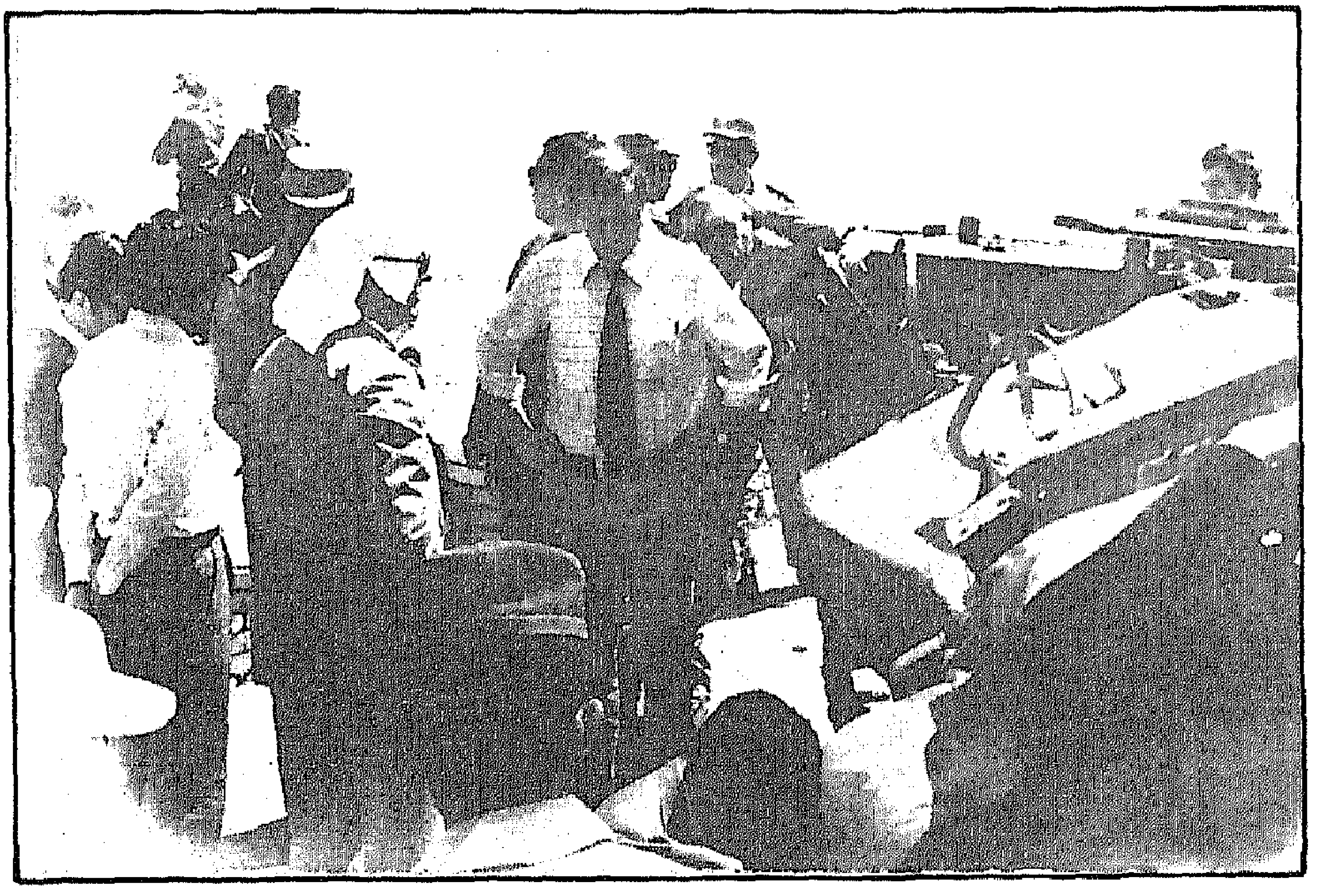
■ المقاتلون حول قائدهم معبرين عن فرحتهم ■



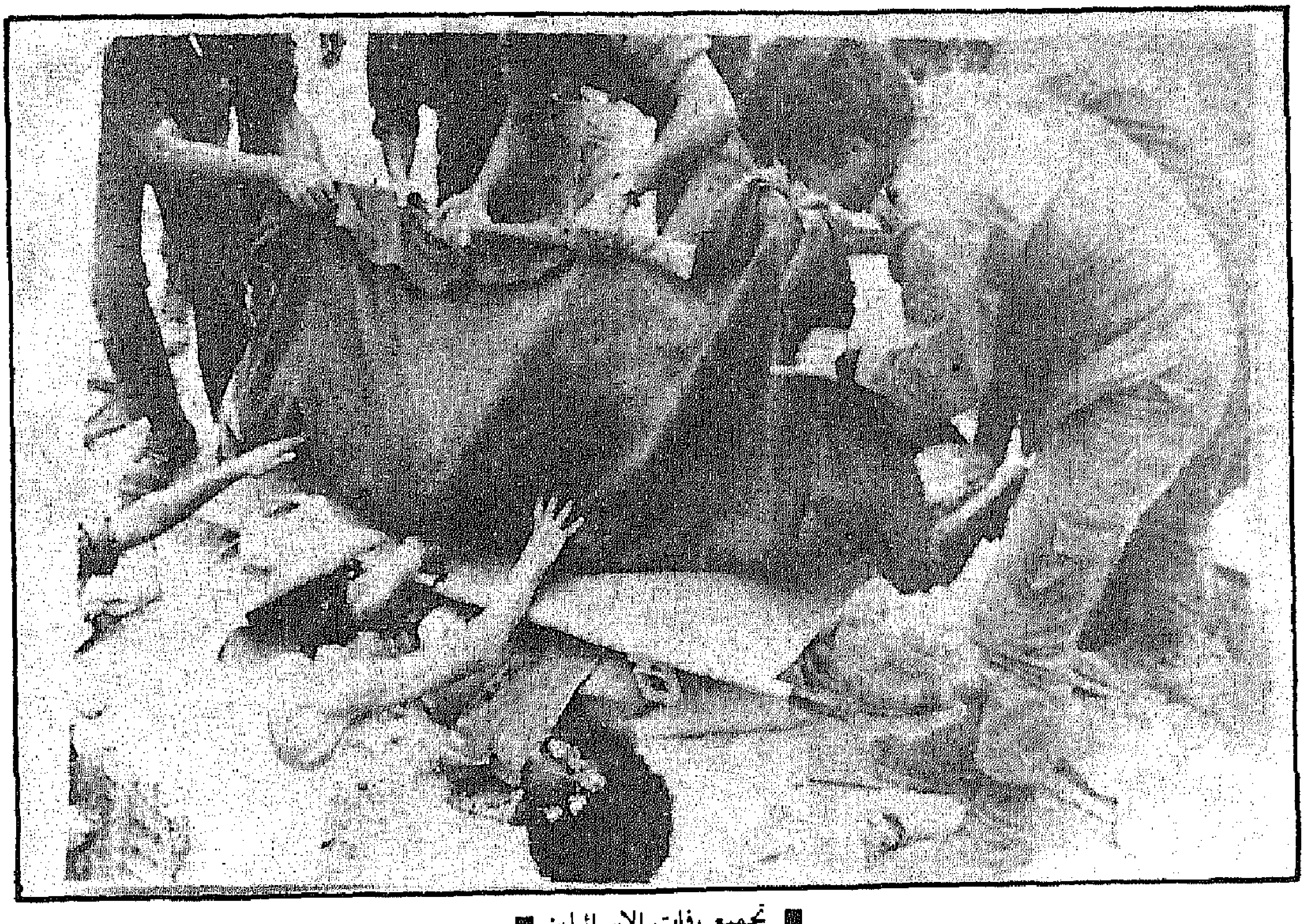
■ جانب من النقطة الحقيقية بمتلا ■



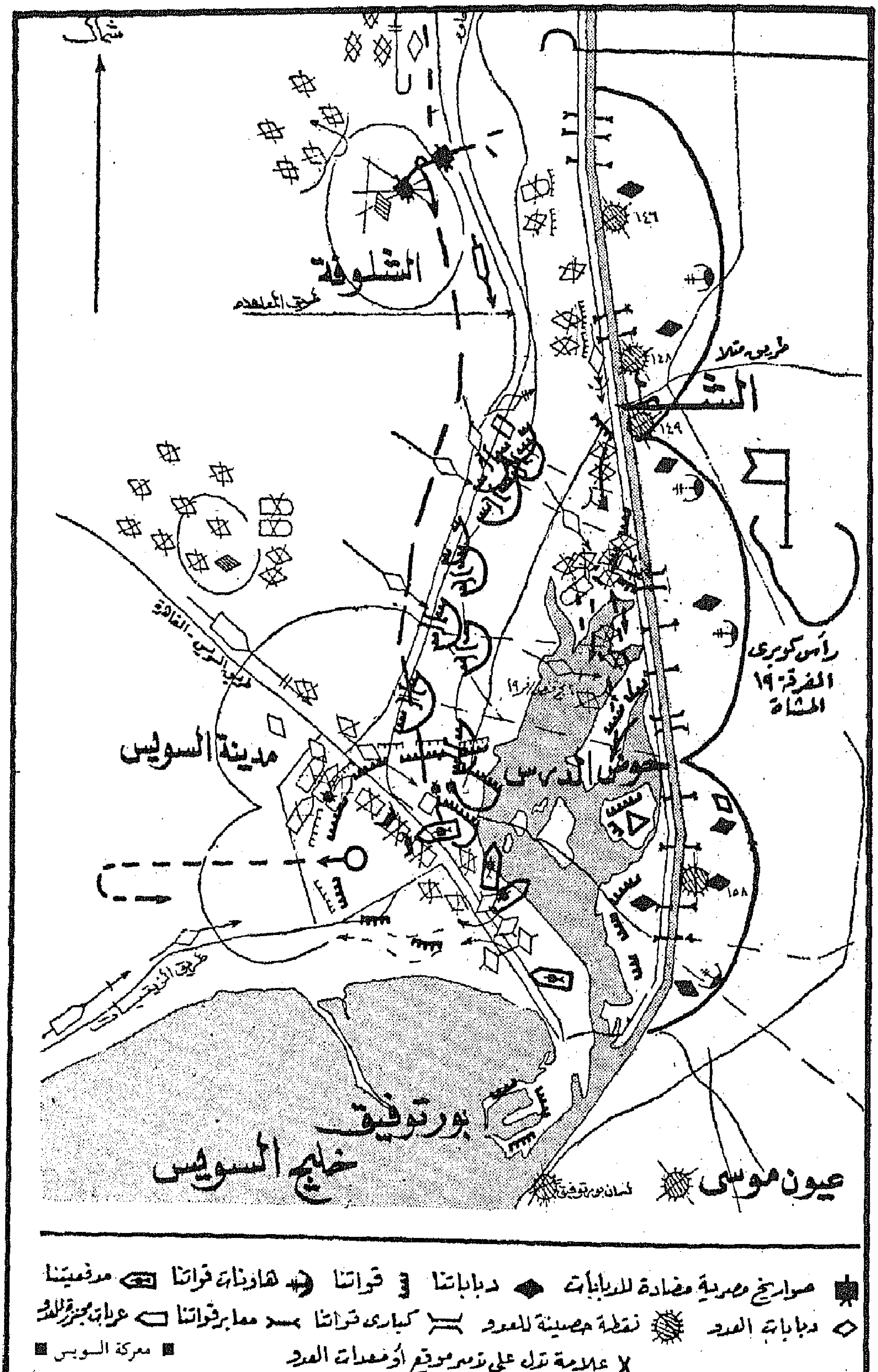
■ مدفع اسرائيلى مدمر بواسطة قواتنا ■



■ براون وزير الدفاع الأمريكى يزور موقع عيون موسى ■



■ تجميع رفات الإسرائيليين ■



شمال
الشلوفة
طريق المعاهدة
طريق متلا
الشط
رأس كوبري الفرقة ١٩ المشاة
مدينة السويس
بورتوفيق
خليج السويس
عيون موسى
لسان بورتوفيق
صواريخ مصرية مضادة للدبابات
دباباتنا
قواتنا
هاونات قواتنا
مدفعيتنا
دبابات العدو
نقطة حصينة للعدو
كباري قواتنا
معابر قواتنا
عربات مجنزرة للعدو
X علامة تدل على تدمير موقع أو معدات العدو
معركة السويس

الفصل السابع
شهور الحصار

* كيف صمد أبطال الفرقة ١٩ مشاة أكثر من مائة يوم ؟
* طعام الفرد الواحد لخمسة رجال.
* مكالمة تليفونية من زوجتى .. بعدها جاءت تدابير الحصار
* دروس تعلمتها فى « الفالوجا » أفادت فى حصار الجيش الثالث
* ضبط الأعصاب كان وراء المحافظة على الذخيرة و الرجال
* عندما بكيت على استشهاد من أنقذ مئات المقاتلين

لقــد قدر لى أن أشــارك فى جميع الصراعـات العسكـرية المصرية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ .

كما قدر لى أن أكون الضابط الوحيد بالقوات المسلحة الذى حوصر مرتين .

الأولى (بـالفـالوجا) بفلسطين عام ٤٨ والثانية فى حرب ١٩٧٣ مع الجيش الثالث، ورغم الحصار فقد ظهرت بطولات عسكرية مشرفة ودارت خلالها معارك ضارية للجيش المصرى وقد شاركت جانبا من هذه المعارك فى (كراتيا)، (وبيت عفة) و (الفالوجا) بفلسطين وظل الرجال فى صمودهم أمـام الهجمات الشرسة وهناك رفاق سلاح كان العدو يهاجم مواقعهم فى (كراتيا) يوميا ومع ذلك لم يفقدوا شجاعتهم ولم يستسلموا لليأس ؛ لأنهم كانوا يقاتلون عن عقيدة وإيمان واذكر منهم النقيب (سعد الجمال) والملازم (على غزى) والملازم (سعد الدين عبد المجيد) .

لقـد تمت عمليات تقييم مختلفـة فى (أكاديميات) العلوم العسكرية الدولية . فى لندن .

مما قيل فيها إن الجندى المصرى فى هذا الحصار: أظهر ذكاء غير مسبوق .

وهنا سأروى كيف بدأ الحصار؟

فى حرب ١٩٤٨ كنت ضابطا صغير برتبة ملازم ثان . . فى (الفالوجا) .

وبـالطبع : كنت ـ وفقا للمهمة ـ غير مشارك فى القرارات ؛ إلا أنى كنت شاهداً على ما يحدث . . أتلقى الأوامر، وأستمع وأنفذ المهام .

لكنى ـ ودون أن أبوح ـ كنت انتقد بعض القيادات، فى عدة أمور اعتبرتها: قصوراً منا نحن الصغار.

وتبلور كل ذلك فى داخلى لسنوات.

فمنذ وقف إطلاق النار مساء يوم ٢٢ أكتوبر كان هناك شعور لحظتها بأن العدو لايمكن ـ وكما تعودنا ـ أن يحتفظ بالمواثيق، والعهود، وعادت لذاكرتى أحداث حصار **(الفالوجا)** عام ١٩٤٨ والذى عايشته.

كانت القوات بعد وقف إطلاق النار فى حالة أسترخاء وهذا طبيعى وقام الضباط بالاتصال مع ذويهم بالتليفون اللاسلكى وقمت بالاتصال بزوجتى وبعد أن هنأتنى بالهدنة.. ذكرتنى **(بالفالوجا)** وكأنها فى تلك اللحظة تقرأ ما كان يجول بفكرى وعند أنتهاء المحادثة التليفونية؛ لم أتوان فى أن أجمع رجال قيادة الفرقة وأقص عليهم حصار **(الفالوجا)** وبعدها مباشرة أصدرت أوامرى بالاستعداد للحصار رغم أنه لم تكن قد صدرت أى تعليمات من القيادة العليا بأن هناك أحتمالاً لوقوع حصار.

كنت أشعر: أن اللعبة ستتكرر وبنفس أسلوب العدو، لعبة مدينة **(الفالوجا)** سوف تتكرر مرة أخرى فى مدينة **(السويس)** التى ستكون ورقة ١٩٧٣.

فعلينا منذ هذه اللحظة: أن نتخذ إجراءات لحماية المدينة، ورأس جسر الفرقة ١٩ شرقا، من أجل تجنب مثل هذه الضغوط..

إنها مهمة شاقة، يتوقف عليها شرف العسكرية المصرية.

ووضعت جميع التفاصيل الخاصة بالعمليات، وأعادة تمركز الوحدات لكى تواجه الموقف الذى سوف يستجد.

وأمرت بتحويل بعض مواسير مدفعية الفرقة تجاه الغرب استعداداً

لملاقاة تقدم العدو نحو السويس.

كما أمرت باحتلال القوات للسواتر الغربية التى تطل على قناة السويس وتم أيضا إصدار تعليمات بالنسبة لجميع النواحى الإدارية من تعيينات ومياه وذخيرة ووقود.. وأيضا النواحى النفسية والوقائية والعلاجية.

كانت الخطوة الأساسية: هى العمل على نقل المنطقة الإدارية وإخلائها - تماما - من خلف القوات، لكى توضع داخل كل الوحدات ليصبح كل لواء مكتفيا ذاتيا - بشئونه الإدارية.

وأصدرت التعليمات - أيضا - حول كيفية استهلاك هذه المواد التموينية، والوقود والوقاية من أية تطورات غير صحيحة قد تنشأ... والإخفاء - أيضاً.

وبدأ افراد الفرقة يتحركون فى العاشرة مساء؛ لنقل المنطقة الإدارية، وقاموا بتوزيع كل مواد التموين والذخيرة والوقود على الوحدات.

وفى صباح ٢٣ أكتوبر كانت المنطقة الإدارية خالية تماماً، وبالفعل بدأت الغارات الإسرائيلية عليها بكثافة غير معهودة.

كانت الطائرات تقوم بطلعات جوية مكثفة، أكثر من ١٦ طائرة بالإضافة الى مظلة طائرات أخرى فوقها تحميها.

واستمروا بنظام « **الساقية** » : تشكيل ينهى القصف، وآخر يلحق به.. وهكذا.. من الساعة الثامنة صباحاً وحتى السادسة مساء، بفاصل زمنى لا يزيد عن نصف ساعة.

كان القصف مركزاً طوال اليوم على المنطقة الإدارية ومرابض نيران المدفعيه المضادة للطائرات.

وبالطبع: لم تدمر عربة واحدة. وهم يعتقدون أن المنطقة لاتزال كما

كانت فالحفر و بعض المبانى لا تزال كما هى ، لكنها فارغة . . ولم يتوقعوا ـ مطلقاً ـ أننا نقلنا كل شىء ليلاً .

ما حدث هذه الليلة : هو الذى أنقذ ـ ليس فقط **الفرقة ١٩** ـ لكن الجيش الثالث كله ؛ لدرجة أننى عندما سئلت ـ عندما انتهى الحصار ـ هل تريد وقوداً أو ذخيرة؟ **كان الرد:** عندى كل شىء !! وقلت : ـ أيضاً ـ إن لدى إمدادات توصل فرقتى حتى (رفح) .

وعندما قيل : كيف . ؟ **قلت :** إنى حافظت على معظم الإمدادات ، ولم أستهلك الا النذر اليسير خلال الحصار .



طعام الفرد لخمسة

لقد كانت التعيينات من الطعام، والماء لا تكفى القوات إلا لستة أيام فقط . كان يجب أن توضع الخطة بحيث تكفينا لمدة شهر .

فأعطيت تعليماتى : بأن جميع الأطعمة والتعينات توزع؛ على أساس أن تعيين اليوم يوزع على خمسة أيام . . أى ما يحصل عليه الفرد خُمس التعيين العادى :

كانت علبة الفول، أو العدس، أو الخضار المخصصة للجندى فى اليوم كوجبة يومية : تقسم على خمسة رجال فى يوم واحد، حتى لا يأخذها أحدهم ويتناولها مرة واحدة .

وكانت هذه العملية مشددة لكننا كنا نستمد القوة فى ذلك من توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول ﷺ : «**طعام الاثنين كافى الثلاثة، وطعام الثلاثة كافى الأربعة**» (١)

وقال أيضاً: «**طعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية**» (٢)

وفعلاً: أصبح من الممكن أن تكفينا بهذه القرارات الجديدة إلى ثلاثين يوماً .

وكان توقعنا حول المستقبل: أنه خلال الشهر تحدث مفاوضات، أو إمدادات أو أى ظروف أخرى .

(١) رواه أبو هريرة: صحيح مسلم كتاب ٣٦: الأشربة باب: ٣٣ حديث: (١٧٨).

(٢) رواه جابر بن عبد الله: صحيح مسلم كتاب ٣٦: الأشربة باب: ٣٣ حديث: (١٧٩).

أما بالنسبة للوقاية الطبية فقد: أصدرت أوامرى بإحضار كمية من مرهم الكبريت من (**مستشفى السويس**) فقد كنت أتوقع انتشار بعض الأمراض الجلدية مثلما حدث فى حصار (**الفالوجا**)، وإحضار ملابس جديدة خارجية وداخلية للجنود؛ للتعامل مع الحالات التى ستظهر، وبالفعل حدثت بعض الأمراض الجلدية واستطعنا بفعل الاجراءات المسبقة أن نتعامل معها .

كنت دائماً أعمل بمبدأ: **الوقاية تغنى عن العلاج** . . كل الإجراءات الوقائيةَ حدثت قبل أن يتم الحصار . . **وهذا** ما مكنًا من الصمود .

وكان من الأمور الصعبة ـ حقا ـ السيطرة على المقاتلين؛ بإمساك النيران رغم تجاوزات العدو .

لم يكن هذا أمراً يسيراً . . لقد وصل الأمر لدرجة أن رئيس مدفعية الفرقة : العقيد (علاء درويش) كان يقفز أمامى فوق الأرض راجياً : الله يخليك يا فندم . . نضربهم . . نرد عليهم .

فأقول له: الله يخليك أنت . . لازم توفر ذخيرتنا . . فماذا سنستفيد من ذلك الرد!؟!

ولكننى كنت موقنا: أن الرد سيحدث فى وقت ما .

أذكر أنه فى يوم ١٧ نوفمبر ٧٣ كان يرافقنى فى مرورى على القوات العقيد(**علاء درويش**) .

وقلت له : جاء الوقت المناسب لكى نضرب العدو .

وكاد يصرخ فرحاً .

توجهنا إلى القناة ناحية الساتر الترابى . . وعندما نظرنا نحو منطقة (المثلث غرب مدينة السويس): وجدنا تجمعاً ضخماً لقوات إسرائيلية ،

تقوم بغيار بعضها . وبدأ رئيس المدفعية يصدر أوامره . . أعدوا حشد نيران مدفعية هائلاً، بما لا يقل عن خمس كتائب مدفعية موجهة نحو العدو فى الغرب، وبـدأت كلها تطلق المدافع فى وقت واحد، وكأنها القيامة . . جهنم فوق قوات العدو؟!

اتصل بى؟! بعد دقائق الفريق أول (**أحمد إسماعيل**) قائلا لى : **ماذا تفعلون يايوسف**، إن قوات الطوارىء الدولية اتصلت بنا **وقالت**: إنكم تقصفون قوات العدو، واخترقتم وقف إطلاق النار .

فقلت له : إننا لا نضرب أحداً . . إن قواتهم فى الشرق تضرب قواتنا بالمـدفعية الـطويلة المـدى ١٧٥ مم، وتستمـر طلقاتهم بسبب عدم دقة التصويب فتصل إلى قواتهم فى الغرب.

وقلت له : من أين أضربهم وليس لدى ذخيرة كافية ؟ .

بعـد ذلك . . تأدبت قوات إسرائيل بطريقة لا يمكن تخيلها . . لم يطلقوا علينا طلقة واحدة بعد ذلك .



١١

حصار الأيام المائة ! !

كانت سياسة الإشغال: هى المخرج الوحيد فى مختلف الأحوال فكان لا بد من توفر طاقة غذائية كافية لهم، مع قلة الطعام لذا كان لابد من توفر السكريات .

فقمت بجلب كميات: من الدقيق، والسمن، والسكر؛ ذات السعرات الحرارية المرتفعة من السويس . . وبعد أن وزعتها على الوحدات قلت لهم: تنافسوا فى صنع الفطير المشلتت، أو سد الحنك . . وسوف أمر عليكم لكى أعرف: أفضل فصيلة تجهز تلك الأصناف .

وبالفعل كنت أقوم بالمرور عليهم . . فلم يمض يوم: إلا ومررت فيه على عدة كتائب، وكنت أجلس معهم وأتحدث . . وأتذوق ما يصنعون . . ثم اقارن بينه، وبين ما يصنعه الباقون . . عملية إشغال مستمرة .

- **أيضاً** - طلبت منهم أن يقوموا بإخراج كل الأجزاء الصالحة للاستخدام: من الدبابات، والعربات، والطائرات المحطمة على أرض المعركة؛ وأستعمالها فى أى شىء .

فقاموا بصنع: خواتم، وصوانى، وآلات موسيقية، وشكلوا: فرق شِعْر، وزجل، وموسيقى، وكانوا يعدون حفلات بشكل مستمر .

إشغال دائم .

لقد جعلت الجنود يقومون بالحديث مع أهلهم فى مصر: (٢٣٠٠٠) برقية أرسلت لذويهم باللاسلكى لدرجة أن سنترال ألماظة كان يعمل ليلاً

ونهاراً لإرسال برقيات الفرقة ١٩ ليطمئن أهل الجنود والضباط .

كنت ـ أيضاً ـ أقوم بزيارة المواقع بشكل مستمر، ونقوم بأداء الصلاة معاً، وأشرح لهم الموقف السياسى والعسكرى: (١٠٠ يوم كاملة) .

الشىء الأكثر خطورة . ـ وأهمية ـ أننى عندما كنت أذهب إلى مواقع الجانب الأيمن من الفرقة؛ أقول لهم: إن مواقعهم غير ملائمة . . فلو تقدموا إلى تبة توجد أمامهم سيكون ذلك أفضل .

وأذكر: أننى سأمر عليهم بعد يومين لأجد أنهم قد أقاموا مواقعهم بها .

وبعد يومين أعود لأجدهم فعلاً تركوا مواقعهم نحو التبة المتقدمة . . فأقول لهم: إننى لم أقصد هذا الموقع . . بل موقع أمامى آخر .

ويتحركون نحوه . . وفى هذه المرة الثانية أقول لهم: أخطأتم للمرة الثانية . . كنت أقصد موقعاً أمامياً آخر . . وهكذا .

لقد تقدمنا من خلال هذه العملية لمسافة **٢ر٥ كيلو متراً** . . . **الإسرائيليون ذهلوا** . . وقدموا شكوى لقوات الطوارىء الدولية من تقدم **الفرقة ١٩** وقالوا إنهم يوسعون نطاق مواقعهم ويكتسبون أرضاً رغم الهدنة .

كنت أفعل ذلك: لأحافظ على المشاعر الهجومية للقوات بشكل مستمر، لكى يشعروا: بأنهم يهاجمون، ولديهم طاقة لكى يطوروا مواقعهم، ولايظلوا صامتين، وبذلك تزداد الثقة بالنفس .

ومن أجل إشغال أفراد القيادة للفرقة ١٩ مشاة: كلفت رئيس أركان الفرقة؛ العميد أ ح (**محمد صدقى حشمت جادو**) بتشكيل لجنة من القيادة، وأن ينزل إلى مواقع الوحدات، وكنت أشاركهم فى بعض الأوقات .

فقام هو ومجموعة من ضباط عمليات قيادة الفرقة . . وقبل أن يمروا على الـوحدات سحبت سجل حوادث اللواءات بالكامل . . حتى أقارن بين سجل حوادث اللواءات «سير المعركة» والكلام الذى يقال فى اللجنة .

فمر (حشمت) بادئا بالفصائل فالسرايا والكتائب حتى اللواءات ؛ من قيادة أدنى إلى قيادة أعلى . . وسأل عن كل موقعة كيف حدثت؟ حتى نؤرخ تأريخا دقيقا للمعركة . . ومهام كل واحد . . وما قام به كل فرد، ثم كتب مذكرات ، ورفع بها تقارير.

وكنا نمر على بعض الوحدات ونشاهد كل شىء ، ونسجل ، حتى إننا قمنا بعمل إحصائيات عن كيفية تدمير الدبابات ، وهل دمرت بالصواريخ المضادة للدبابات؟ أو دمرت بالألغام؟ أو دمرت بالمدفعية ؟ .

وتم عمل إحصاء كامل لكل صغيرة وكبيرة بالنسبة للأفراد والعربات ، والمعـدات العسكـرية

وكـانت وثيقـة من الـوثـائق الدقيقة ـ جداً ـ لأنها أخذت من أفواه الجنود ، ودققت مع سجل الحوادث .

وقد أدت هذه العملية : إلى إشغال ضخم للقوات فى هذه الفترة .

من ناحية : أخـرى كانت هنـاك بقية من معدات ، وذخائر العدو: موجودة داخل رأس الكوبرى ، فى الحصار. فشجعنا الجنود على جمع هذه المعدات وهذه الأسلحة لنكوِّن منها **(معارض غنائم)** .

وفعلا : قام كل لواء بعمل **(معرض غنائم)** على مستواه .

ثم تجمعت هذه المعارض ، ومعها بعض الغنائم من الفرقة المجاورة ، وتم عمل **(معرض غنائم)** منها داخل الجيش الثالث بداخل رأس الكوبرى .

ثم انتقل إلى (**مدينة السويس**) وكان مفاجأة للقوات المسلحة بأن الجيش الثالث يقيم أول معرض غنائم بأسلحة واقعية حقيقية، ومعدات للعـــدو.

وقد حققت هذه العملية ـ إلى جانب إشغـال الجنـود ـ رفع الروح المعنوية لهم ، وتعرف الجنود والصف والضباط على أسلحة العدو .

وقـد أصبحت المعارض وسيلة تعارف على جميع الأسلحة، وأيضاً ـ وسيلة تدريب .

وليس هذا فقط .

بل إننى أذكـر: أننى كلفت أحد قادة الكتائب بفك دبابتين للعدو كانتا فى الرمال مغروستين وموجودتين على محور «متلا» بيننا وبين العدو فقام بفك جميع أجزائها.

وكان كل يوم يخرج فى دورية ويفك جزءاً جزءاً حتى أصبحت هاتان الدبابتان مفكوكتين تماما، وهما الآن يشكلان فصلاً تعليمياً فى معهد المدرعات .

ولن ننسى دور المهندس (**محمود رجب**) الذى جمع قطع الغيار من المركبات المدمرة وأنشأ بها مخزناً كبيراً أفادنا كثيراً حتى بعد انتهاء الحصار .



مشكلة المياه

وفى مواجهة مشكلة المياه: خصصت ٢٥ عربة من الفرقة للعبور إلى (السويس) لكى تعود بالمياه منها.

وكانت ٢٥ عربة أخرى من الفرقة السابعة المجاورة تذهب إلى (السويس) أيضاً من معبر الفرقة ١٩ مشاة.

كانت العربات تعود بالمياه متأخرة بالطبع، وكانت كمية المياه قليلة مع ذلك.

وقام الإسرائيليون بعد ذلك بإغلاق ترعة السويس لفترة.. فَقَلَّت كميات المياه تماماً.. وبدأت مشكلة.

وقد طلبت (مياه) من قيادات الجيش فى الخلف ـ فى هذه الفترة ـ وكانت تمر بالفرقة السابعة ـ الجار اليسار ـ قبل وصولها الفرقة ١٩.

لذا: كانت تتأخر فى وصولها؛ وأحياناً كمياتها محدودة.

وأحسست أننا فى مأزق، ورفعت يدى متضرعا لله.

وفجأة ـ فى هذه الليلة هطلت من السماء أمطار غزيرة..

وتجمعت فى منطقة تابعة للفرقة، فى أرض صلدة؛ لتشكل (بحيرة مياه) يمكنها أن تكفى الجيش ـ كله ـ لمدة ١٥ يوماً.

وفى مواقع أخرى: وعندما كان الجنود يقومون بالحفر لإقامة ملاجىء: ظهرت مياه مالحة فى الحفر.

فقلت لهم : اتركوها يمكن أن نستفيد منها برشها على المدقات لتجميد الرمل، حتى أصبحت طرقاً صلبة نوعاً .

كما يمكن أن نقوم بغسل الأوانى النحاسية بها .

وكنت قد أحضرت لهم (**صابون ملحى**) قبل أن يبدأ الحصار ـ وهذا أحد دروس «**الفالوجا**» ـ لاستخدامها فى الغسيل بالماء المالح .

وقلت لهم : احفروا مرة أخرى . . **فحفروا** فخرجت مياه عذبة . .

وفى وسط التحركات : **وجدنا أن آبار المياه العذبة** أصبحت تقع فى منطقة متوسطة تماماً بين القوات الإسرائيلية والفرقة . «٣٠٠متراً» من الجانبين، وكان العدو يحول بيننا وبين استخدام المياه ـ بأى وسيلة ـ ليحرمونا منها .

قلت للجنود: لا تخشوا شيئاً .

فليذهب اثنان من الجنود بجراكن فارغة، وبلا سلاح، وان يتحركا بطريقة عادية ـ صباحاً فى اتجاه المياه، ويقوما فى أثناء ذلك بالغناء والصفير، وسوف يرفع الموقع الإسرائيلى رشاشاته تجاههما . . لا يتراجعان .

فقط . . يقولان لأفراد العدو: إنهما لايحملان سلاحاً .

وإذا أطلقوا النار عليهما فسوف تدمرهم مدفعيتنا الجاهزة .

وكان جنود العدو فى المواقع أمامنا يتحدثون اللغة العربية، وبالفعل: وصل الجنديان إلى آبار المياه وتم استخدام الآبار يومياً .

هذه هى الطريقة : التى تؤكد أهمية أن تكون تصرفاتنا غير متسرعة أو عصبية .

أذكر فى أحد الأيام: كان جنود إسرائيل فى الموقع المجاور يرفعون

أصواتهم نحو الجنود المصريين قائلين: «**ليس لديكم مياه . . . ستموتون**» .

فقام أحد الجنود المصريين بإحضار جركن كبير ملىء بالمياه تكفيه أكثر من عشرين يوماً وهو فى أشد الحاجة إليها . . ثم يرفعه فوق رأسه ليصبه فوق جسده قائلاً لدينا مياه تكفى وتزيد.

هذا مع العلم: بأن المخصص له من المياه يومياً ٨٠٠ جرام ويقوم بصب ٢٠ لتراً من المياه فوق رأسه؛ ليظهر للإسرائيليين أن لديه «مياه» !! لقد كانت حرباً نفسية هائلة .

ولا أنسى أننى قد أوضحت للجنود كيفية استخدام القدر القليل من الماء كى يكفى احتياج الفرد فمثلا يرشف الماء رشفا ويستعمل فى تنظيف الأجزاء الحساسة من الجسم.

السيطرة على الوقود

لقد أصدرت أوامرى: بأن كل من كان يمس الوقود يحاكم محاكمة عسكرية ميدانية عليا . . **لأننى** أعـرف أنهم قد يستهلكـون البنـزين فى اغراض أخرى : كالطبخ ، أو التدفئة ـ مثلا ـ.

فأصبح كل قائد مسئولاً عن وقوده، ولم ينقص شىء أبدا، حتى إن الجنود اضطروا إلى جمع الأعشاب الجافة من الوديان لكى يستعملوها . . لدرجة أن الوديان: **أصبح من الصعب**، معرفتها بعد أن أصبحت خالية من الأعشاب تماماً.

المنشورات من السماء

لقد كانوا يقولون : ـ دائماً ـ إننا لا نملك طعاما وأننا سنموت جوعاً . . والقوا علينا بعض المنشورات بالطائرات التى تقول : إن جيشكم

الثالث محاصر . . وعليكم أن تستسلموا ، . . . ليس لديكم طعام . . أو شراب . . والقيادة تركتكم . . لا ينتظركم إلا الهلاك . . ومثل ذلك .

ما كنت أفعله : هو التنبيه بجمع هذه المنشورات بأسرع ما يمكن ، حتى لا تقع فى أيدى الأفراد ، حتى لا تؤثر فى معنوياتهم .

وفى نفس الوقت : تتم لقاءات بين الضباط وجنودهم : يذكرون لهم فيها أن أوضاعنا جيدة ونقوم بإمدادهم بحجم أكثر من التموين لرفع معنوياتهم .

بالإضافة إلى عملية الإشغال المستمر .

كانت الصلوات تؤدى بشكل مستمر أيضاً ، والأذان يبدأ فى موعده وفى الفجر بالذات . . كانت المنطقة تهتز بصوت الأذان فى كل مواقع الفرقة .

وقبل ذلك وأهمها ـ لإشغال الجنود ـ طابور التربية الرياضية ، وطابور التدريب على الأسلحة ، والمعدات ، والرماية على دبابات العدو المدمرة فى أرض المعركة .

قائد وجنوده

ولعله من أهم الأسئلة التى واجهتنى ما قال البعض لى : كنت شديد القرب من الضباط والجنود إنسانياً . . وفى نفس الوقت فأنت تنتمى إلى مدرسة عسكرية تؤمن بالصرامة . . كيف استطعت أن توازن بين هذين الاتجاهين ؟

- **كنت أقول** : إن الموضوع - أولاً وأخيراً - يتوقف على القدوة لا أكثر . . **لقد كنت بفضل الله تعالى : قدوة لجنودى** . . ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه . . **وأذكر مثالا :**

عند التجهيز للمعركة : أعددت جنودى : قتاليا ، ومعنوياً بشكل جيد . . بحيث أصبح هذا التجهيز والإعداد المعنوى : جزءا من كيانهم .

بمعنى : أن أقوم ببيان عملى للمركبات . . فأدعوهم إلى المرور على المركبات وملاحظتها للتأكد من كفاءتها القتالية ،ويرون لوحة على الزجاج الأمامى للسيارة : موضحاً : بها أن هذه العربة : ثمنها كذا ، فلو تحول ثمنها إلى مهايا وأجور للشعب فإنها تطعم كذا أسرة .

يعنى ذلك : - إذن - يا جندى . . يا من تقود هذه السيارة : اثبت ولاءك وأمانتك فى الحفاظ على معدتك .

وايضا طلقة البندقية . . نقول : إن هذه الطلقة ثمنها عشرة قروش ، يعنى : عشرون رغيفاً من الخبز فى ذلك الوقت والعشرون رغيفاً : تطعم الفرد مدة أسبوع فإذا لم تستفد بها فى قتل العدو فقد مكنته منك ، وفرطت فى حق أسرتك .

والبندقية : ثمنها مثلا ٢٠٠٠ جنيه تحولها إلى أجر كم من العمال . ؟

والصاروخ : ثمنه كذا . . .

لقد كنا نتعامل مع الأسلحة التى هى أمانة فى أعناقنا.

هذه قضية لها اعتبار وطنى.

ومن هنا: أصبحت البيانات العملية، والتدريب الذى كنا نجريه قبل المعركة: مسألة حيوية.

كنت أقول للجنود: إن هذا البيان قد تكلف كذا، فكان الموجودون ينتبهون للبيان، لأن قيمته أصبحت واضحة لهم.. وبذلك يستفيدون أكبر استفادة من البيان العملى، فهو يساوى تشغيل: كذا ألف عامل، وكذا فلاح. فلابد من الاستفادة أكبر استفادة ليكون مرشداً لنا فى القتال الفعلى.

هذه هى طريقتى... وكنت أعامل الناس برفق، وكانت يدى على أكتافهم، لأشعرهم: بأننى الأب الحنون لهم..

لذا شعروا تجاهى فى قرارة أنفسهم بالاطمئنان والسكينة.

فإذا حدث وأخطأ أحدهم: يخشى أن يفقد حبى ومودتى.

ذات مرة: أخطأ أحد الضباط، فقال لرئيس الأركان: إعطنى أقصى جزاء... ولكن لا تدخلنى للقائد. فوقوفى أمامه أقسى على نفسى من أقصى جزاء.

مرة أخرى: كان أحد الجنود يعمل (كوافير) كان يتغيب عن الوحدة كثيرا. فقلت له: لماذا تتغيب؟

فقال: أنا أعمل (كوافير) وأنفق على أسرة كبيرة.. فقلت له: ـ وهو عائد من غياب ـ سوف أتركك رغم جنايتك الكبرى، تعود إلى القاهرة لتتفق مع أحد أقربائك ليدير لك المحل حتى تنتهى من خدمتك، وسوف يبارك الله لك.. فأنت تقاتل هنا، لأن غيابك خيانة لوطنك، فأنت تساعد عدو الوطن بتغيبك هذا، وتوجد نقصا فى قوة وحدتك، فسافر. وعاد، وقد تصرف كما قلت له، **وأصبح بعد ذلك من أفضل الجنود المقاتلين**.

دمـوع !!

وهناك مواقف: تغلبت فيها الدموع على حزم القائد.

لدى مواقف إنسانية أبكتنى.

كان الإسرائيليون يلقون من الطائرات بعبوات تحوى كل منها: مئات القنابل الصغيرة، تنتشر على مساحة واسعة أثناء الحصار. وكانت كل عبوة تحتوى فى داخلها على ما يقرب من ٤٠٠ قنبلة متفجرة، وعندما يصطدم بها أحد تنفجر.

كانت هذه العبوات تسبب حوادث كثيرة جدا، فكانت تنفجر (مثل القنبلة اليدوية).

وتكـررت حوادثهـا، فأردت أن أقوم بجمعها، فكلفت قائد اللواء الخامس العقيد (سيد الشافى أبو العلا) بذلك.

وسألنى كيف؟..

قلت له: احضر عربتى جيب، وقم بمد أحد الأسلاك أو السيور بينهما وتحرك، وسر بهما متباعدتين، عندئذ سينفجر بعض هذه القنابل وسيتجمع الباقى باقتراب العربتين من بعضهما أمام السير الممدود بينهما بالتدحرج.

وقام رئيس مهندسى اللواء الخامس: الرائد (محمد يونس على سعد) بهذه المهمة، فجمع كمية هائلةً من هذه القنابل الصغيرة.

وفى أحد الأيام كان يقوم بتفجير هذا الكوم من القنابل، فانفجرت فيه القنابل وأرتفع فى الهواء لما يقرب من عشرة أمتار.

لقد استشهد وأنقذ مئات الجنود من هذه القنابل اللعينة.

موقف آخر . .

ـ إنها الحرب . . . والحياة العسكرية الحقيقية .

سوف تجد كل المواقف التى تتصورها فيها .

فى إحدى المرات : زارت الفرقة مجموعة من سيدات المجتمع ؛ لرفع الروح المعنوية للجنود .

بصراحة : خفت على الجنود من هذه الزيارة ! ! لأنه من المفترض أن يذهبن إلى القرى ؛ لزيارة أهالى المقاتلين .

وأردت أن ألقنهن درسا ! ! .

فقمت بإعداد بيان عملى لهن ، يوضح تعاون الدبابات مع المشاة .

وأجلستهن فى مهب الريح . . . **(تحت الريح)** وبدأ تحرك الدبابات ، وفوقها جنود المشاة أمامهن ، وبدأ قفز أفراد المشاة من فوق الدبابات المثيرة للغبار والدخان الكثيف ؛ مع صوت المتفجرات والطلقات ، لتصوير جو المعركة .

إغبرت ملابسهن ، ووجوههن ، واختلطت كل الألوان ، وقام بعضهن بالصراخ ! !

فقلت : هل جئتن إلى هنا : لرفع معنويات الجنود ، أولتصرخن لمجرد وجود دخان وتراب ؟ ؟ وأصوات الانفجارات . ؟

هل جئتن لرفع معنويات الجنود : أم لخفضها ؟ إن مكانكن الحقيقى : ـ هناك ، عند أهالى المقاتلين بالقرى والنجوع .

ومن يومها لم يزرن المعسكرات مرة ثانية .

. **كذلك كنت أسعد :** بزيارة طلبة الجامعة ، **وأقوم بإدخالهم فى التدريبات العملية ، والبيانات القتالية ، مع الجنود . وتعايشوا معهم فعرفوا معنى الجهد والعرق والانضباط والالتزام .**

مشاعر المعارك ..

ورغم اشتراكى فى الكثير من المعارك . . . لكن قليلة هى المرات التى شعرت **فيها بالخوف** . . الخوف بمعناه الإنسانى .

أذكر: أنه فى عام ١٩٤٨ ، وكانت أول مرة أدخل فيها المعركة .

كنا فى قرية فلسطينية أسمها : (ميت عفة) ، وكنت أقوم باحتلال موقع دفاعى هجم عليه العدو.

حقيقـة : فى بداية الهجـوم شعـرت فى داخلى بالخوف ، لكن ذكرت الله . . وعندما فعلت ذلك : وجدت نفسى أتحرك بين الملاجىء . . كطاقة هائلة . . انـطلقت مرة واحـدة . . وكـأن كل الرصاص المنطلق حولى لا شىء !! لم أشعر به مطلقا!! فقط : أقود السرية ، وأتحرك ، وأوجه الجنود .

فغريزة الخوف توجد داخل الإنسان ، مثل أى غريزة . . .

لكن ما يحدث : هو أنـه فى لحظة التـلاحـم مع العـدو: نظهر هذه الغريزة . . . للحظات .

فإذا ثبت الإنسان هذه اللحظات . . وذكر الله كثيرا : تحول الخوف : إلى شجاعة ، وتتحول الشجاعة : ـ بتماسك الأعصاب ـ إلى إقدام ، وتعزز البطولة .

لكن إذا انقلب الخـوف عكسيا: يتحول إلى جبن ، ثم هروب . . والعياذ بالله .

فى هذه المعركة ـ أيضا ـ شعرت بأن الموت قريب منى للغاية .

وفى معركة أخرى كنت أديرها فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ : شعرت بالموت يقترب منى .

وكانت هذه المعركة تدور فى موقعى الدفاعى ، الذى يشرف على الطريق الممتد بين (عراق المنشية) و (الفالوجا) ، وكان بصمود هذه التبة : إنقاذ الجيب القتالى (للفالوجا) بأكملها .

بعد ذلك : لم أشعر باقترابى من الموت أبدا . . ولا أعرف كيف . ؟

وفى المعركة : يكون الموقف ـ فقط ـ هو المسيطر، وتنسى كل العالم . . كل شىء إن الثبات ، وذكر الله : هو الطريق للنصر.

وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ : دخلت المعركة وأنا أطلب الشهادة ، ولم أذكر أى شىء عن هذا الموضوع من قبل .

لقد كانت مشاعر الشهادة تسيطر على إرادتى . . ولهذا كنت أشعر: أن أعصابى كتلة من فولاذ . . لدرجة أننى لم استخدم الدبابة المخصصة لى للتحرك مع مركز قيادتى أبدا ، ولم أستعمل عربة أيضا إلا نادرا ، ومعظم تحركاتى كانت سيرا على الأقدام .

كنت أريد رؤية كل كبيرة وصغيرة تدور حولى . . فداخل الدبابة : لا ترى شيئا سوى الخرائط ورموز القوات .

كانت أعصابى مستريحة ، ولم أكن أدخن السجائر.

كنت أتصرف بهدوء ، وأشعر بالسكينة : بشكل غير معقول . كنت أغفو لمدة دقائق قليلة : فى ملجأ ، مظلم ، وحولى بعض القادة والرؤساء بالفرقة ، وأشعر: وكأننى أجلس فى بستان أخضر، تجرى فيه المياه ، والشمس الساطعة . ! !

حدث لى ذلك أكثر من مرة .

كان ذلك يملأ قلبى بالتفاؤل .

كانوا يحاولون : ان يخرجوا من الملجأ عندما يجدوننى أغفو فأستوقفهم : ليجلسوا .

وفى أوقات الأزمات الحادة ؛ كنت أقول لهم : **لا تقلقوا . . الله معنا .**

الأغرب أننى عندما كنت أقترب من المعبر؛ لكى أذهب إلى (مدينة السويس) لزيارة المرضى ، والجرحى ، ورجالى الذين دفعتهم للدفاع عن (السويس) : **يتوقف إطلاق نيران مدفعية العدو على المعبر،** حتى أعبر القناة فى أمان .

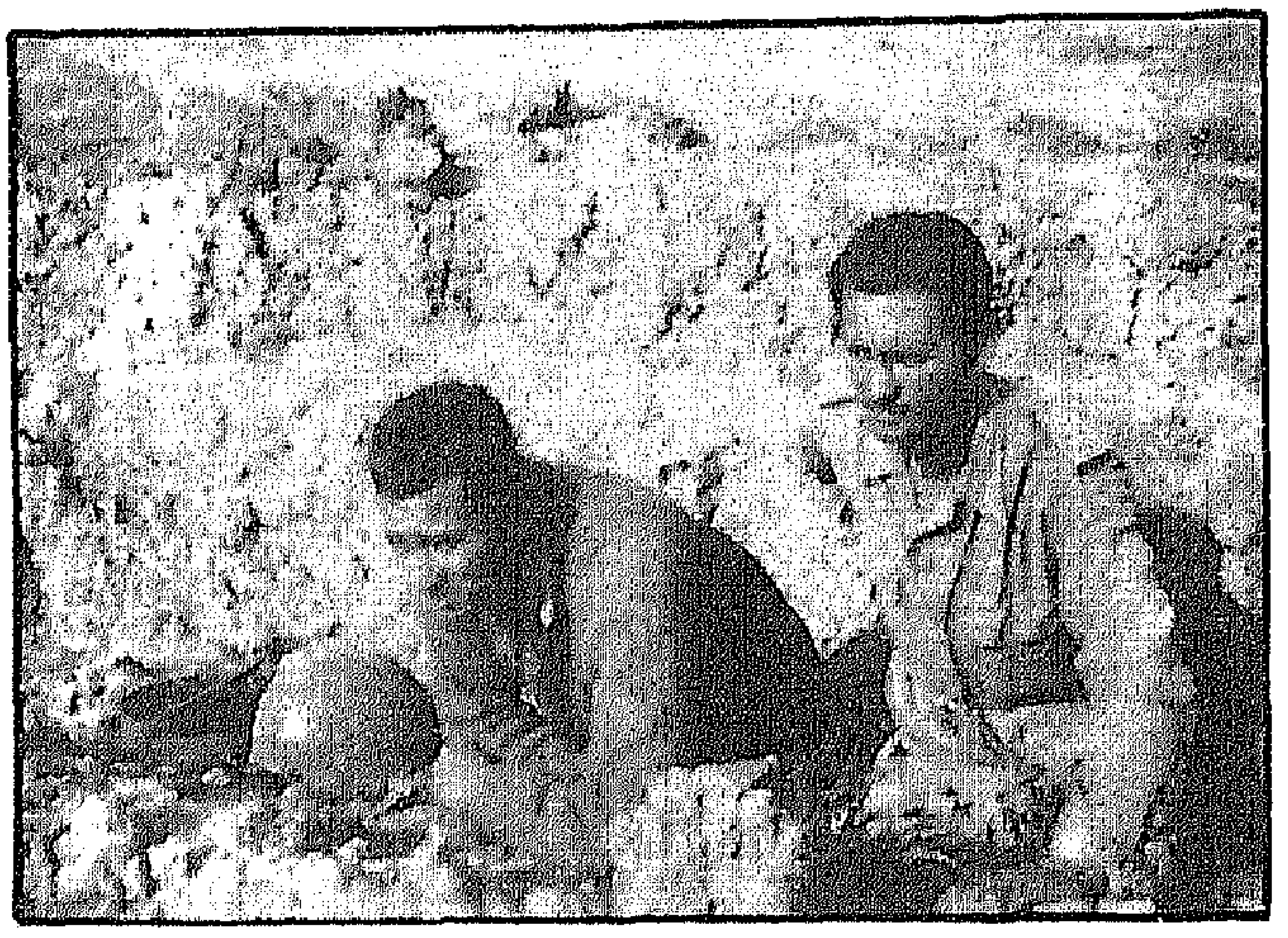
لا أعرف : كيف كان ذلك يحدث . ؟؟ ولكنه حدث . !

وعند العودة : يكون الضرب مستمرا . . **ويتوقف قبل أن أصل إلى المعبر مباشرة .**

وهكذا . ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .[1]



(١) يوسف : آية ٦٤ .



■ ملازم يوسف عفيفى مع الملازم
إبراهيم رشيد بالفالوجا عام ٤٨ ■



■ صوره تجمع بين الملازمين
من اليمين - سعد عياد -
ابراهيم رشيد - يوسف عفيفي -
شمس بدران - محمود الكفافى ■



■ صوره نادره للملازم يوسف عفيفى اثناء تجهيز الطعام مع رفاقه والجنود اثناء حصار الفالوجا عام ٤٨ ■

الفصل الثامن
فى سجل الشرف

* الفرقة ١٩ شاركت فى أعمال القتال خلال أصعب المراحل
* تبعات ومسئوليات كبيرة فى الساعات الحرجة والمصيرية
* أدوار بارزة قامت بها الفرقة فى مراحل.. الصمود.. الردع.. الاستنزاف
* جهد خارق قام به رجال الفرقة للوصول للقدرة القتالية العالية
* الفرقة ١٩ دمرت للعدو ٣٥ طائرة، ١١٢ دبابة ، ١٠ مجنـــزرات و ١٨ مدفعا.
* رجالنا أسروا ٨٣ أسيرا للعدو منهم ٨ طيارين

تشكيل الفرقة ١٩

اشتركت بعض وحدات من الفرقة ١٩ مشاة فى حرب اليمن واستمرت بمسرح العمليات باليمن خلال حرب ١٩٦٧.

وبعد سحب القوات المصرية من اليمن، وإعادة تنظيمها وتسليحها وإنشاء تشكيلات ميدانية: تم تشكيل الفرقة ١٩ فى نوفمبر ١٩٦٧ بقيادة اللواء أ.ح/ (ممدوح جاد تهامى) وتطور تنظيم الفرقة خلال أعوام ما قبل حرب ١٩٧٣، وتولى قيادتها لواء/ (سعد زغلول عبدالكريم) فى ١٩٦٩ واللواء/ (إبراهيم كامل محمد) فى سبتمبر ١٩٦٩ وفى يناير ١٩٧٢ تشرفت بقيادة هذه الفرقة.

وقد شاركت الفرقة ١٩ فى أعمال القتال خلال أصعب المراحل التى تعرضت لها القوات المسلحة بعد حرب ١٩٦٧، حيث استلزمت هذه الفترة إعادة بناء المعنويات التى انهارت بهزيمة ٦٧، وإعادة بناء القوات المسلحة المصرية.

وكما كان الهدف من هذه المرحلة: هو الحد من نشاط العدو؛ فقد قامت الفرقة خلال هذه المدة - من إعادة تشكيلها وإلى لحظة العبور - بعمل دوريات، وإغارة على دفاعات العدو شرق القناة، والقيام بتدريبات عملية مركزة على اقتحام الموانع المائية، واقتحام النقاط الحصينة، وصد الهجمات المضادة، واحتلال رؤوس الكبارى، وأعمال القتال المختلفة؛ استعدادا (لتحرير سيناء).

ويمكن تقسيم هذه العمليات إلى مراحل ثلاث هى: مرحلة الصمود.. مرحلة الردع.. مرحلة الاستنزاف.

مرحلة الصمود

من نوفمبر ٦٧ - ١٩٦٨

تميزت هذه المرحلة بالهدوء النسبى، والتى كانت القوات المصرية تهدف خلالها إلى الالتزام بنوع من الهدوء لإعادة الفرصة للبناء والتجهيز الهندسى؛ للدفاع عن الضفة الغربية لقناة السويس، وإعادة تنظيم وتسليح وتدريب القوات المسلحة. ويمكن تلخيص ذلك فيما يلى:

أ - تمكنت الفرقة خلال هذه المرحلة من: التركيز على المهام المنوطة بها، والقيام بتنفيذ ثلاثة مشروعات (تكتيكية) بجنود على مستوى اللواء: أحدها فى الدفاع على مهام العمليات، والآخر عن دور المشاة فى الهجوم.

ب - أجرت كتيبة مشاة من كل لواء مشاة مشروع (رمى تكتيكى) بالإضافة إلى باقى الالتزامات التدريبية.

جـ - نجحت الفرقة فى تنفيذ الخطة الزمنية للتدريب القتالى، وتميزت هذه الفترة بالجهد القاسى، والعمل الدائب المستمر، لاستعادة الكفاءة القتالية.

مرحلة الردع

سبتمبر ٦٨ - مايو ١٩٦٩

أ - فى أكتوبر ٦٨: تحركت الفرقة ١٩ عدا اللواء السابع مشاة من (دهشور) إلى (الجيش الثالث الميدانى) ضمن قوات النسق الأول للجيش.

ب - تركزت أعمال الفرقة فى هذه المرحلة: على تقييد حرية العدو فى التحرك، والمناورة، والاستطلاع، واقتصرت أعمال القتال على: التراشقات بالمدفعية، وأسلحة الضرب المباشر.

جـ - **اشتركت** مدفعية الفرقة ضمن مدفعية الجيش الثالث الميدانى فى قصف، وتدمير تحصينات ودفاعات العدو، كما اشتركت جميع قطع الضرب المباشر فى تنفيذ خطة (**العيد الصغير**)، بهدف تدمير تحصينات العدو التى أقامها على الضفة الشرقية لقناة السويس والتى سميت **بخط** (**بارليف**)، وقد تمت هذه الخطة بعد فترة زمنية اتصفت بالسكون.

لذا حققت الخطة المفاجأة التامة للعدو، وكبدته خسائر كبيرة فى الأفراد والأسلحة والمعدات.

د - **استمرار** أعمال التجهيز الهندسى لدفاعات الفرقة.

هـ - **استمرار إعداد** القوات للقتال والإصرار على تنفيذ الخطة الزمنية للتدريب القتالى، والارتفاع بمستوى الكفاءة القتالية للقوات.

مرحلة الاستنزاف

من مايو ٦٩ إلى أغسطس ١٩٧٠

أ - **استهدفت هذه** المرحلة تكبيد قوات العدو أكبر قدر ممكن من الخسائر بعد أن استعادت القوات المصرية كفاءتها القتالية، ووصلت إلى مستوى جيد فى التدريب.

كما **كان الهدف الرئيسى** منها: رفع معنويات المقاتل المصرى بالعمل الإيجابى، **وتحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر.**

ب - تزايد التراشقات بنيران المدفعية، والهاونات، وأسلحة الضرب المباشر.

جـ - **تنفيذ** أعمال: الدوريات، والإغارة على دفاعات العدو شرق القناة.

د - وفى إبريل ٧٠ قامت عناصر من المجموعة (**٣٣ صاعقة**) بالإغارة على مواقع العدو شرق القناة وتمكنت من أسر الرقيب الإسرائيلى **أدمون مراد أهارون**.

التحضير للمعركة

فى السابع من أغسطس عام ١٩٧٠ : تم توقيع **(اتفاقية وقف إطلاق النيران) على الجبهة المصرية**.

وبنهاية هذا العام تم تنفيذ ماهو مخطط فى خطة تدريب الفرقة.

وخلال العام التدريبى ١٩٧١ **- ومع وقف إطلاق النيران** وتأكيداً لرفع الكفاءة القتالية للقوات، وزيادة قدراتها على تنفيذ مهام العمليات المنتظرة، وهى **معركة التحرير** والتدريب على أرض مشابهة لأرض المعركة خاصة العبور، واقتحام الموانع - المائية.

أجرت الفرقة ١٩ (مشروعا تكتيكيا) بالجنود فى الفترة من ٢٦/٩/٧١ حتى ٣٠/٩/١٩٧١ بمنطقة برقاش.

الإعداد للحرب

اتسم التدريب خلال عام ١٩٧٢ بسمة خاصة، وهى: تركيز التدريب على اقتحام الموانع المائية، وإجراء مشروعات **(تكتيكية)** لجميع المستويات مع إجراء مشروعات **(رماية تكتيكية)** لمستوى اللواء.

وقد تم التدريب فى الفرقة خلال هذا العام على نحو يوحى بالإعداد للمعركة.

وقد تم خلال عام ١٩٧٢ : التركيز على تدريب الوحدات الفرعية الصغرى؛ على أسلوب اقتحام النقط القوية، والتغلب على السواتر الترابية.

وأجريت عدة **(بيانات عملية)** تركزت فى أسلوب التغلب على السواتر الترابية، وفتح الثغرات فيها، وأسلوب الإمداد والأخلاء.

العام التدريبى ١٩٧٣ :

انقضى عام ١٩٧٢، ورغم ما أعلن فيه من أنه عام التحرير، ولا بد فيه من الحرب، وتحرير الأرض: فقد انتهى هذا العام بدون حسم، ولكن القوات المسلحة لم تشغل فكرها بأكثر من الإعداد للمعركة، والتدريب، ورفع الكفاءة القتالية: انتظارا لإشارة البدء.

وعلى هذا: فإنها استقبلت عام ١٩٧٣ وهى مستعدة للمعركة، ومستمرة فى زيادة كفاءتها القتالية، رغم ما تعرضت له من ضغوط فى كل المجالات: فإن الهدف كان واضحا: والإصرار على النصر، أو الشهادة.

وقد تم التدريب خلال عام ١٩٧٣ للوصول إلى الكفاءة القتالية العالية ـ جنبا إلى جنب ـ مع خطة الاستكمال والتجهيز الهندسى، والإعداد العسكرى، وقد نفذت الفرقة ١٩ عدداً من المشروعات التدريبية قبل بدء المعركة.



قبل أن تبدأ المعركة

بعـــد أن خصصت قيادة الجيش الثـالث الميدانى المهمـة العملية المجـومية للفـرقة ١٩مشاة: بدىء فى التخطيط على مستوى قيادة الفرقة بواسـطة مجموعة تخطيط تتكون من: قائد الفرقة، ورئيس أركان الفرقة، ومجموعة من الضباط على مستوى هيئة قيادة الفرقة.

مهمة الفرقة ١٩ مشاة:

أ - **تلخصت مهمة الفرقة ١٩** مشاة: فى أن تتخذ أوضاعها فى المنطقة الابتـدائية للهجـوم فى الحد الإيمن **(حوض الدرس)**، وفى الحد الأيسر **(الكيلو ١٤٤ ترقيم القناة)**، وحد خلفى **(وصلة جنيفة)**.

ب - **بعد تمهيد نيرانى** لمدة ٥٣ دقيقة: **تقتحم الفرقة(قناة السويس)** قبل آخــر ضوء لليوم الأول للعمليات، وفى قطاع الحـد الأيمن **(حـوض الدرس)** - وحد يسار (للكيلو ١٤٤) بقوة **(اللواء السابع المشاة، واللواء الخـامس المشـاة)** المـدعم: تقـوم بمهمة تدمير قوات العدو البشريـة وأسلحته، ووسائل نيرانه المتمركزة فى النقط القوية، وعلى الساتر الترابى شرق القناة، وتصد وتدمر احتياطيات العدو المحلية والقريبة.

جـ - **تركز الفرقة** مجهودها الرئيسى على الجانب الأيسر لها على **(محور متلا)**.

د - **تشكيل المعركة للفرقة فى نسقين**: اللواء السابع المشاة واللواء الخامس المشاة نسق أول - اللواء الثانى المشاة الميكانيكى نسق ثانى.

المهمة المباشرة للفرقة:

تدمير قوات العدو فى النقط القوية، وعلى الساتر الترابى شرق قناة السويس، وصد، وتدمير احتياطيات العدو المحلية، والقريبة، والاستيلاء على الخط .

(الحد الإيمن تقاطع طريق الشط ـ القنطرة مع طريق سدر الساحلى حد يسار معسكر الشط) وتكون الفرقة مستعدة لصد نسق ثان تعبوى العدو.

المهمـة التاليـة :

يدفع النسق الثانى، بالتعاون مع مجموعات الصاعقة، لتطور الفرقة هجومها شرقا، وتدمر قوات العدو القائمة بالهجوم المضاد، وتستولى على خط: (المطار المهجور على الشاطىء الشرقى لخليج السويس ـ جبل أبو غلام ٢ كم شرق النصب التذكارى) مكونة بذلك رأس كوبرى بعمق ٨/١٠ كم.

وتكـون الفـرقـة مستعدة لصد الهجمات، والضربات المضادة للعدو صباح اليوم الثالث للعمليات؛ بالتعاون مع اللواء (٢٢ مدرع) بالفرقة السادسة مشاة ميكانيكة.



إنجازات الفرقة ١٩ مشاة
فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

حققت الفرقة ١٩ مشاة إنجازات ضخمة خلال عمليات القتال اعتبارا من اليوم الأول للقتال، فقد ألحقت بالعدو خسائر كبيرة نجملها كالتالى :

تجهيزات هندسية محصنة :

النقاط القوية :

(١) نقطة قوية: **بلسان بورتوفيق.**
(٢) نقطة قوية: **الجباسات (كم ١٥٨).**
(٣) نقطة قوية: **الشط (كم ١٤٩).**
(٤) نقطة قوية: **الشط (كم ١٤٨).**
(٥) نقطة قوية: **الشط (كم ١٤٦) .**
(٦) نقطة قوية: **عيون موسى .**
(٧) محطة ضخ مياه (متلا) - هدف حيوى .

قيادات محصنة :

(١) قيادة فرعية: **لاحتياطى عيون موسى.**
(٢) قيادة فرعية: **لاحتياطى المر.**
(٣) قيادة فرعية: **لاحتياطى متلا .**

مرابض نيران بطاريات المدفعية :

(١) مربض نيران: عيون موسى ١٥٥ مم ثابت محصن، ١٧ رطل ٢٥ رطلاً .
(٢) مربض نيران: المر ١٥٥ مم ذاتى الحركة.
(٣) مربض نيران: متلا ١٥٥ مم ذاتى الحركة.

مصاطب دبابات :

(١) عدد ٩١ مصطبة متصلة، على الساتر الترابى على طول المواجهة.
(٢) عدد ٢٢ مصطبة منفصلة، حول طريق متلا وفى العمق.
(٣) عدد ١١ مصطبة منفصلة، حول الجباسات ونقطة عيون موسى.

طائرات :

(١) عدد ٣٣ طائرة مقاتلة وقاذفة

(٢) عدد ٢ طائرة هيل وسوبر بايبركب

مجنزرات :

(١) دبابات : ١٠٩ دبابات باتون ـ ٢ دبابة سنتوريون ـ دبابة م ٦٠ .

(٢) مجنزرة م ١١٣: ١٠ مجنزرات منها ٢ نصف جنزير.

(٣) لورى أنواع: ١٦ عربة أنواع

مدافع :

(١) عدد ٦ مدافع عيار ١٥٥ مم ثابت.
(٢) عدد ٤ مدفع ١٥٥ مم ذاتى الحركة.
(٣) عدد ٤ مدفع ٢٥ رطلا.
(٤) عدد ٤ مدفع ١٧ رطلا .

أفراد :

(١) ١٩ قتيلا منهم طيار.
(٢) ٨٣ أسيرا منهم ٨ طيارين ـ ٢ ضابط ملاحظة مدفعية.

ملاحظـــة :

هذا بخلاف: أسلحة وذخائر، ومهمات، وتعينات، ومعدات فنيـة ورادارات، وأجهزة توجيه طيـران حمولة ٥٠ لورى، **تم تسليمها فى الأيام الأولى للمعـركـة** إلى لجنـة من هيئة الإمداد والتموين للقوات المسلحة، ومكتب مخابرات السويس.

بالإضافة إلى كميات أخرى: من الأسلحة، والذخائر، والمعدات؛ عرضت بمعرض الغنائم: أثناء الحصار، ثم بمدينة السويس.





■ القائد ـ والواجب اليومي ـ المرور على الوحدات ■



■ القائد يلقن القوات تفاصيل مشروع تكتيكى تعبوى ■



■ شعار الفرقه ١٩ ـ الإيمان ـ الشرف ـ الجهاد ■

الفصل التاسع

مقاتلون أوفياء

* صفحة مضيئة من صفحات النضال فى حرب أكتوبر ٧٣ ،
* أبطال الفرقة لم يقنعوا فى كثير من الأحيان بأداء المهام المكلفين بها.
* محمد زرد .. بطل وراؤه أكثر من قصة
* حسام عمارة .. صائد الدبابات الحقيقى فى حرب أكتوبر
* أبطال الفرقة اقتحموا النقاط القوية.. التى هددت إنشاء المعابر
* معركة السويس أشرف صور الفداء والتضحية والاستشهاد

فى أى معـركة: تظل ـ دائما ـ أسماء مجهولة وراء ما يتحقق فيها من انتصارات . . وإنجازات .

كما تظل أسماء الشهداء وبطولاتهم حبيسة الدفاتر والسجلات .

لكن . . ونحن نسجل صفحة مضيئة، ومشرقة من صفحات النضال والكرامة فى حرب أكتوبر ۱۹۷۳ ـ هى صفحة الفرقة ١٩ مشاة ـ التى تحملت عبئاً كبيراً فى الصمود فى مواجهة قوات الثغرة، وسجلت فى معركة السويس أشرف صور الفداء والتضحية والاستشهاد . . حتى شهد لها الأعداء .

هؤلاء الأبطال . . منهم من استشهد، ومنهم من يواصل افتداء وطنه فى أى موقع يسند إليه .

لكنهم جميعا : «مقاتلون أوفياء» .

وفى هذه الصفحـة . . نضع الزهور والورود أمام أسمائهم . . وفوق أضرحة الشهداء منهم .

كما سبق وأن ذكرنا : فإن الدور الهام والمؤثر، الذى قامت به الفرقة ١٩ مشـاة لم يلق عليه الضـوء الذى يتناسب مع حجم ما حققته الفرقة من إنجازات، وهو الأمر الذى سوف يذكر التاريخ أسبابه ودوافعه .

لكن الحقيقة : ـ التى لا يمكن تجاهلها ـ هى أن أبطال الفرقة ١٩ لم يقنعوا ـ فى كثير من الأحيان ـ بأداء المهام المكلفين بها، فحسب .

بل كانوا ـ وطوال الوقت ـ يتفانون فى إقدام فريد؛ فى العمل على تجاوز حجم الدور المرسوم لهم، لأسباب مختلفة :

منها ما تفرضه ظروف تستجد فى ساحة القتال؛ تحتاج إلى قرار حاسم، وتنفيذ شجاع .

ومنها ـ أيضا ـ ما تفرضه دوافع إنسانية بحتة، يأتى الحماس فى مقدمتها.

إن الإنجازات الرائعة التى حققها أبطال الفرقة ١٩ جعلت التاريخ يلهث، وهو يسجل فى أنصع صفحاته، وبحروف من نور: أسماء الرجال الذين حملوا أرواحهم على أكفهم، وهم يعبرون القناة، ويخوضون فى بسالة أشرس المعارك.

عندما بدأت فى كتابه هذا الفصل الهام من تاريخ حرب أكتوبر: تزاحمت المشاعر، وقفزت الأسماء، والمواقف.

ان السجل زاخر. . زاخر. .

وكان القرار: أن نسجل نماذج من المواقف والأبطال . . من واقع سجل الأحداث البارزة لمعركة أكتوبر.

والذى نرصد فيه: «مقاتلين أوفياء».

ولنبدأ، دون ترتيب تسجيل المواقف والأبطال :

* ليس غريباً أن يأتى أسم الشهيد/ (محمد زرد) فى مقدمة ما يضمه سجل الفرقة ١٩ من أبطال. . فوراء هذا الرجل أكثر من قصة. . تذكر سجلات الفرقة هذه الكلمات.

يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ قام الشهيد الرائد/ (محمد زرد) بقيادة مجموعة مكونة من ثمانية أفراد: اقتحموا النقطة القوية رقم (١٤٩) بالشط مستخدما قاذفات اللهب بكفاءة، مما أمكن معه الاستيلاء على النقطة القوية، التى كانت تهدد أعمال قتال الفرقة، وإنشاء أى معابر، وأسر ما تبقى فى هذه النقطة القوية وقد استشهد مع الرائد/ (محمد زرد) كل من:

١ ـ جندى (محمد محمد الخبيرى)

٢ ـ جندى (ودانى عبدالموجود)

أما الجرحى فى هذه العملية البطولية فقد كانوا:

١ ـ عريف (أحمد شبل محمد)

٢ ـ عريف (محمد عبدالتواب أبوحطب)

٣ ـ الجندى (سعيد عبدالمنعم عبد الله)

٤ ـ الجندى (مصطفى محمد مصطفى)

٥ ـ جندى (أبوالسعود عثمان على)

٦ ـ جندى (أحمد مصطفى على كثير)

هذا ما تسجله المستندات الرسمية للفرقة ١٩

ولكن ماذا يذكر التاريخ للشهيد الرائد/ (محمد زرد).

كان (محمد زرد) أحد الشجعان، **الذين ذادوا** طيلة حياتهم العسكرية ـ بروحهم ـ عن وطنهم، **يتمتع** بالهدوء، والشجاعة، والإقدام..

كان: أحد قادة السرايا فى اللواء الخامس مشاة، وسبق له القيام بعملية هجوم على إحدى النقاط الحصينة للعدو شرق القناة؛ قبل وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠ خلال حرب الاستنزاف.

ونظير بطولته وإقدامه: قررت القيادة تكريمه بنقله إلى (مدرسة المشاة) كمدرس.

لم يستطع أن يتعايش مع (مدرسة المشاة) التى يتطلع إليها ضباط المشاة للعمل بها لتميزها.. لم يستطع أن يتقبل نوع العمل، وآثر على نفسه أن يعود إلى الجبهة، وتقدم بطلب لقيادته لإعادته إلى نفس الوحدة التى كان يعمل بها.. **ولبت القيادة** طلبه وعاد إلى كتيبته.

فعين رئيسا للشئون الإدارية بالكتيبة، إلى أن كان **(السادس من أكتوبر)** واقتحام قناة السويس، والهجوم على النقط القوية للعدو.

وعندما قاومت النقطة: **طلب من قيادته** أن يقوم هو وبعض رجاله

الذين سبق له تدريبهم، والذين يعرفهم جيداً.ويعرف إمكانياتهم.

طلب أن يقوم بالهجوم على النقطة القوية، وسمحت له القيادة أن يختار العناصر التى ستقوم معه بالهجوم على النقطة القوية.

ولم يختر إلا ثمانية أفراد، وهاجم بهم النقطة القوية إلى أن سقطت وسلمت.

وأثناء الاقتحام أصيب (بدفعة رشاش) فى بطنه مما تسبب فى أن تخرج أحشاؤه، فسدها بيده، واستمر فى الهجوم حتى سقطت النقطة القوية!!.

* **كثيرة هى المرات التى ذكر فيها اسم المقدم/ (حسام عمارة)** ونحن نقلب صفحات البطولة فى سجل الفرقة ١٩ مشاة.

أكثر من حادث بارز. . حمل اسمه ـ **وعلى سبيل المثال:** ـ

عندما قاد (**حسام عمارة**)، سرية الصواريخ المضادة للدبابات، وقام بتدمير ٩ دبابات للعدو يوم ٢٤ أكتوبر، وعاد ليدمر ٤ دبابات أخرى **بالاشتراك** مع (**النقيب فوزى شاكر**)، عند محاولة دبابات العدو اقتحام مدينة السويس.

إن المقدم (حسام عمارة) يستحق ـ فعلا ـ لقب: صائد الدبابات، لشجاعة وكفاءة هذا المقاتل الفذ، **وكذلك** الرقيب أول الرامى (**السيد بدور**)

* **مقاتل آخر يرد اسمه فى أكثر من موقع؛ خاصة فى (معركة السويس)** إنه الرائد (**على رضا عبدالعزيز**) ـ نذكر واحدة منها على سبيل المثال.

عندما قام يوم ٢٦ أكتوبر **بمشاركة** الملازم أول (**أحمد مصطفى مراد**) بالإغارة على موقع العدو عند علامة الكيلو ١٥٢ غرب القناة ودمر للعدو ٣، دبابات وعربتين نصف جنزير، بالإضافة: لقيادة مجموعات قنص الدبابات التى دافعت عن مدينة السويس.

* يأتى اسم الشهيد الرائد (محمد السعيد عبدالله) ـ فى موقع بارز آخر من سجل بطولات الفرقة ١٩ .

لقد قاد بنفسه مجموعتين من مجموعات قنص الدبابات فى أول أيام المعركة، وقام بتدمير دبابتين للعدو، مما أجبر ٤ دبابات أخرى للارتداد بسرعة، عندما كانت تحاول تطويق الكتيبة؛ وذلك لاسترداد النقطة القوية ١٤٦ التى استطاع أبطال اللواء الخامس من الفرقة ١٩ الاستيلاء عليها .

وقد استشهد فى هذه العملية أيضاً الرقيب (نورالدين على) والجندى (سمير غباشى) كما جرح كل من الملازم أول (رضا حسن السيد)، والرقيب (سعيد هلال مصطفى)، والجندى (مصطفى عثمان عزب) .

* وفى أول أيام المعركة أيضاً قام المقدم (شامل حسن إسماعيل) والجندى (الديدمونى على حسن) بتدمير مربض دبابات .

كما قام النقيب (أحمد عبداللطيف) باحتلال مصاطب غرب القناة، ودمر ٣ دبابات للعدو أمام مواجهة اللواء الخامس مشاة .

وفى نفس اليوم ٦ أكتوبر اشترك الشهيد ملازم أول (سامى محمد فتح الله) مع فصيلته فى الاقتحام والاستيلاء على النقطة القوية ١٤٨ ببطولة نادرة، وشاركه فى الاستيلاء على هذه النقطة الجنود: (عوض الله عبدالحميد)، (وأحمد محمد عبدالمحسن)، (وعبدالرحمن طه) .

* تتوالى البطولات، ويسجل الشهيد النقيب (غريب إبراهيم عبدالتواب) قائد سرية الصاعقة: هذه الصفحة الناصعة فى سجل إنجازات الفرقة ١٩ :

قاد سريته، وقام بتلغيم مصاطب دبابات العدو يوم ٨ أكتوبر جنوب (ممر متلا) وقد تسبب هذا العمل البطولى فى حرمان العدو من استخدام هذه المصاطب، مما ترتب عليه نجاح اللواء الخامس مشاة فى إكمال حصار النقطة القوية ١٤٩ .

وفى اليوم التالى : يسجل النقيب (حسين غازى) ومعه (الرقيب أحمد موسى) بطولة جديدة : عندما عبرا القناة، ومعهما فصليتهما ليقوما بتعليم ١٤ محورا بعلامات المرور الإرشادية حتى عمق المهمة المباشرة للفرقة، رغم احتلال دبابات العدو للساتر الشرقى، وتحت تأثير نيران مدفعية العدو الكثيفة.

* فى اليوم السادس من أكتوبر: قام الشهيد العريف (عبدالفتاح عبدالعزيز) مع رفاقه باقتحام النقطة القوية ١٤٦ والاستيلاء عليها، لم يكن ذلك بالأمر اليسير . . . لكن الأبطال لم يبخلوا بأرواحهم الطاهرة من أجل مصر.

استشهد فى هذه العملية العريف (قرنى عبدالسلام) والجنديان : (مصطفى لطفى محمد) (وعلى محمد العيسوى).

* ويذكر سجل الشرف ـ أيضا ـ مهام خاصة؛ فى فتح الممرات، وإقامة الكبارى .

وهنا نذكر المقدم المهندس (فاروق المليجى) والرائد (عصام عبدالحليم)، وكذلك المقدم (كمال حمد) ، والرائد (عادل حسن محمود).

ويصعب تجاهل الدور الكبير الذى قام به الملازم أول (العزب عصام حسن) الذى قاد بنجاح مجموعة مؤخرة (جبل الراحة).

* نقف قليلاً لنشاهد براعة العريف (ثروت داود) : الذى استطاع أن يسقط (٧) طائرات فانتوم وسكاى هوك بقاذفه الصاروخى يوم ١٢ أكتوبر.

* الساعات الحرجة فى ساحات القتال كثيرة، ويأتى حسن التصرف فى مقدمة ما تتطلبه تلك الأوقات الصعبة.

اليوم ٩ أكتوبر - وهنا يذكر للملازم (**أول سعد عبد الماجد**) ما قام به عندما تأخر إنشاء المعابر من إمداد اللواء الثانى (**الميكانيكى**) بالذخيرة، والتعيينات، والمياه، والقوارب، وفى وقت مثالى.

وهناك أيضا الرائد (**عيسى جاد الله**) والنقيب (**محمود ديوان**) اللذان قاما بتجهيز مركبات توباز، وتحميلها بذخيرة وتعيينات، ودفعها بسرعة فائقة للضفة الشرقية.

* **وفى الساعات الحرجة** - أيضا تبرز معادن الرجال فقد قام الرائد (**ممدوح النجار**) والنقيب (**محمد منير موسى**) تحت تأثير القذف الجوى (**الهستيرى**) للعدو ونيران مدفعيته الثقيلة - قام بمد كابل تليفونات (١٤) جوز على الرغم من تدميره من قصف مدفعية العدو: إلا انهما استمرا فى إصلاحه فى أقصى الظروف الصعبة بمشاركة العريف (السيد سعد السيد) والعريف (**حسن برهام محمد**) والجندى (**فرج محمد خليل**)

* **فى الضفة الشرقية** - ومنذ يوم ٨ إلى ١١ أكتوبر - كان الرائد (**عادل حسن محمود**)، والشهيد الرقيب (**أحمد مرسى على**)، والرقيب (**السيد عبدالخالق**) والعريف (**سيد شريف عبدالعظيم**). **هؤلاء الأبطال** ظلوا يقومون بتنظيم المرور بين الضفتين: الشرقية، والغربية للقناة، على معبر كوبرى ٥٠، ٢٥ طناً.

وهما المعبران الوحيدان اللذان بقيا فى مواجهة الجيش الثالث بقطاع الفرقة ١٩ وكانت تتدفق عليهما مركبات الفرقتين ٧، ١٩ ليلاً ونهارا.

كانت اليقظة، والكفاءة، وحسن تنفيذ الأوامر؛ طابع هذه المجموعة مما سهل دفع الأسلحة المطلوبة، حسب الأهمية وفى الوقت المحدد.

* **لعل اقتحام النقطة القوية فى (الجباسات)** والإنجازات الهامة للفرقة

كثيرة . . . وها هى أسماء الأبطال والرجال الذين ساهموا في الاستيلاء على هذه النقطة القوية . التى حاول العدو بالمصف الجوى المركز: عدم تمكين قوات الفرقة من الاستيلاء عليها، فقد كان وجود هذه النقطة يهدد إنشاء أى معـابر، نذكر بعض من ساهم فى اقتحامها، والاستيلاء على النقطة القوية فى الجباسات :-

١ ـ مقدم : **(صلاح الدين أمين المليجى)**

٢ ـ رائد : **(عبدالستار الراوى حمادة)**

٣ ـ نقيب : **(حسين إبراهيم السروجى)**

٤ ـ عريف : **(عاطف عبدالرحيم عيسى)**

٥ ـ عريف : **(سعيد على عبدالجواد)**

٦ ـ جندى : **(شهيد حامد على العيسوى)**

ولن أنسى دور العقيد ا .ح **(علاء الدين عبد المجيد درويش)** رئيس مدفعية الفرقة الذى تخلى عن تولى قيادة لواء مدفعية وأصر على البقاء فى الجبهة للمشاركة فى الحرب . وفعلا تحققت آماله فكان الساعد الأيمن لى وأدار نيران المدفعية مثل المايسترو وكانت ضرباته ضد العدو لها أكبر الأثر طوال فترة الحرب وعلى سبيل المثال معركة مدينة **(السويس)** الذى لعبت المدفعية الدور الكبير فى حمايتها وصمودها بقيامه بتنفيذ عدة مهام نيرانية سواء حشد نيران أو تجمعات، وذلك بتوجية مواسير بعض كتائب المدفعية المتمركزة فى رأس الكوبرى للفرقة ١٩ شرق القناة نحو الغرب فوق قوات العدو.

* **مجموعة أخرى من ـ المقاتلين الأوفياء ـ** استطاعوا يوم ٩ أكتوبر ـ وتحت

تأثير النيران وضغط المعركة نجدة وإصلاح ١٧ دبابة ، فى وقت قياسى كانت قد غرست فى الأرض الطينية بحوض الدرس . وهو الأمر الذى عزز الكفاءة القتالية أثناء المعركة فى هذا اليوم الحاسم .

نذكر من هذه المجموعة ـ التى قادها المقدم **(سمير شعبان)** قائد الكتيبة المدرعة، والذى أبلى بلاء حسنا فى جميع المواقف القتالية ـ :

١ ـ نقيب : **(محمد البشير ماضى)**
٢ ـ نقيب : **(حمودة عبدالقادر)**
٣ ـ ملازم أول **(إبراهيم الدسوقى)**
٤ ـ ملازم أول **(محمد كمال شكرى)**
٥ ـ ملازم أول **(كامل عبدالقادر)**
٦ ـ رقيب **(فوزى عبدالعزيز سالم)**
٧ ـ رقيب **(شوقى صالح رزق)**
٨ ـ رقيب **(سيد حسن أمين)**
٩ ـ رقيب **(سيد محمد أحمد)**

* **لا يزال السجل زاخرا . . .** فهذا مقاتل آخر يقف فى موقع بارز.

اليوم هو ٨ أكتوبر . . . البطل هو النقيب **(عبد اللطيف إسماعيل عبداللطيف)** قائد السرية ٢٣٢ دبابات الذى تمكن خلال المعركة التصادمية مع دبابات العدو: من تدمير ٥ دبابات منها، وقد فرت باقى دبابات العدو شرقا.

وهذا هو المقدم **(مجدى أنور حتاتة)** وبرفقته النقيب **(فؤاد محمد إبراهيم)** عندما قاما بقيادة السرية ٢٣٦ ميكانيكى و ٢٥١ دبابات ـ قاما

بإسكات بطارية ١٥٥ للعدو شمال شرق **(جبل المر)** وتعطيل أحد مدافعها وإرتداد الباقى شرقاً.

وقد ساهم ذلك فى حرمان العدو من التدخل ضد معركة **(جبل المر)**.

موقف بطولى تحفظه سجلات الفرقة ١٩ للعقيد (الفاتح كريم) قائد اللواء الثانى الميكانيكى، يوم ٩ أكتوبر.

حيث تقدم على رأس قوة **يصحبه** العقيد **(على حسن الغليظ)** والرائد **(علاء الغمرى)** والنقيب **(سامح محمود سليمان)** وقاموا بالاستيلاء على الهيئة الحيوية الحاكمة (لجبل المر) مما اضطر العدو إلى الارتداد شرقا، وهو ما خفف الضغط على **(محور متلا)**.

* **وقفة أخرى** أمام مقاتل آخر جسور: الملازم أول **(نمر نسيم حنا)** والإنجاز هو:

إسقاط ٥ طائرات للعدو خلال ساعة واحدة، مما حرم العدو من التدخل بطيرانه فوق أرتال اللواء الثانى **(الميكانيكى)** المندفع نحو **(جبل المر)**.

* **هاهو الرقيب (محمد السيد حسن بسيونى)** والغارة الجوية لا تزال دائرة ـ لكن المقاتل لا يعبأ ـ

انه يقوم فى جسارة نادرة بتجميع **(المعدية)** وفك الأجزاء المدمرة منها.

وها هو أيضا المقدم مهندس (حمودة) قائد كتيبة الكبارى يقوم بتركيب معدتين من بقايا الكوبرى المدمر.

وفجأة تتعرض إحدى المعدتين لإصابة مباشرة، بقنبلة (ألف رطل) **فقام** بتخفيض حمولتها، واستمر فى العمل بطاقة مخفضة لتصاب مرة أخرى.

لكن المقاتل **(مصطفى حمودة)** لم ييأس .وتحت الغارات الجوية المكثفة ـ أيضـا ـ يقـود المـلازم أول **(وليم وديع عبـدالمسيح)** الونش بعدما أصيب سائقه، وقام بإنزال اللنشات (المرسيدس) إلى القناة.

* **كان العميد** أ.ح **(محمد صدقى حشمت جادو)** يقوم يوميا تحت النـيران الشـديدة لطيران ومـدفعية العدو بالمرور على أجنـاب الوحدات ونقاط الاتصال، التى بدأت بحوالى ٨ كيلو بين كل لواء والآخر وهو مامنع العدو من استغلال أية ثغرات.

وقد رافقه فى هذه المهمة الاستطلاعية الملازم أول **(محمد سرور أحمد جحا)** والرقيب **(أحمد محمد الغرباوى)** والعريف **(رأفت سيد محمود)**.

ويذكر سجل الشرف للفرقة ١٩ ـ أيضا ـ النقيب **(مختار عثمان)** الذى استشهد يوم ١٢ أكتوبر **عندما** قام مع النقيب **(محمد مرزوق عبد الله)** والنقيب **(عـز الـدين التونسى)** والرائد **(عبد الفتاح البرعى)** والملازم أول **(إبراهيم كامل عاشور)** و**(علاء الدين حسن)** والرقيب **(حسن محمد حميد)**.

فإن هؤلاء الأبطال اشتركوا فى معركة الكتيبة ١٤ مشاة بالتقدم فى هجوم ليلى صامت، بالاشتباك مع سريتى دبابات، وبعد قتال ضارٍ **أجبروا العدو** على الارتداد.

* **ويضرب المقدم (محمد أحمد الجمل)** المثل فيما يجب أن يتحلى به القائد من إعطاء القدوة لجنوده، حيث ظل القصف الجوى للعدو مكثفا على مركز قيادة كتيبته، حتى أصيب؛ **لكنه تحامل** على نفسه، وظل يقود المقاتلين حتى انتهى القصف الجوى للعدو وتم أخلاؤه.

ومقاتل آخر يعطى المثل على أن العزيمة تصنع المعجزات، فقد قام الـرائد (**محمد إسماعيل**) بمساعدة العريف (**حسن عبدالمنعم العيسوى**) بإسقاط طائرة مروحية (**سوبر بيركت**) للعدو وبنيران بندقية آلية.

ثم يأتى دور الـرائـد (**أيمن البهى**) الذى قادة قوة تأمين معابر على الضفة الشرقية.

* **ومن رجال الحرب الكيماوية بالفرقة ١٩** يأتى دور الرائد (**محمد عبد الله عبد الرسول**) عندما قام بنفسه بقيادة مجموعة؛ تتكون من الرقيب (**طه مختار مهنا**) والعريف (**إسماعيل قطب**) و(**مصطفى السيد هندى**) والجنديين (**محمد جمعة عبد العال، ومحمد البندارى المتولى**).

قامت هذه المجمـوعـة بإخفـاء معابر الفرقة بالدخان حتى يوم ٢٢ أكتـوبر، وقد أظهرت هذه المجموعة شجاعة فائقة فى تنفيذ مهمتها تحت القصف الجوى للعدو على المعابر، مما تسبب فى إصابة العربة المخصصة لهم، وإصابة بعضهم، بعد أن أدوا مهمتهم بنجاح.

* **فى الفرقة ١٩** كان لكل مقاتل دور محدد. وكان هذا الدور هو حلقة فى سلسلة المهام العديدة التى أنجزتها الفرقة.

الـرقيب أول (**عـز أحمد السباعى**) بمساعدة الرقيب (**محمد حسين مصـطفى**) استـطاعا القيام وحدهما (**بتشفير ٢١٢ برقية**) على الرغم من ظروف القصف الجوى المركز للعدو.

إن مقاتل أكتوبر ٧٣ كان مقاتلا مختلفا.

هذه هى الماكينة الخاصة (**بالتشفير**) قد تعطلت لكن المقاتل (**عز أحمد السبـاعى**) ابتكـر طريقـة أخـرى (**لحـل الشفرة**) دون استخدام الماكينة المعطلة، وظل وزميله يعملان بشكل متواصل؛ بمعدل (**٢٠ ساعة يوميا**)، وبذلك فاز مكتب (**الشفرة بالفرقة ١٩**) بجائزة أحسن مكتب شفرة.

* **وضمن رجال أمن السيطرة ـ أيضاً ـ لا بد من ذكر النقيب (أحمد عبدالعظيم عبد الجواد)** الذى أدى واجبه كاملا طوال المعركة كضابط اتصال.

* **لرجال الاستطلاع** دور بارز فى سجل **الفرقة ١٩**.

ونذكر منهم ـ هناك ـ الملازم أول **(محمد سرور أحمد)** والجندى **(محمد سليمان)** فعندما فقد الاتصال السلكى مع إحدى كتائب **الفرقة**: قام المقاتل **(محمد سرور)** بالعبور سباحة لعدم توفر وسائل **العبور** معه وبصحبته (٢) طاقم بطاريات، وقام بإصلاح الجهاز، وعودة ربط الكتيبة.

وهنـاك أيضـاً الملازم أول **(محمد العشرى)** الذى عبر القناة فى إتجاه الغرب، وتقدم إلى معسكر **(حبيب الله)** لاستطلاع قوة العدو وتحركاته، وإبلاغ القيادة بذلك.

كان إيمانى بأهمية دور الاستـطلاع كبـيرا، **ومن ثم** فقد استخدمت شجاعة رجال **الاستطلاع** بالفرقة، وحسن تدريبهم: استخداماً أمثل . . . وحققت عن طريقهم رؤية واضحة؛ **لأغوار العدو** واستحكاماته، وحجم قواته ونواياه، والعديد من النتائج **(التكتيكية) والاستراتيجية)** على السواء.

* **ونـذكر هنا** من سـجل الأعمال البارزة **للفرقة ١٩** المساعد **(سمير محمود الخضرى)**، والرقيب **(محمد عاطف شعبان)**، اللذين قاما بإحضار المياه أثناء القصف الجوى للعدو على منطقة **(بئر المر)** عندما انقطعت المياه أربعة أيام من ٢٣ إلى ٢٧ أكتوبر.

* **ولم يغفل سجل الأعمال البارزة للفرقة ١٩ دور المقاتلين من الأطباء.**

لقد كانت الكتيبة الطبية **بالفرقة ١٩** من أبرز الكتائب على مستوى القـوات المسلحـة، **حيث كانت أول كتيبة طبية تقوم: بالعبور**، والفتح وإستقبال جرحى الجيش الثالث بأكمله.

وقد تجاوزت مهامها الطبية وقامت بتأدية مهام مستشفيات القاعدة، وليس الميدان فقط .

كما قام كل من العقيد طبيب **(سيد هاشم فايد)** والمقدم طبيب **(مصطفى كمال بيومى)** والرائد طبيب **(يوسف مصيلحى بركات)** والنقيب طبيب **(محمد طلعت طه)** وكل من الملازمين الأوائل **(حسن بكر وعبد السلام هنداوى، وسامى بهجت الشافعى)**

قاموا جميعا بأعمال تقول عنها سجلات الفرقة ١٩ : بأنها أعمال بارزة وفوق العادة فى تقديم الخدمة الطبية أثناء قصف العدو، ومدفعيته التى ظلت يوم ٢٦ أكتوبر تقصف ليلا ونهارا بشكل مستمر.

أما الدور البطولى، والإنسانى : ـ الذى لن ينسى ـ فهو قيام العقيد طبيب**(سيد هاشم)** لأول مرة بإجراء العديد من الحالات الطبية أثناء الحصار.

مثل حالات توسيع ـ دون تدخل جراحى ـ لبواسير وشرخ شرجى يعود بعدها المريض لوحدته فوراً، **بالإضافة** للعمليات الجراحية الدقيقة : مثل الترقيع، **والتجميل، وأيضا** النقيب طبيب **(محمد طلعت طه)** الذى قام بإجراء أكثر من ثلاثين حالة علاج أسنان مختلفة يوميا .

* **لقد شهد يوم ٢٤ أكتوبر** أعمالا بارزة أخرى، وأسماء أبطال جدد : نذكر منهم الرائد **(محمد على المنزلاوى)** والملازم أول **(محمد السيد عبدالعال، وعثمان حسين عيد، ومحمود شكرى على)** حيث قامت هذه المجموعة من اللواء ٧ مشاة بتأمين الضفة الغربية للقناة، وذلك بنسف الأبراج الحديدية، وتلغيم فتحات المعابر، **وتلغيم** مصاطب الدبابات .

كما يضيف سجل إنجازات يوم **٢٤ أكتوبر** اسم المقدم **مصطفى حمودة على)** الذى تمكن من تجميع معدية من بقايا الكوبرى المدمر، **وتوصيل** أطقم قنص الدبابات إلى الضفة الغربية : بواسطة اللنشات لمهاجمة العدو .

وفى نفس اليوم - أيضا - قام ثلاثة من رجال الاستطلاع باللواء السابع وهم: الملازم أول (عبد الرحيم محمد السيد) وزميله (السيد غراب) والرقيب أول (محمـد عبـدالعال) قاموا بالاشتراك مع مؤخرات (مدينة السويس) بتدمير ٤ دبابات، و ٤ عربات نصف جنزير، و ٤ لوارى للعدو حاولت دخول مدينة السويس.

كما قام الرائد (محسن النعمانى) بقيادة قوة تأمين المعابر يوم ٢٥ أكتوبر بتنفيذ مهـامه رغم هجمات العدو الجوية الشرسة؛ التى استمرت ٣ أيام متواصلة على المعابر ليلاً ونهاراً.

وفى يوم ٢٥ أكتوبر - أيضا - قام الملازم أول (سامح محمد مصطفى) والملازم (عصام حسن) بعبور القناة إلى الضفة الغربية لاستطلاع تحركات العدو على (طريق المعاهدة) والتبليغ عنها، وإدارة نيران المدفعية على العدو..

كما قام النقيب (سعيد حسنـين) والجنـدى (مـرزوق عبد اللطيف) بأعمال مماثلة فى نفس اليوم.

* يعد العمل الذى قام به العريف (موسى الجمل) والجنديان (أبو المعاطى داود) و(السيد محمد يوسف) عندما قاموا بإنقاذ ٣ عربات محملة بالذخيرة، وأثناء غارة جوية مركزة فى منطقة تكديس ذخيرة الفرقة، - وإبعاد هذه العربات خارج منطقة القصف: ويعد هذا عملا له أهميته الكبرى.

* ويشهد يوم ٢٧ أكتوبر استشهاد واحد من أبطال الفرقة ١٩ وهو الملازم أول (فاخر فخرى عبدالصمد) عندما قاد عملية إغارة على موقع العدو الحصين بالكيلو ١٥٢ ودمر للعدو دبابة قبل أن يفوز بالشهادة.

* ولعل أبرع لحظات البطولة والفداء: هى تلك اللحظات التى يصر خلالها المقاتل بإكمال مهمته أثناء قصف العدو الجوى أو المدفعى.

وهنا نذكر النقيب **(عصام الدين سعيد حسن)** الذى قام بإخلاء معدية محملة بالعربات، أثناء القصف على المعدية وكذلك الرقيب أول **(محمد محمود مرسى)** الذى أبحر بالمعدية وهى محملة، وأشرف على تفريغها، أثناء القصف أيضا وبمعاونة العريف السيد **(عبد القادر الجوهرى)** وقام بعمل مماثل الرقيب أول **(محمد إبراهيم بندارى)** الذى قام بتحميل معدية ٩٦ طنا تحت تأثير نيران العدو.

* **ويضاف إلى سجل أبطال الفرقة ١٩** : أسم الرائد **(أحمد محمود عوض البنا)** وكان ضابط أمن، الفرقة وكان دائما مع قائد الفرقة، وأيضاً يمر على الوحدات، ويتلقى منه ماهو خاص بالأمن، وكان ينقل إلى القادة ما يرغب أن يوصله إليهم من تعليمات.

بالإضافة إلى أنه كان يشارك فى تسلم الأسرى من الوحدة، ثم يرحلهم بمعرفته إلى الجهات المسئولة خلف القوات.

ودائما كان يزور كل موقع، وكان يمر على جميع مواقع الفرقة تحت وابل من المدفعية، ونيران العدو أثناء المعارك.

وفى معركة (متلا) خاصة عاون فى ترحيل الشهيد (زرد) من موقعه بممر (متلا) ورافقه حتى أوصله إلى مستشفى السويس.

كان يتسم بالشجاعة والإقدام، وكانت الابتسامة لا تفارقه أبداً حتى فى أصعب المواقف.

ولا يزال سجل الأبطال زاخرا، فهذا هو العقيد **(فوزى محسن)** قائد اللواء السابع مشاة الذى جهز أفراد لوائه أثناء التحضير للمعركة تجهيزا كاملا، وكانوا سباقين فى العبور،فكان من أفراد اللواءتحت قيادته :الشهيد الملازم أول **(محمد عبد السلام)** أول من رفع العلم على الضفة الشرقية للقناة على مستوى القوات المسلحة المصرية.

لقـد كان العقيد (**فـوزى محسن**) أكثر القادة الذين رفعوا معنويات جنـودهـم أثنـاء الحصار، فهو صاحب فكرة الحفلات، والسمر، والتوجيه المعنوى، والأدب؛ فى المعركة وهو الذى بدأ أول معرض للغنائم؛ وأشرف على تنفيذه. وأيضاً تنفيذ معرض غنائم الجيش الثالث.

ويذكـر سجـل الشرف أيضـا المقـدم (**عزت سامى موسى**) ضابط ملاحـظة مدفعية فى منطقة (**المثلث**) غرب السويس. الذى أخذ يراقب العـدو ويـلاحظ. تجمعاته اعتباراً من أيام ٢٢ و٢٣ و٢٤ وأبلغنا ليلة ٢٤ بأن العدو يجمع لواءين ميكانيكيين فى المثلث بهدف دخول السويس.

وطلب منا أن نضرب تجمعات العدو فى هذه المنطقة، وفعلا ضربنا تجمع نيران العدو، واستمر يصحح الضرب، فكان السبب فـى منع دخول العدو مدينة السويس ليلة ٢٤ أكتوبر.

* **ويضاف إلى سجل الأبطال**: الشهيد عقيد (**مصطفى إبراهيم حسن**) قائد اللواء المدرع ٢٢ فلقد أبلى هذا المقاتل الفذ بلاء حسنا فى كل المعارك التى خاضهـا مع الفـرقـة، فقد ساهم فى دعم قوات الفرقة أثناء العبور واقتحام النقط القوية وتعزيز خط مهمة الفرقة.

* **كما لا يمكن أن أنسى** العقيد (**أسعد زكى محمد زكى**). . فقد كان من القادة الشجعان الذين يتقدمون أمام قواتهم، وكان من أكبر معاونى اللواء الخامس فى مهمته، وقد استشهد فى المعركة تحت القصف الجوى للطائرات.

ولا أنسى من كان بجانبى: فى التخطيط، وإدارة المعركة فى مركز قيادة الفرقة المتقدم: وهو العقيد أركان حرب (**موريس عزيز غالى**) والعقيد أركان حرب (**فوزى فؤاد خليل**) اللذين كانا يعاوناني فى جميع مراحل المعركة، وفى الإدارة بإخلاص شديد، وتفان وقد أرسلتهما فى مهام إضافية مع اللواءات

فساعدا فى إنجاح هذه المهام، واشتركا فى نجاح العملية الليلية الصامتة؛ التى نفذناها باللواء الخامس.

* **وأيضا المقدم** أركان حرب (**كمال مصطفى حمد**) الذى كان يعاون رئيس الأركان فى مهمة تنظيم العبور على المعابر، وهى من المهام الصعبة؛ إذ أن تنظيم تحرك مئات - بل الآف - من المركبات على المعابر ليس بالمهمة السهلة.

* **ويضم سجل الشرف** - كذلك -: المقدم (**محمد فتحى عبدالعزيز**) - قائد كتيبة مدرعات فرقة اللواء الخامس. . الذى هجم على (**ممر متلا**) وأبلى بلاء حسنا يفوق الوصف.

وكان قائد أول كتيبة دبابات تعبر فوق الكوبرى فى إتجاه الشرق نحو سيناء.

وفى أثناء الحصار: كان يقوم بدوريات، ويدخل فى الأراضى الواقعة بيننا وبين العدو على (**محور متلا**)، ويفك جميع أجزاء دبابات العدو، وقد عمل منها معرضا وفصلا تعليميا بمركز تدريب المدرعات .

* **وهناك** أيضا الرائد الشهيد (**محمد يونس على سعد**)، قائد السرية الخامسة مهندسين عسكريين، الذى كان يجمع المتفجرات، المتناثرة بأرض المعركة لحماية القوات وقد تناثر فى الهواء من انفجار أحد الألغام.

والنقيب (السيد إبراهيم السيد أحمد) الذى استشهد فوق الدبابة يوم ١٢ أكتوبر.

والنقيب (**محمد مرزوق عبد الله فاضل**) الذى استشهد وهو يدمر دبابات العدو، بعد أن تصدى لها بجسده.

* إن الدور الهام الذى قام به العقيد (**حسام الدين محمد الموجى**) رئيس إشارة الفرقة هو تحقيق أكفأ شبكة اتصالات طيلة فترة الحرب، وكان

يشرف على إرسال البرقيات بنفسه وأرسل عدة الآف من البرقيات من أفراد الفرقة إلى أسرهم خلال الحصار.

* **وإذا تحدثنا عن الرئاسات والقيادات:** فلا بد أن أذكر دور العميد أركان حرب (**توفيق على منصور**) رئيس المدرعات فقد قام بأعمال جليلة للمدرعات وتسجيل وتوثيق الأعمال القتالية.

وأيضا دور المقدم (**عبد الرحمن الجوهرى**) قائد الدفاع الجوى فقد كان للدفاع الجوى على مستوى الفرقة: دور كبير فى رفع معنويات المقاتلين فعندما كنا نرى طائرات العدو، وهى تتساقط كالحمام المذبوح: كانت هذه الصورة فى ـ حد ذاتها ـ تكسب المقاتلين ثقة فوق الثقة التى اكسبتهم إياها انتصارات المعارك، وكانت تمنحهم جرأة فوق الجرأة التى يتصفون بها، وكانت تساعدهم على التقدم، والقتال بإصرار؛ لتحقيق المهام المنوطة بهم.

أما دور العقيد (علاء ياور) رئيس الشئون الإدارية بالفرقة فكان بارزاً، وأدى واجبه على أكمل وجه؛ فى جميع الأوقات ـ قبل، وأثناء ـ المعركة؛ وذلك بإمداد القوات بكافة النواحى الإدارية: من مياه، وطعام، وذخيرة، ووقود، ومهمات، ومركبات.

وعندما نذكر الجانب الإيجابى للتجهيزات الهندسية، لابد أن نذكر هنا: العقيد مهندس (**فايز عبد الحميد الكشير**) الذى قام بالتجهيز الهندسى قبل المعركة، بالإضافة لمساهمته الكبيرة فى إنشاء السواتر العمودية؛ التى كانت سبباً فى ستر القوات فى معركة (**حوض الدرس**) وكذلك إنشاء المحاور؛ التى ربطت قوات الجيش الثالث بـ (**مدينة السويس**)

وفى الختام أرى أنه رغم عدم حصول بعض شهداء وأبطال الفرقة ١٩ على أنواط وأوسمة رفيعة: إلا أن هذا لا يقلل من الأدوار

العظيمة التى قاموا بها، ووضعتهم فى سجل المقاتلين الأوفياء ومنهم :

الشهـــــــداء :

- الرائد/ محمد زرد
- ملازم أول/ (فاخر فخرى عبد الصمد)
- رائد/ (محمد السعيد عبد الله)
- ملازم أول/ (رضا حسن السيد حسن)
- رقيب/ (أحمد المرسى على)
- مقدم/ (السيد عبدالعظيم سرور)

الأبطال :

رائد/ (على رضا عبدالعزيز)
- رائد/ (فوزى شاكر حسن)
- مقدم/ (حسام عمارة)
- مقدم/ (عزت سامى موسى)
- عقيد/ (علاء عبدالمجيد درويش)
- ملازم أول/ (عبدالرحيم محمد السيد)
- جندى/ (الديدمونى على حسن)
- مقدم/ مصطفى حمودة





■ الشهيد
الرائد
محمد زرد ■



■ مقدم
حسام
عماره ■



■ لواء علاء
درويش ■



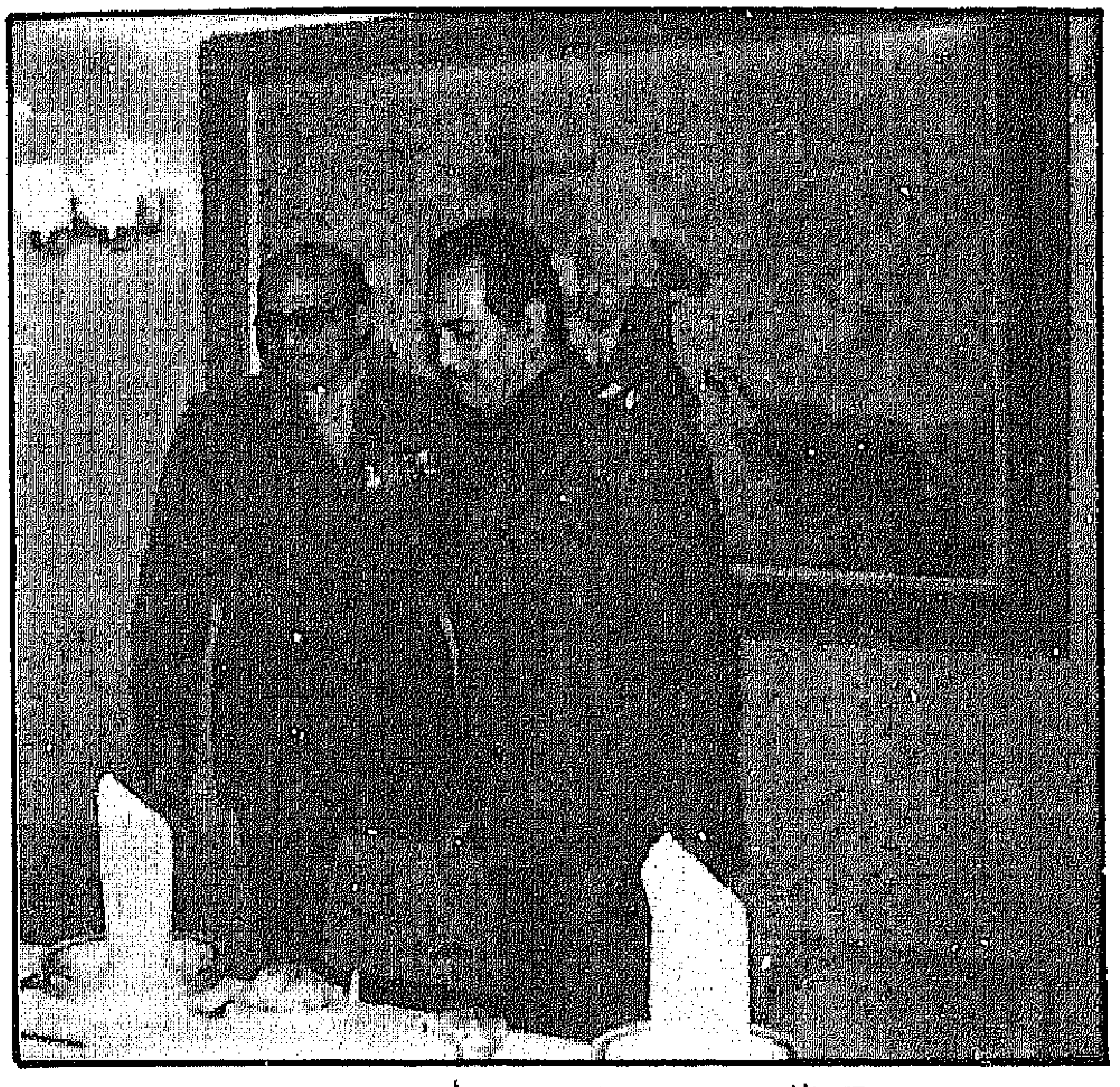
■ لواء فوزى
محسن ■



■ لواءموريس
عزيز غالى ■



■ لواء
فوزى
خليل ■



■ اللواء حشمت جادو ـ رئيس أركان الفرقه ■



■ عقيد محمود لطفى ديوان ■



■ مجموعة من أبطال الفرقه ١٩ ـ من اليمين : مقدم حسام عماره ـ رائد أحمد البنا ـ عقيد علاء ياور ■

الفصل العاشر
عناصر الفوز

* الإيمان بالله كان أهم عناصر النصر فى أكتوبر ٧٣

* الإسرائيليون يشيدون بعظمة خط بارليف قبل اقتحامه

* ماذا قال الإسرائيليون عن خط بارليف بعد العبور؟

* «الإثنين الأسْوَد» [1] الذى قضى فيه على الغرور الإسرائيلى

* رغم النكسة لم تتحطم حيوية شعبنا

* القادة كانوا سباقين فى تقدم الصفوف

---

(١) التسمية التى أطلقها الإسرائيليون على هذا اليوم التاريخى العظيم.

وقبل أن نطوى الأوراق . . بقيت كلمتان .

الكلمة الأولى : ماذا قال الخبراء العسكريون فى العالم الغربى؟ . وماذا قال الخبراء العسكريون الإسرائيليون . . الذين شاهدوا بأنفسهم **(خط بارليف)** . وهو ينشأ . . ويصبح أسطورة عسكرية . . ضخمة . . لا يمكن قهره . . **وماذا قالوا بعد ان اقتحم** أبطال القوات المسلحة المصرية حصون خط بارليف ونقاطه القوية وأحالوها إلى حطام .

والكلمة الثانية : هؤلاء المقاتلون الذين حققوا إعجازاً . . بكل المقاييس **فاقتحموا أخطر** خط عسكرى فى العصر الحديث . . **وعبروا أخطر** مانع مائى . . **وحطموا أسطورة** الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر . . **وقضوا** على كل ادعاءات إسرائيل عن الحدود الآمنة . . **هؤلاء المقاتلون المنتصرون** الأفذاذ . . ماذا كانت عناصر النصر التى حققت لهم المعجزة؟



عناصر النصر

إن مصر لا يوهنها الحزن . . ولا تفقد الأمل .

تاريخها . . انتصاراتها.. كبرياؤها . . شعبها سيد إرادته وأرضه .

عَلَمُها مرفوع الهامة . . عزيز المكانة دائما . . مغروس فى قلوب أبنائها .

فرغم النكسة لم تتحطم حيوية شعبنا . . فأبدى ثباتا وصمودا ضد كل الضغوط السياسية والعسكرية . . وبفضل الوحدة المعنوية ، والسياسية لشعبنا العظيم فقد ملأت القوات المسلحة قلبها بالثقة فى المستقبل .

واتخذ القائد (**الرئيس السادات**) قرار العبور ليثبت للعالم أجمع أصالة الشعب المصرى .

فقد كان من أهم عناصر النصر، وأكثرها حسما فى العبور العظيم : **الإيمان بالله ، وإخلاص النية إلى الله فى العمل ، والثقة بالنفس فى تحقيق الأهداف .**

وقبل إلقاء الضوء على هذا العنصر الهام : يجدر بنا التعرض لمفهوم التشكيل القتالى ، ومسئولية قائده :

فالجيش الميدانى، أو الفرقة ، أو الوحدة المقاتلة : تتكون من : حشد ضخم من الأفراد، يمثلون جميع الشرائح الاجتماعية للشعب ، بالإضافة إلى : الأسلحة ، والمعدات التى تتميز بكثرة أنواعها ، وتطورها ، وقدرتها ؛ العالية على المناورة .

فمن الطبيعى: أن تزداد مسئولية القائد بالنسبة لفهم طبيعة المقاتلين وثقافتهم، ونماذج تفكيرهم.. والمعرفة التامة بخصائص الأسلحة والمعدات؛ حتى يمكن التعامل مع الأفراد وقيادتهم، وأن يضع مختلف الخطط الخاصة: من تدريب وتوجيه، فى تسهيل التوافق بين قدرات المقاتلين، وإمكانية الأسلحة.

كما أصبح لزاما على القائد: أن يطور المقومات المعنوية للمقاتلين وما يتبعها من تنمية لإرادتهم، ووعيهم، وقوة العزم فيهم، والجدية والسلوك الذاتى؛ حتى تكون لديهم الشجاعة والقدرة على تذليل الصعوبات مهما كانت.

كل ذلك له أهمية كبرى فى التأثير على القدرات القتالية، والاستعداد القتالى للقوات، حيث إن الإنسان كان ولا يزال القوة الفعالة الأولى فى كل الحروب.

لقد كان لحسن اختيار القادة، ممن يتحلون بالاستعداد لتحمل المسئولية، والولاء للعمل، والثقة بالنفس.. **أثره القوى فى أن عمل الجميع** على بلوغ الأهداف، والنهوض بمستوى الأداء والتدريب الواقعى، مع استغلال الإمكانيات المتاحة أحسن استغلال.

وتم اختيار شعار ورمز للفرقة ١٩: كى يزيد من وحدتها وتماسكها بالعوامل التى تجعل شخصيتها محددة مميزة، فاتخذت شعار:**الإيمان - الشرف - الجهاد** - وسار الرجال على منوال هذا الشعار بكل معانيه ومضمونه، وكان هو المحور الذى تدور حوله جميع اللقاءات بين القادة والضباط والجنود - فى جميع الأوقات - قبل وأثناء وبعد المعركة

وساعد ذلك: على التعرف على الأسباب والعوامل التى تحكم السلوك الإنسانى للمقاتلين، والتى كان لها التأثير الفعال فى رفع كفاءة القوات.

كما استغلت **اللقاءات** فى سرد الكثير من كفاحنا العريق، فاستوعب المقاتلون ووعوا سير الأوائل، وما قدموه من أعمال خالصة لله يظللها التمسك بالمبادىء والقيم والقدوة والشجاعة والفداء.

وكان نتيجة ذلك: أن نمت فى المقاتلين قوة العزم، والإرادة القوية، والجدية، والإيمان بالمعنى الحقيقى للوفاء للوطن. وبالتالى: أصبحت لديهم القدرة على تذليل كل ما يجابهم من صعوبات أو عقبات.

ومما ساعد على ثقة المقاتلين بأنفسهم وشجاعتهم جو الود، والألفة والمصلحة المشتركة؛ التى كانت تسود روح الفرقة، والعلاقات المتبادلة الطيبة بين المقاتلين، والتى أشعرتهم بالاطمئنان والثقة والاستقرار.

وبالتالى: أثرت على سلوكهم فى التدريب القتالى الواقعى، وجعلتهم أقدر على التكيف فى المواقف المختلفة.

كما أثارت لديهم الرغبة فى تنفيذ ما يوكل اليهم من مهام؛ بوعى نابع من القلب والعقل معا، **ولذلك** لم تكن القدرة القتالية تتوقف على المهارة العسكرية الفردية - **فحسب** - بل على ترابط المقاتلين وتضافرهم، والشعور بروح الوحدة، أو الفريق، والمسئولية العظيمة تجاه الإنجازات الشخصية، ونجاح الوحدة بأسرها.

كما كان دور القادة مشجعاً، حيث تركزت جهودهم على بث الثقة والانضباط الذاتى، والحماس القتالى، فقامت علاقات التداخل بينهم و بين

المقـاتلين فى تنـظيم نشاطات وتدريب وحداتهم، ومراقبة منجزات جهود الأفراد، فكانوا يقررون الأساليب، أو السبل التى يسلكها الأفراد، لتحقيق الأهـداف، ويقـومـون بدور الحكم الوسيط لكى يقللوا من الشقاق بين الأفراد، ويقومون ايضاً بالمثل الذى يحتذى والقدوة.

وغالبا ما كانوا السباقين الذين يتقدمون أمام وحداتهم تمثيلا للفصائل الخلقية.

وكانوا يتحلون بصفة الأب للمقاتلين، وهى محل تركز مشاعر الحب والتعاطف. ويشجعونهم على النقد البناء، والنقد الذاتى، الذى يؤدى إلى تماسك الجماعة، وتقوية شعورهم بذاتهم، ويرفع من روحهم المعنوية.

لقد كانوا يعهدون إلى مرؤوسيهم بتنفيذ بعض المهام التى هى من مهامهم حتى يعطوا لهم فرصة المشاركة، وتحمل المسئولية، وبذلك كانت تشبع أغلب حاجات الأفراد، ويسود بينهم الاحترام المتبادل.

وكانت مساعدة القادة للمقاتلين على تطوير قدرتهم ـ لتمالك النفس ـ أن خلق الظروف للقائد ـ مهما كان حديثا ـ على اتخاذ القرار، والتصرف بكل ما أوتى من قوة.

كما ساعدت تصرفات القادة، وإظهارهم للثقة بالنفس، ورباطة الجأش والقـدرة على المبادأة، والتصرف فى الوقت المناسب والتضحية دون انتظار لأوامر القادة الأقدم ـ فاتسموا بالقدرة على التمسك بالحزم تجاه أنفسهم، وإدراك أبعـاد مسئـوليتهم الشخصية ساعد ذلك على نجاح وحداتهم فى إنجاز المهام.

الثبات ورباطة الجأش

عندما أدرك المقاتلون أن المعدات الحديثة المتطورة تتطلب منهم اقوى الطاقات المعنوية ورباطة الجأش والثبات والقدرة على عدم الاستسلام لشعور الخوف والارتباك عودوا أنفسهم اكتساب تلك الصفات من خلال التدريب الواقعى المستمر بعد أن وعوا : أن الثبات هو أعلى درجات النضال القتالى للمقاتل حيث له مظاهره الخارجية وانعكاساته الداخلية الكامنة فى النفس البشرية والذى ينعكس على كل التصرفات ومنها الشجاعة الشخصية والإقدام فمن المعلوم أن لحظة الثبات فى المعركة وخاصة عند التلاحم مع العدو هى أشد اللحظات حرجا، والفيصل بين الشجاعة والخوف - وهما غريزتان طبيعيتان فى كل إنسان - فإذا لم يثبت المقاتل فى تلك اللحظة فربما تنقلب غريزة الخوف إلى الجبن وقد تؤدى الى الذعر والاستسلام أما إذا ثبت المقاتل فى تلك اللحظة تتطور غريزة الشجاعة إلى البسالة والإقدام وقد بين المولى عز وجل المعالجة النفسية فى تلك اللحظة فأمرنا فى كتابه العزيز: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وفى آية شريفة ثانية ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2] وفى آية كريمة أخرى ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[3] كما بين المولى عز وجل أن التوجيه المعنوى الذى يستوفى عناصره، ويأخذ بالمنهج السوى يضاعف من القوة حتى فى المجال المادى والعددى الذى يصل إلى أكثر من عشرة أضعاف القوة التى لدى العدو. وفى حالة الضَّعف. قد تزيد على الضِّعف يقول الله

(١) الأنفال : آية ٤٥ . (٢) الرعد : آية ٢٨ .
(٣) محمد : آية ٧ .

تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾.[1]

فلا عجب إذن أن كانت صيحة المقاتلين (الله أكبر) فكانت بكل معانيها عن إيمان بالله وإخلاص الثقة الى الله فى العمل وجهاد فى الحق . . هى صيحة النصر فى العبور العظيم.

وقد تلاحظ أن ثبات المقاتلين كان يتوقف على قدرة القائد الشخصية وأسلوب عمله وتعاونه مع المرؤوسين الذين كانوا مشبعين بطموح نشيط لإحراز النصر وقادرين على تثبيت العزم فى نفوس المقاتلين، بل كانوا يأملون فى إحراز النصر حتى فى الأوقات التى لم يتوفر لديهم تفوق على العدو فانعكس ذلك على المقاتلين وتحصنوا بالثبات النفسى الرفيع الذى كان من أهم مقومات النجاح فى القتال.وبالرغم من مواجهتهم الصعاب لاحتفاظهم بالقدرة على العمل؛ بفاعلية وحزم ، وجرأة .

كما أعطى تمسكهم بالنظام والانضباط مزيداً من الحيوية والعمق .

ولقد لعب ثبات المقاتلين دوراً هاماً في تنفيذ المهام ، فلم يظهر من أى منهم أى تردد . بل قاتلوا بشجاعة وجرأة ، وساند كل منهم زميله ، بل وبادر بمساعدته .

كما حدث فى بداية العمليات : عندما استطاع رجال الفرقة ١٩ الصمود ـ وحدهم ـ بعد العبور ، وبدون دبابات ، أو أسلحة ثقيلة لمدة ٢٦ ساعة شرق قناة السويس ؛ بسبب صلابة الساتر الترابى فى قطاع الفرقة

---

(١) الأنفال: آية: ٦٥.

الأمر : الذى أدى إلى صعوبة عمليات التجريف بواسطة طلمبات المياه .

وبـالتـالى : إنشاء الفتحات الشاطئية ، وإقامة الكبارى ، فتدخل رجال الفرقة ـ بمبادرة منهم ـ لمساعدة المهندسين في هذه العملية الحيوية وشقوا الفتحات في الساتر بالمفرقعات بدلاً من التجريف .

وخـلال تلك الســاعـات الـطوال الحـرجـة : **كان الـرجال يلاقون** بصـدورهم دبابات العدو بأسلحتهم الخفيفة ، ويصدون جميع الهجمات المضـادة التى يشنهـا العـدو ؛ **محاولاً استرداد** قلاعه الحصينة ، التى تم الاستيلاء عليها ، **أو فك حصار** قلاعه الحصينة التى كانت لا تزال تقـاوم .

السلاح بالرَّجُل

وقد سئلت يوما: هل الرجل بالسلاح . . أو السلاح بالرجل؟

قلت : كان لزاما أن يعرف كل مقاتل أهمية السلاح أو المعدة الحربية التى بين يديه ؛ من الزاوية الإقتصادية ، والإنسانية ، للشعب ـ حيث حياته من حياة شعبـه ومصـيره من مصير مواطنيه ـ وان يتضح للمقاتلين : عمَّ يدافعون؟ وفى سبيل أى شىء يقاتلون؟

وبالتالى : تكون قد توفرت لدى كل مقاتل الثقة فى سلاحه ، والثقة والإيمان فى عدالـة العمـل الـذى يقوم به ، والأخلاص فى أدائه ، والولاء لوطنه ، والإيمان بضرورة خوض القتال ، وإحراز النصر.



قالوا: قبل انهيار خط بارليف

لم يحدث أن أقيم على طول شاطىء ما مانـع مائى . . وتحصينـات دفــاعية متصلة مثلما كان الحـال بالنسبـة لقنـاة السـويس، التى أقـام الإسرائيليون على شاطئها الشرقى **خط بارليف**.

بالإضافة إلى حقول الألغام الكثيفة جداً التى بثها العدو على الحافة مباشرة.

ثم كانت هناك مواسير (**النابالم**) التى أعدها **الإسرائيليون** ليتدفق منها اللهب بكميات هائلة؛ تكفى لتحويل القناة كلها إلى قطعة من الجحيم يحوِّل من يقترب منها إلى رماد.

وقبل أن نورد ما قالوه عن ضخامة (**خط بارليف**) وصعوبة اقتحامه: نقف أمام (**الساتر الترابى**) الذى كان يخفى خلفه حصون (**خط بارليف**) ونقطه القوية.

لقد أقام الإسرائيليون هذا (**الساتر الترابى**) العملاق على طول الضفة الشرقية لقناة السويس: مستخدمين التراب الذى تراكم على الضفة الشرقية عند حفر القناة، وظلوا يزيدون من ارتفاعه حتى (**وصل إلى ٢٠ متراً**).

أضاف الإسرائيليون إلى هذا الساتر الترابى الضخم ارتفاعا وعرضا: حقول ألغام بالغة الكثافة.

وأنشئت فوق (**قمـة السـاتر الترابى**) (مرابض) للدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية بفاصل يتراوح بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ متر، مما يشكل خطوط

نيران كثيفة فى مواجهة الضفة الغربية للقناة بحيث يصعب عبورها.

لقد كان تسلق هذا (الساتر الترابى) الضخم فى حد ذاته: عملاً شاقا على المقاتلين المشاة الذين يحملون على ظهورهم معدات ثقيلة.

وقد أنشأ الإسرائيليون عدداً آخر من السواتر الترابية؛ على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلو مترات من الشاطىء الشرقى للقناة بنظام خاص.

وهذه السواتر: استخدمت كخطوط، ومرابض نيران إضافية للدبابات، وهى تلعب دورا مؤثرا فى تحقيق عنصر الدفاع المتحرك، وهو تكبيد القوات المهاجمة أكبر خسائر ممكنة من جيوب نيرانية قوية.

سلاح إسرائيلى سرى

اعتمد جيش الدفاع الإسرائيلى على سلاح سرى خطير؛ ليجعل عبور المصريين قناة السويس ضربا من المستحيل: فقد كانت كل نقطة حصينة من نقاط (خط بارليف) تخرج منها (مواسير للنابالم) تتجه إلى مجرى القناة (تشتعل فى لحظة واحدة) فى حالة هجوم المصريين فتقيم أمام المهاجمين سدا من النيران واللهب.



أقوالهم قبل أكتوبر عن خط بارليف ! !

اليوم . . عندما أعود بالذاكرة لأيام خالدة، وأعمال عظيمة قام بها أبطال قواتنا المسلحة:

أسترجع ما قاله قادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية قبل أن يبدأ زلزال أكتوبر ٧٣ .

وبعض ما قالوه قبل العبور عن تحصينات (**خط بارليف**) واستحالة اختراقه ما يجعلنا اليوم نشعر بالفخر والاعتزاز لما أنجزناه.

وقد كان لأبطال **الفرقة ١٩** نصيب كبير من هذه الإنجازات.

وفى السطور القادمة سأنقل من (**أجندة مذكراتى**) بعض ما سجلته عن تلك التصريحات التى لا يخلو بعضها من نبرة التحدى الذى سقط بعد العبور العظيم.

قال (**موشى ديان**) قائد الجيش الإسرائيلى: إن عمليات العبور المصرية ـ إذا حدثت ـ لن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة المتمثلة فى (**خط بارليف المنيع**) وسوف يتلقى المصريون الرد الحاسم، لأن التحصينات الإسرائيلية فى (**خط بارليف**) أكثر قوة وتنظيما، ويمكن القول: بأنه خط منيع يستحيل اختراقه.

إننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ إلى الأبد (**بخط بارليف**) الذى أنفقنا على إنشاء تحصيناته مبالغ طائلة.

وقالت: (**جولدا مائير**) رئيسة وزراء إسرائيل: إن (خط بارليف) رمز

للذكاء الإسرائيلى، وإن أى محاولة للاقتراب منه ستكون إهانة لهذا الذكاء.

وقال الجنرال (**حاييم بارليف**) صاحب فكرة الخط: إننى متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال: فلن تتمكن من تحقيق أى عبور، وذلك لاستحالة اجتياز خط الدفاعات الإسرائيلية المقام على امتداد الضفة الشرقية. كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور (**قناة السويس**)، بسبب ما يشكله هذا الخط من خطر على القوات القائمة بالعبور.

وقال بعض الخبراء الأجانب:

مساكين هؤلاء المصريون.. ماذا هم فاعلون؟ وهذا الخط الحصين فى انتظار أى تحرك منهم!؟

وقال (**توماس تشيتهام**) مراسل وكالة (**اليونيتدبرس**) فى تحقيق نشر عام ١٩٧٢:

إنه فى الوقت الذى تناقش فيه الولايات المتحدة مسألة احتلال إسرائيل لصحراء سيناء المصرية: فإن القوات الإسرائيلية قد أقامت لنفسها بعد أكثر من خمس سنوات من الاحتلال جذورا عميقة. فأقامت التحصينات والمعسكرات الدائمة، حتى باتت سيناء تمثل معسكرا إسرائيلياً حصينا للغاية.

وعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة فإن الجنود الإسرائيليين يعتبرون آمنين **بنسبة ١٠٠٪ (مائة فى المائة)**، حيث تحميهم: ملاجىء، ودشم متينة؛ مصنوعة من الأسمنت المسلح والحديد والقضبان الفولاذية، بينما تقوم (**الكاسحات والجرافات**) الإسرائيلية بالتمهيد (**للوجود الإسرائيلى الدائم**) بخط بارليف وذلك بتجهيز حفر الدبابات الثقيلة، ومرابض المدفعية بعيدة المدى المنتشرة خلف الخط، فى مواقع منيعة متماسكة.

وأثناء مناقشتى مع أحد كبار القادة الإسرائيليين على **(جبهة السويس)** سألته عن احتمال اختراق المصريين بالقوة لخط التحصينات الإسرائيلى، أو إقامة رأس جسر لهم على الضفة الشرقية للقناة؟.

فأجابنى فى ثقة:

إن عبور حفنة من رجال الجيش المصرى - كقوة دورية مثلا - إلى الضفة الشرقية بغرض بث الألغام والفرار بسرعة: أمر ممكن.

أما إقامة المصريين لرأس جسر بقوة كبيرة فهذا أمر محال؛ إنها خطوة ليس فى قدرة مصر تحقيقها أبدا.

إن الجيش المصرى على الرغم من آلاف القصفات من المدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ، فقد يفشل فى تدمير حصن واحد من حصون (خط بارليف).

وماذا قالوا بعد انهيار خط بارليف؟!!

قال الجنرال الإسرائيلى (ناركسيس): ليس أمامنا مفر من أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة، لقد كانت خططهم دقيقة وكان تنفيذها أكثر دقة، لقد حاولنا بكل جهدنا إعاقة عملية العبور، وردها بالقوة على أعقابها: غير أننا ما كدنا نتمثل ما حدث: إلا وكانت نتائجه قد تحققت لهم.

كأننا أغمضنا أعيننا، وفتحناها، فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها، ليفاجئونا صباح ٧ أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة.

شهادات عسكرية دولية

لم يكن الإسرائيليون - وحدهم - هم الذين شهدوا بكفاءة وشجاعة قواتنا المسلحة: **لكن الخبراء العالميين** أيضاً كان لهم آراء إيجابية فى إنجازات قواتنا.

قال الميجور جنرال (فارار هوكلى) فى بحث قدمه لمعهد الدراسات الاستراتيجية بلندن: كان التخطيط المصرى لعمليات أكتوبر تخطيطاً بارعا ودقيقا، فلقد قامت القيادة المصرية بدراسة نقط القوة والضعف فى عدوها، وكان السؤال الرئيسى المطلوب الإجابة عنه هو: مانوع العمليات الذى يحقق أهداف المعركة؟ . . ويسبب لإسرائيل الخسائر المؤلمة؟

وقد توصلت القيادة المصرية فى دراستها إلى أن نقط القوة فى إسرائيل **تتركز فى التالى:**

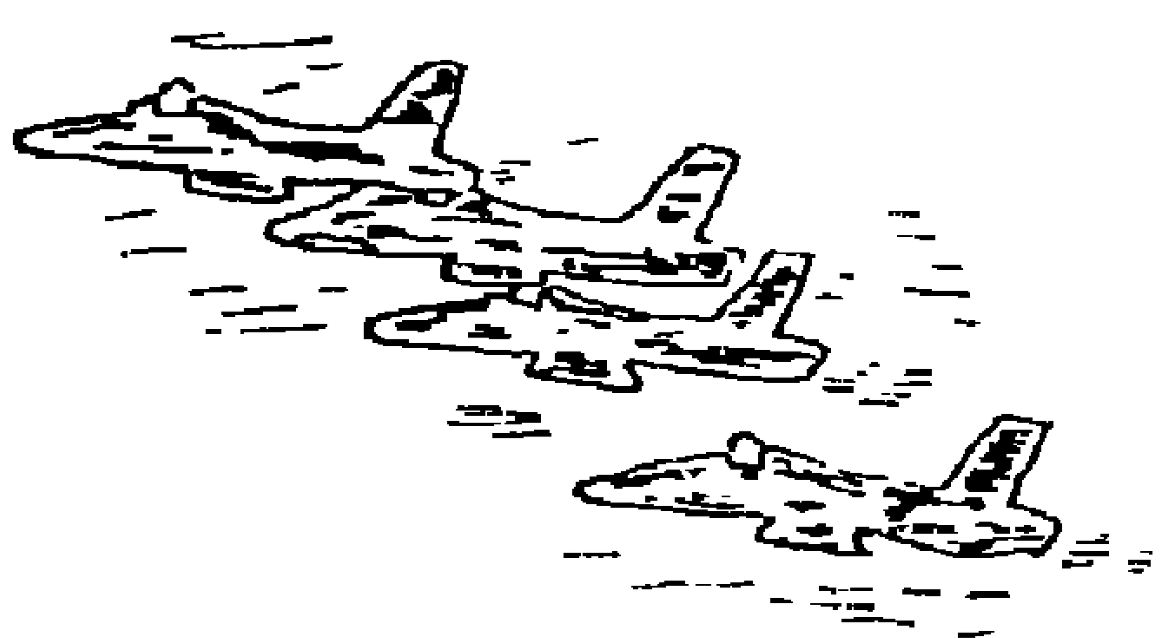
١ - استماتتها فى البقاء
٢ - تفوقها التكنولوجى (حسب تصورها)
٣ - قدرتها على تدريب قوتها البشرية عسكرياً
٤ - كفاءة نظام التعبئة فيها
٥ - الدعم الواسع (اقتصاديا وعسكرياً و تكنولوجياً من الولايات المتحدة الأمريكية)

أما نقاط الضعف فى إسرائيل فقد حددتها القيادة المصرية كالتالى:

١ - الحدود الممتدة الواسعة مع الدول العربية والتى تصل الى ٥٠٠ ميل.

٢ ـ صغر حجم سكانها (أقل من ٣ ملايين فى مقابل ٨٢ مليون عربى) .
٣ ـ اقتصادها المرهق بالمجهود الحربى
٤ ـ الخيلاء الطائشة التى أصابت رؤوس قادتها بعد حرب ١٩٦٧
٥ ـ التأثير الخطير الذى ينجم عن التعبئة المستمرة فيها .

هكذا حددت القيادة المصرية ، نقط القوة ، ونقط الضعف فى عدوها ؛ وبنت عليها خطتها (لحرب أكتوبر) ، **وبالفعل تحت هذه الظروف ـ تحولت مصر إلى الهجوم، واستولت على عنصر المبادأة (التكتيكية) و (الاستراتيجية)** .



تعليق القائد الأعلى

وأقلب صفحات أجندة مذكراتى: لأقف أمام صفحة عزيزة على نفسى، لأختم بها هذا الكتاب . . **يقول القائد الأعلى** للقوات المسلحة المصرية الرئيس الراحل (**محمد أنور السادات**):

كنت أعلم نوع تفكير القادة الإسرائيليين، وكنت أقرأ ما فى أذهانهم، ولى بهم خبرة طويلة.

لقد كان الإسرائيليون يتوقعون منا ـ مثلاً ـ أن نندفع بسرعة إلى داخل سيناء، وفضلوا أن ينصبوا لنا الشرك، وينتظرونا لندخل الكمين الذى أعدوه، ثم يرتدون علينا فى هجوم مضاد ليفتكوا بنا كما أرادوا.

كنا على بينه: من أسلوبهم، وكنا نقرأ أفكارهم، ولم نمنحهم الفرصة، ولم نندفع في عمق سيناء.

وكان علينا: أن نتنبه ـ مرة أخرى ـ لرد فعلهم لموقفنا من خططهم، وأمكننا أن نقتنع: بأن صبرهم سوف ينفذ، فقد كنا نثق فى أن هذا المسلك من جانبنا؛ سوف يحملهم مضطرين على مهاجمتنا.

وهكذا: تنبأنا بالهجوم، وأعددنا له العدة، وبالفعل حضروا إلينا ودمرناهم.

وكانت البداية قصة الفوج ١٩٠ المدرع الذى أفنى عن آخره، وأسر قائده (عساف ياجورى) ثم صمود الجيش الثالث الميدانى ومدينة السويس الباسلة.

هكذا: كنا نبنى تخطيطنا؛ على أساس ما نعتقده، ونتنبأ به من تفكير وتخطيط العدو.



■ الرئيس الراحل أنور السادات القائد الأعلى للقوات المسلحه فى حرب أكتوبر ■



■ المشير أحمد اسماعيل يهنىء الفريق يوسف عفيفى قائد الفرقه ١٩ بعد النصر ■



■ اللواء يوسف عفيفى يتسلم قيادة الجيش الثالث من اللواء أحمد بدوى ■



■ الرئيس الراحل أنور السادات مع قائد الفرقة ١٩ امام قبر الجندى المجهول بمدينة السويس ■



■ الفريق يوسف عفيفي يؤدي اليمين كمحافظ البحر الاحمر ■



■ مع الرئيس حسنى مبارك اثناء زيارته لمدينة الغردقه ■

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧٧٤ / ١٩٩٠

رقم الدولى I. S. B. N.

977 - 5147 - 03 - 4

هذا الكتاب

عهدُنا بكتابة المذكرات العسكرية أنها كتابات (أكاديمية) تحتشد فيها المصطلحات ، والقوانين ، والتعريفات الفنية ، التى يعجز القارىء - غير المتخصص - فضلا عن جمهرة القراء - عن فهمها .

وبالتالى .. فهى كتابة لفئة معينة ، دون غيرهم من النـــاس .

لكن الكتاب الذى معنا ، يمثل نسيجاً وحدَه ؛ لاعتبارات عديدة ، يمكن إجمال أهمها فيما يلى :

■ أنه كتب بطريقة سهلة ، تضع القواعد ، والمصطلحات الفنية - دون نقص ، أو لبس - فى متناول العامة بأسلوب أدبى ميسر ، وعبارة مفهومة وعرض شيق ، جذاب .

■ مضمون الكتاب : الذى يستهدف تقديم مرحلة من أهم مراحل تاريخ النضال المصرى - بصفة خاصة ، والعربى بصفة عامة - استهدافاً يعتمد على صدق الوقائع التاريخية المجردة ، التى يندر عرضها .. مع عدم الاقتراب من خطوط التّمَاسّ ، التى تفرضها ظروف الحرب ، وسرية المعلومات .

شأن مؤلفه العظيم فى حياته كلها :

الإيمان، الصراحة، الدقة، الصرامة، الموضوعية، الالتزام.

■ مما يمتاز به هذا الكتاب أمور أُخر ، ذات عمق إيمانى قِيمىّ فريد ، يندر وجوده فى عصر تسود فيه «الأنا» ، وتستبد الماديات : بالروحانيات والأخلاقيات ، والقيم .

ومن ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر :

* رد الفضل لأهله ، وإعطاء كل ذى حق حقه .. وإن تناساه الناس أو أعرضوا عنه ...!!

* تذكيرنا بماضى السلف الصالح من نسبة النصر إلى صُنّاعه من الجنود ... الذين - غالبا - ما ينساهم القادة عند تلقى تهانى الفوز، وأوسمة الانتصار.

* إحياء ما أماتته الماديات الطاغية من رد النصر فى حقيقته إلى الإي
وقوة الروح المعنوية ..وما يصنعه الله تعالى لأوليائه من خوارق ال
وصور الكرامة .

وبالتالى : فهو كتاب : حقيق أن يحرص عليه الخاصة ،.. وهو حا
للجميع ...

محمد زكى الدين محم

دار الصفوة